مرکز القائمیة اصفهان للبحوث والتحریات الکمبیوتریة

السلام علیک یا صاحب الزمان

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

بحوث سماحة الأستاذ آية الله الشيخ محمد السند

الإمامة الإلهية

تأليف

السيد محمد علي بحر العلوم

جلد سوم

بسم الله الرحمن الرحیم

الامامهٔ الالهیهٔ

کاتب:

محمد السند

نشرت فی الطباعهٔ:

فرصاد

رقمی الناشر:

مرکز القائمیهٔ باصفهان للتحریات الکمبیوتریهٔ

الفهرس

الفهرس ----- ۵
الامامة الالهیة(۵) المجلد ۳ ----- ۱۰
اشارة ----- ۱۰
الامامة الالهیة (۳) ----- ۱۰
الفصل السابع: لیلة القدر حقیقة الإمامة (أس المعرفة ...) ص: ۲۷۳ ----- ۱۰
اشارة ----- ۱۰
لیلة القدر فی أقوال أهل سنة الجماعة ... ص: ۲۷۵ ----- ۱۰
اشارة ----- ۱۰
للقرآن نزولان ...: ص: ۲۷۵ ----- ۱۰
معنی القدر ...: ص: ۲۷۵ ----- ۱۱
بقاء لیلة القدر فی کلّ عام ...: ص: ۲۷۶ ----- ۱۱
لیلة القدر عوض للنبیّ من غصب بنی أُمیّة الخلافة ...: ص: ۲۷۶ ----- ۱۱
تنزّل الملائکة علی أرواح البشر ...: ص: ۲۷۷ ----- ۱۲
من الروح النازل لیلة القدر ...؟ ص: ۲۷۸ ----- ۱۲
ما هی الأُمور التی تتنزّل بها الروح والملائکة ...؟ ص: ۲۷۹ ----- ۱۲
اشتمال مراتب القرآن علی المقدّرات الحادثة فی کلّ عام ...: ص: ۲۸۱ ----- ۱۳
أمّ الکتاب فی القرآن متضمّنة لتقدیر کلّ شیء ...: ص: ۲۸۲ ----- ۱۴
لیلة القدر عوض للنبی صلی الله علیه و آله وآله علیهم السلام عن غصب الخلافة ...: ص: ۲۸۲ ----- ۱۴
حقیقة الروح النازل لیلة القدر ...: ص: ۲۸۳ ----- ۱۴
بقاء لیلة القدر فی کلّ عام ...: ص: ۲۸۴ ----- ۱۵
لیلة القدر عوض له صلی الله علیه و آله عن غصب بنی أُمیة خلافته وتعدد مصادر الحدیث لدیهم ... ص: ۲۸۵ ----- ۱۵
حقیقة النازل الذی نزل فی لیلة القدر ...: ص: ۲۸۸ ----- ۱۷
جهل الخلق بحقیقة لیلة القدر ...: ص: ۲۸۸ ----- ۱۷

حقيقة نزول القرآن جملة واحدة ... ص: ۲۸۸ ----- ۱۷

تقدير الأُمور في ليلة القدر على من تُنزّل ...؟ ص: ۲۸۹ ----- ۱۸

أقوال علماء سنّة الجماعة في عوضية الليلة له عن غصب الخلافة ... ص: ۲۹۰ ----- ۱۸

ليلة القدر مع الأنبياء في ما مضى فهي مع من في ما بقي ... ص: ۲۹۱ ----- ۱۸

ليلة القدر يفصل فيها المقدّرات لأحداث كلّ السنة ... ص: ۲۹۳ ----- ۱۹

ليلة القدر يتحقّقها وتتنزّل على من شاء اللّه تعالى من عباده ... ص: ۲۹۳ ----- ۲۰

ليلة القدر في سورة الشورى والنزول الأول للقرآن ... ص: ۲۹۵ ----- ۲۰

ليلة القدر في روايات أهل سنّة الخلافة ... ص: ۲۹۷ ----- ۲۱

دوام ليلة القدر في كلّ عام إلى يوم القيامة ... ص: ۲۹۷ ----- ۲۱

النزول في ليلة القدر وحى للأنبياء، واستمراره بعد الأنبياء ... ص: ۲۹۸ ----- ۲۲

استمرار نزول باطن القرآن في ليلة القدر إلى يوم القيامة ... ص: ۳۰۱ ----- ۲۳

تباين حقيقة النازل من القرآن في المرتين تكرّر نزول جملة القرآن مرّتين بل أكثر إلى يوم القيامة ... ص: ۳۰۳ ----- ۲۴

نزول القرآن ليلة القدر على آل محمّد عوض غصب الخلافة ... ص: ۳۰۴ ----- ۲۴

حقيقة القرآن هي الروح النازل ليلة القدر ... ص: ۳۰۷ ----- ۲۶

حقيقة الوحى هو نزول الروح كما في ليلة القدر ومستمرّ إلى يوم القيامة ... ص: ۳۰۸ ----- ۲۶

عقيدة البداء وحقيقة ليلة القدر ... ص: ۳۰۸ ----- ۲۶

دوام ليلة القدر من الروايات الحاثّة على فضيلتها في الصحاح ... ص: ۳۱۳ ----- ۲۹

شهر رمضان إعداد لليلة القدر هي باب عظيم لمعرفة الإمام عليه السلام ... ص: ۳۱۵ ----- ۲۹

اشارة ----- ۲۹

بيئة ليلة القدر شهر رمضان ... ص: ۳۱۶ ----- ۳۰

أوصاف ليلة القدر ... ص: ۳۱۸ ----- ۳۱

ليلة القدر بيئة لنزول القرآن كلّ عام ... ص: ۳۲۲ ----- ۳۲

مكان نزول القرآن ... ص: ۳۲۷ ----- ۳۵

الروح النازل في ليلة القدر هو القرآن ... ص: ۳۳۰ ----- ۳۶

اختلاف صفات القرآن فی النزولین ...: ص: ۳۳۵ ----- ۳۹
النمط الثالث للنزول ...: ص: ۳۳۶ ----- ۳۹
حقیقة وراثة الأوصیاء للنبیّ صلی الله علیه و آله ...: ص: ۳۳۷ ----- ۴۰
قراءة جدیدة فی حدیث الثقلین وأنّ الأئمّة علیهم السلام هم الثقل الأکبر ...: ص: ۳۳۹ ----- ۴۱
قراءة جدیدة فی آیة ... ص: ۳۳۹ ----- ۴۱
قراءة جدیدة فی حفظ وبقاء الذکر والقرآن المنزّل ...: ص: ۳۴۱ ----- ۴۲
الوجودات الأربعة للقرآن ...: ص: ۳۴۲ ----- ۴۲
حقیقة القرآن ووجوده ...: ص: ۳۴۵ ----- ۴۴
الأمر الثانیإنّ للقرآن درجات ومدارج ... ص: ۳۴۷ ----- ۴۴
اشارة ----- ۴۴
حقیقة تبلیغ النبی صلی الله علیه و آله وأهل بیته علیهم السلام ...: ص: ۳۴۸ ----- ۴۵
قراءة فی معنی إکمال الدین بعلیّ ...: ص: ۳۵۳ ----- ۴۷
تلقی النبی صلی الله علیه و آله وأهل بیته للکلمات والکلام الإلهی بوجوده التکوینی لا الاعتباری ...: ص: ۳۶۱ ----- ۵۱
نعوت حقیقة الکتاب وهی روح القدس ... ص: ۳۶۷ ----- ۵۳
اشارة ----- ۵۳
الثقل الأکبر هو القرآن الناطق ...: ص: ۳۷۰ ----- ۵۴
علی مَنْ یتنزّل الروح والملائکة فی لیلة القدر ...؟ ص: ۳۸۷ ----- ۶۲
اشارة ----- ۶۲
نزول الروح وحیّ ربانی ...: ص: ۳۸۸ ----- ۶۲
نسب النبیّ صلی الله علیه و آله وأهل بیته هو سورة القدر ...: ص: ۳۹۲ ----- ۶۴
روح القدس وراثتهم علیه السلام للکتاب وعلوم النبیّ صلی الله علیه و آله ...: ص: ۳۹۵ ----- ۶۵
الفصل الثامن: معتقدات الإمامة والمهدی (عج ...) ص: ۴۰۱ ----- ۶۸
اشارة ----- ۶۸
المقالة الاولی العلم اللدنی والولایة الشریعة بحسب الظاهر وسنن النظام الکونی ... ص: ۴۰۳ ----- ۶۸

العلم اللدنی المقوّم لماهیة الإمامة ...: ص: ۴۰۳ ----- ۶۸

الأمر الأول استعراض نماذج الإمامة فی القرآن ... ص: ۴۲۹ ----- ۷۸

اشارة ----- ۷۸

النموذج الأوّل: قصّة الخضر وموسی ... ص: ۴۲۹ ----- ۷۸

استعراض تفصیلی للآیات ...: ص: ۴۳۰ ----- ۷۹

اشارة ----- ۷۹

أوّلًا: خرق السفینة ... ص: ۴۴۵ ----- ۸۶

ثانیاً: قتل الغلام ... ص: ۴۴۶ ----- ۸۶

ثالثاً: الجدار ... ص: ۴۴۷ ----- ۸۷

فوائدالفائدة الأُولی: حقیقة التشریع ... ص: ۴۴۹ ----- ۸۷

اشارة ----- ۸۷

الفائدة الثانیة ...: ص: ۴۵۲ ----- ۸۹

المقالة الثانیة التصدّی الفعلی الخفیّ للإمام فی عصر الغیبة لإدارة وتدبیر النظام الاجتماعی البشری ... ص: ۴۵۵ ----- ۹۰

اشارة ----- ۹۰

الفائدة الرابعة ...: ص: ۴۸۲ ----- ۱۰۲

الفائدة الخامسة ...: ص: ۴۸۸ ----- ۱۰۵

النموذج الثانی القرآنی: قصّة ذی القرنین ... ص: ۴۹۲ ----- ۱۰۶

النموذج الثالث القرآنی: قصة أصحاب الکهف ... ص: ۴۹۸ ----- ۱۰۹

سورة الکهف سورة الإمامة ...: ص: ۵۰۴ ----- ۱۱۲

النموذج الرابع القرآنی: قصّة طالوت ... ص: ۵۰۶ ----- ۱۱۳

النموذج القرآنی الخامس: قصّة مریم ... ص: ۵۱۳ ----- ۱۱۷

النموذج القرآنی السادس: قصّة أمّ موسی ... ص: ۵۲۴ ----- ۱۲۲

النموذج القرآنی السابع: قصة لقمان ... ص: ۵۲۶ ----- ۱۲۳

النموذج القرآنی الثامن: قصّة آصف بن برخیا صاحب سلیمان ...: ص: ۵۳۱ ----- ۱۲۶

النموذج القرآنی التاسع: قصّة عزیر ... ص: ۵۳۶ ---------- ۱۲۸

إضاءة حول الرجعة ...: ص: ۵۳۸ ---------- ۱۲۹

النموذج القرآنی العاشر: الحواریون ... ص: ۵۴۱ ---------- ۱۳۱

القائمة الثانیةمن النماذج القرآنیة ... ص: ۵۴۳ ---------- ۱۳۱

اشارة ---------- ۱۳۱

النموذج الأول لهذه القائمة: آدم علیه السلام ... ص: ۵۴۴ ---------- ۱۳۲

النموذج الثانی: إبراهیم علیه السلام ... ص: ۵۴۶ ---------- ۱۳۲

النموذج الثالث: إسحاق ویعقوب علیهما السلام ... ص: ۵۴۸ ---------- ۱۳۴

النموذج الرابع: یوسف علیه السلام ... ص: ۵۵۰ ---------- ۱۳۵

النموذج الخامس: موسی علیه السلام ... ص: ۵۵۶ ---------- ۱۳۸

النموذج السادس: سلیمان وداود علیهما السلام ... ص: ۵۶۳ ---------- ۱۴۱

المشارکة فی الحجیة ...: ص: ۵۶۶ ---------- ۱۴۲

النموذج السابع: عیسی علیه السلام ...: ص: ۵۶۷ ---------- ۱۴۳

القائمة الثالثة معجزات الأنبیاء ... ص: ۵۷۳ ---------- ۱۴۵

القائمة الرابعة مؤدّی السنّة الإلهیة فی معاجلة العذاب للأمم ... ص: ۵۷۷ ---------- ۱۴۶

القائمة الخامسة مسلسل سیرة حکومة النبیّ صلی الله علیه و آله فی القرآن ... ص: ۵۷۹ ---------- ۱۴۷

تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة ---------- ۱۵۰

الامامة الالهیة(۵) المجلد ۳

اشارة

سرشناسه : سند، محمد، - ۱۳۴۰

عنوان و نام پدیدآور : الامامه الالهیه/ محاضرات محمد سند؛ جمع و اعداد محمدعلی بحرالعلوم

مشخصات نشر : تهران : فرصاد ، - ۱۳۸۵.

مشخصات ظاهری : ج ۳

یادداشت : عربی

یادداشت : فهرست نویسی براساس اطلاعات فیپا

یادداشت : کتابنامه

موضوع : امامت

موضوع : ولایت

موضوع : اصول فقه شیعه

شناسه افزوده : بحرالعلوم، محمدعلی، ۱۳۴۵ - مقرر

رده بندی کنگره : BP۲۲۳/س۹الف۸ ۱۳۸۵

رده بندی دیویی : ۲۹۷/۴۵

شماره کتابشناسی ملی : م۸۱-۲۸۲۳۶

الامامة الالهیة (۳)

الفصل السابع: لیلة القدر حقیقة الإمامة (أُس المعرفة ...) ص: ۲۷۳

اشارة

الامامة الالهیة(۵)، ج۳، ص: ۲۷۵

لیلة القدر فی أقوال أهل سنة الجماعة ... ص: ۲۷۵

اشارة

بسم الله الرحمن الرحیم

قال الفخر الرازی فی تفسیر قوله تعالی: «إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةِ الْقَدْرِ»: (أجمع المفسّرون علی أنّ المراد إنّا أنزلنا القرآن فی لیلة القدر، ولکنّه تعالی ترک التصریح بالذکر؛ لأنّ هذا الترکیب یدلّ علی عظم القرآن.

للقرآن نزولان ...: ص: ۲۷۵

إن قيل: ما معنى إنّه أَنزل فى ليلة القدر مع العلم بأنّه أَنزل نجوماً؟ قلنا فيه وجوهاً:

أحدهما: قال الشعبى: إبتدأ بإنزاله ليلة القدر؛ لأنّ البعث كان فى رمضان.

والثانى: قال ابن عبّاس: أُنزل إلى سماء الدنيا جملةً ليلة القدر، ثمّ إلى الأرض نجوماً.

معنى القدر ...: ص: ۲۷۵

اختلفوا فى أنّه لِم سُمِّيت هذه الليلة ليلة القدر على وجوه:

أحدها: إنّها ليلة تقدير الأُمور والأحكام. قال عطاء عن ابن عبّاس: إنّ اللّٰه قدّر ما يكون فى تلك السنة من مطر ورزق وإحياء وإماتة إلى مثل هذه الليلة من السنة الآتية، ونظيره قوله تعالى: «فيها يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حكيم»، واعلم أنّ تقدير اللّٰه لا

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۲۷۶

يحدث فى تلك الليلة؛ فإنّه تعالى قدّر المقادير قبل أن يخلق السماوات والأرض فى الأزل «۱»، بل المراد إظهار تلك المقادير للملائكة فى تلك الليلة، بأن يكتبها فى اللوح المحفوظ «۲».

بقاء ليلة القدر فى كلّ عام ...: ص: ۲۷۶

وهذا القول اختيار عامّة العلماء.. هذه الليلة هل هى باقية؟

قال الخليل: من قال إنّ فضلها لنزول القرآن فيها يقول انقطعت وكانت مرّة، والجمهور على أنّها باقية.

وعلى هذا، هل هى مختصّة برمضان أم لا؟ روى عن ابن مسعود أنّه قال: من يقم الحول يصيبها، وفسّرها عِكرمة بليلة البراءة فى قوله: «إنّا أنْزَلْناهُ فى لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ» «۳»

، والجمهور على أنّها مختصّة برمضان، واحتجوا عليه بقوله تعالى:

«شَهْرُ رَمَضانُ الَّذى انْزِلَ فيهِ الْقُرْآنُ»، وقال: «إنّا أَنْزَلْناهُ فى لَيْلَةِ الْقَدْرِ»، فوجب أن تكون ليلة القدر فى رمضان، لئلّا يلزم التناقض.

ليلة القدر عوض للنبىّ من غصب بنى أُميّة الخلافة ...: ص: ۲۷۶

وقال فى تفسير الآية «۴» بوجوه:

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۲۷۷

منها: روى القاسم بن فضل عن عيسى بن مازن، قال:

«قلت للحسن بن علىّ عليه السلام: يا مسوّد وجوه المؤمنين، عمدت إلى هذا الرجل فبايعت له، يعنى معاوية، فقال: إنّ رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه وسلّم رأى فى منامه بنى أُمية يطؤون منبره واحداً بعد واحد، وفى رواية ينزون على منبره نزو القردة، فشقّ ذلك عليه، فأنزل اللّٰه تعالى: «إنّا أَنْزَلْناهُ فى لَيْلَةِ الْقَدْرِ» إلى قوله: «خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ»، يعنى ملك بنى أُمية. قال القاسم فحسبنا ملك بنى أمية فإذا هو ألف شهر».

طعن القاضى فى هذه الوجوه، فقال: ما ذُكر من «أَلْفِ شَهْرٍ» فى أيّام بنى أُمية بعيد؛ لأنّه تعالى لا يذكر فضلها بذكر ألف شهر مذمومة، وأيّام بنى أُمية كانت مذمومة.

واعلم أنّ هذا الطعن ضعيف؛ وذلك لأنّ أيّام بنى أُمية كانت أيّاماً عظيمة بحسب السعادات الدنيوية، فلا يمتنع أن يقول اللّٰه: إنّى أعطيتك ليلة هى فى السعادات الدينية أفضل من تلك السعادات الدنيوية.

تنزّل الملائكة على أرواح البشر ...: ص: ۲۷۷

قال فى تفسير قوله تعالى: «تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فيها»: إعلم أنّ نظر الملائكة على الأرواح، ونظر البشر على الأشباح.. فكذا الملائكة لمّا رأوا فى روحك الصورة الحسنة وهى معرفة اللّه وطاعته أحبّوك، فنزلوا إليك معتذرين عمّا قالوه أوّلًا، فهذا هو المراد من قوله «تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ»، فإذا نزلوا إليك رأوا روحك فى ظلمة ليل البدن وظلمة القوى الجسمانية..

إنّ قوله تعالى: «تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ» يقتضى ظاهره نزول كلّ الملائكة، ثمّ إنّ الملائكة لهم كثرة عظيمة.. والمروى أنّهم ينزلون فوجاً فوجاً، فمن نازل وصاعد كأهل الحجّ، فإنّهم على كثرتهم يدخلون الكعبة بالكلّية، لكنّ الناس بين داخل

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۲۷۸

وخارج، ولهذا السبب مدّه إلى غاية طلوع الفجر، فلذلك ذكر بلفظ «تَنَزَّلُ» الذى يفيد المرّة بعد المرّة.

والقول الثانى: وهو اختيار الأكثرين، أنّهم ينزلون إلى الأرض، وهو الأوجه؛ لأنّ الغرض هو الترغيب فى إحياء هذه الليلة؛ ولأنّه دلّت الأحاديث على أنّ الملائكة ينزلون فى سائر الأيام إلى مجالس الذكر والدين، فلأن يحصل ذلك فى هذه الليلة مع علوّ شأنها أولى؛ ولأنّه روى عن علىّ عليه السلام: «أنّهم ينزلون ليسلّموا علينا وليشفعوا لنا، فمن أصابته التسليمة غُفِرَ له ذنبه».

من الروح النازل ليلة القدر ...؟ ص: ۲۷۸

وقال: ذكروا فى الروح أقوالًا:

أحدها: أنّه ملك عظيم لو التقمَ السماوات والأرضين كان له ذلك لقمة واحدة.

وثانيها: طائفة من الملائكة لا تراهم الملائكة إلّافى ليلة القدر...

وثالثها: خَلْق من خلق اللّه يأكلون ويلبسون، ليسوا من الملائكة ولا من الإنس، ولعلّهم خدم أهل الجنّة.

ورابعها: يُحتمل أنّه عيسى عليه السلام؛ لأنّه اسمه، ثم إنّه ينزل فى مواقفه الملائكة ليطّلع على أُمّة محمّد صلى الله عليه و آله.

وخامسها: إنّه القرآن «وَكَذلِكَ أَوْحَيْنا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنا» «۱».

وسادسها: الرحمة، قُرئ: «لا تَيْأَسُوا مِنْ رُوحِ اللّهِ» بالرفع، كأنّه تعالى يقول: الملائكة ينزلون رحمتى تنزل فى أثرهم، فيجدون سعادة الدنيا وسعادة الآخرة.

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۲۷۹

وسابعها: الروح أشرف الملائكة.

وثامنها: عن أبى نجيح: الروح هم الحفظة والكرام الكاتبون، فصاحب اليمين يكتب إتيانه بالواجب، وصاحب الشمال يكتب تركه للقبيح.

والأصحّ أنّ الروح هاهنا جبرئيل، وتخصيصه بالذكر لزيادة شرفه، كأنّه تعالى يقول: الملائكة فى كفّة والروح فى كفّة.

أقول: إذا كان النازل هو جبرئيل عليه السلام كلّ عام، فعلى من يتنزّل جبرئيل عليه السلام بعد النبىّ صلى الله عليه و آله إلى يومنا هذا وإلى يوم القيامة؟!!

ما هى الأُمور التى تتنزّل بها الروح والملائكة ...؟ ص: ۲۷۹

وقال: وأمّا قوله تعالى: «مِنْ كُلِّ أَمْرٍ» فمعناه تنزّل الملائكة والروح فيها من أجل كلّ أمر، والمعنى: إنّ كلّ واحد منهم إنّما نزل لمهمّ

آخر ما. ثمّ ذكروا فيه وجوهاً:

أحدها: إنّهم كانوا فى أشغال كثيرة، فبعضهم للركوع وبعضهم للسجود وبعضهم بالدعاء، وكذا القول فى التفكير والتعليم وإبلاغ الوحى، وبعضهم لإدراك فضيلة الليلة، أو ليسلّموا على المؤمنين.

وثانيها: وهو قول الأكثرين- من أجل كلّ أمرٍ قُدّر فى تلك السنة من خير أو شرّ، وفيه إشارة إلى أنّ نزولهم إنّما كان عبادة، فكأنّهم قالوا: ما نزلنا إلى الأرض لهوى أنفسنا، لكن لأجل أمر فيه مصلحة المكلّفين، وعمّ لفظ الأمر ليعمّ خير الدنيا والآخرة؛ بياناً منه أنّهم ينزلون بما هو صلاح المكلّف فى دينه ودنياه، كأنّ السائل يقول: من أين جئت؟ فيقول: ما لك وهذا الفضول؟ ولكن قُل: لأىأمرٍ جئت؛ لأنّه حظّك.

وثالثها: قرأ بعضهم «مِنْ كُلِّ أَمْرٍ»، أى من أجل كلّ إنسان، وروى أنّهم لا

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۲۸۰

يلقون مؤمناً ولا مؤمنة إلّاسلّموا عليه، قيل أليس أنّه قد رُوى أنّه تقسّم الآجال والأرزاق ليلة النصف من شعبان، والآن تقولون أنّ ذلك يكون ليلة القدر؟ قلنا:

عن النبىّ صلى الله عليه و آله أنّه قال: «إنّ اللّه يقدّر المقادير فى ليلة البراءة، فإذا كان ليلة القدر يسلّمها إلى أربابها»، وقيل: يقدّر ليلة البراءة الآجال والأرزاق، وليلة القدر يقدّر الأُمور التى فيها الخير والبركة والسلامة، وقيل: يقدّر فى ليلة القدر ما يتعلّق به إعزاز الدين وما فيه النفع العظيم للمسلمين، وأمّا ليلة البراءة فيكتب فيها أسماء من يموت ويسلّم إلى ملك الموت).

وقال فى سورة الشورى فى ذيل قوله تعالى «وَكَذلِكَ أَوْحَينا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنا» «۱»

: والمراد به القرآن، وسمّاه روحاً لأنّه يفيد الحياة من موت الجهل أو الكفر.

وقال فى سورة الدخان فى ذيل قوله تعالى «إِنّا أَنْزَلْناهُ فى لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ» «۲»

، اختلفوا فى هذه الليلة المباركة، فقال الأكثرون: إنّها ليلة القدر، وقال عكرمة وطائفة آخرون: إنّها ليلة البراءة.

وإنّه تعالى قال فى صفة ليلة القدر: «تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فيها بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ سَلامٌ هِىَ»، وقال أيضاً هاهنا: «فِيها يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ»، وهذا مناسب لقوله: «تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيها»، وهاهنا: «أَمْراً مِنْ عِنْدِنا»، وقال فى تلك الآية «بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ»، وقال هاهنا: «رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ»، وقال فى تلك الآية: «سَلامٌ هِىَ».

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۲۸۱

اشتمال مراتب القرآن على المقدّرات الحادثة فى كلّ عام ...: ص: ۲۸۱

وقال (المسألة الثامنة) فى تفسير مفردات هذه الألفاظ: أمّا قوله تعالى: «إِنّا أَنْزَلْناهُ فِى لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ» «۱»

فقد قيل فيه: إنّه تعالى أنزل كلّية القرآن، يبدأ فى استنساخ ذلك من اللوح المحفوظ فى ليلة البراءة، ويقع الفراغ فى ليلة القدر، فتُدفع نسخة الأرزاق إلى ميكائيل ونسخة الحروب إلى جبرائيل، وكذلك الزلازل والصواعق والخسف، ونسخة الأعمال إلى إسماعيل صاحب سماء الدنيا، وهو ملك عظيم، ونسخة المصائب إلى ملك الموت، انتهى كلامه.

وقال القرطبى فى تفسيره الجامع لأحكام القرآن: (فى تفسير قوله تعالى: «إِنّا أَنْزَلْناهُ» يعنى القرآن، وإن لم يجر له ذكر فى هذه السورة؛ لأنّ المعنى معلوم، والقرآن كلّه كالسورة الواحدة، وقد قال: «شَهْرُ رَمَضانَ الَّذى انزِلَ فيهِ الْقُرْآنُ»، وقال: «حم وَالْكِتابِ الْمُبينِ إِنّا أَنْزَلْناهُ فى لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ» «۲»

يريد: فى ليلة القدر.

وقال الشعبى: المعنى إنّا ابتدأنا إنزاله فى ليلة القدر. وقيل: بل نزل به جبريل عليه السلام جملة واحدة فى ليلة القدر، من اللوح

المحفوظ، إلى سماء الدنيا، إلى بيت العزّة، وأملاه جبريل على السفرة، ثمّ كان جبريل ينزّله على النبىّ صلى الله عليه و آله نجوماً نجوماً، وكان بين أوّله وآخره ثلاث وعشرون سنة، قاله ابن عبّاس، وقد تقدّم فى سورة البقرة. وحكى الماوردى عن ابن عبّاس قال: نزل القرآن فى شهر رمضان وفى ليلة القدر، فى ليلة مباركة جملة واحدة من عند اللّه، من اللوح المحفوظ إلى السفرة الكرام الكاتبين فى السماء الدنيا، فنجّمته السفرة الكرام الكاتبون على جبريل عشرين سنة، ونجّمه جبريل على النبىّ صلى الله عليه و آله عشرين سنة.

قال ابن العربى: وهذا باطل؛ ليس بين جبريل وبين اللّه واسطة، ولا بين جبريل

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۲۸۲

ومحمّد عليهما السلام واسطة.

قوله تعالى: «فى لَيْلَةِ الْقَدْرِ»، قال مجاهد: فى ليلة الحكم. «وَما أَدْراكَ ما لَيْلَةُ الْقَدْرِ»، قال ليلة الحكم، والمعنى ليلة التقدير، سمّيت بذلك لأنّ اللّه تعالى يقدّر فيها ما يشاء من أمره، إلى مثلها من السنة القابلة، من أمر الموت والأجل والرزق وغيره، ويسلّمه إلى مدبّرات الأُمور، وهم أربعة من الملائكة: إسرافيل، وميكائيل، وعزرائيل، وجبريل عليهم السلام.

أمّ الكتاب فى القرآن متضمّنة لتقدير كلّ شىء ...: ص: ۲۸۲

وقال: وعن ابن عبّاس قال: يكتب من أمّ الكتاب ما يكون فى السنة من رزق ومطر وحياة وموت، حتّى الحاجّ. قال عكرمة: يكتب حجّاج بيت اللّه تعالى فى ليلة القدر بأسمائهم وأسماء آبائهم، ما يغادر منهم أحد ولا يزاد فيهم.

وقاله سعيد بن جُبير، وقد مضى فى أوّل سورة الدخان هذا المعنى. وعن ابن عبّاس أيضاً: إنّ اللّه تعالى يقضى الأقضية فى ليلة نصف شعبان، ويسلّمها إلى أربابها فى ليلة القدر. وقيل: إنّما سمّيت بذلك لعظمها وقدرها وشرفها، من قولهم: لفلان قدر، أى شرف ومنزلة) «۱».

ليلة القدر عوض للنبى صلى الله عليه و آله وآله عليهم السلام عن غصب الخلافة ...: ص: ۲۸۲

ليلة القدر عوض للنبى صلى الله عليه و آله وآله عليهم السلام عن غصب الخلافة:

وقال: (وفى الترمذى عن الحسن بن على رضى اللّه عنهما: أنّ رسول اللّه صلى الله عليه و آله أرى بنى أُمية على منبره فساءه ذلك، فنزلت «إِنّا أَعْطَيْناكَ الْكَوْثَرَ»، يعنى نهراً فى الجنّة، ونزلت «إِنّا أَنْزَلْناهُ فى لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَما أَدْراكَ ما لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۲۸۳

أَلْفِ شَهْرٍ»، يملكها بعدك بنو أُمية. قال القاسم بن الفضل الحدّانى: فعددناها فإذا هى ألف شهر لا تزيد يوماً ولا تنقص يوماً. قال: حديث غريب.

قوله تعالى: «تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ» أى تهبط من كلّ سماء، ومن سدرة المنتهى، ومسكن جبريل على وسطها، فينزلون إلى الأرض ويؤمّنون على دعاء الناس إلى وقت طلوع الفجر، فذاك قوله تعالى «تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ».

حقيقة الروح النازل ليلة القدر ...: ص: ۲۸۳

وقال: «وَالرُّوحُ فِيها بِإِذْنِ رَبِّهِمْ» «۱»

أى جبرئيل عليه السلام، وحكى القُشيرى: أنّ الروح صنف من الملائكة جُعلوا حفظة على سائرهم، وأنّ الملائكة لا يرونهم كما لا نرى نحن الملائكة. وقال مقاتل: هم أشرف الملائكة وأقربهم من اللّه تعالى.

وقيل: إنّهم جند من جند اللَّه عزّوجلّ من غير الملائكة، رواه مجاهد عن ابن عبّاس مرفوعاً، ذكره الماوردى، وحكى القُشيرى: قيل هم صنف من خلق اللَّه يأكلون الطعام ولهم أيدٍ وأرجل وليسوا ملائكة.

وقيل: (الروح) خلق عظيم يقوم صفّاً، والملائكة كلّهم صفّاً. وقيل: (الروح) الرحمة ينزل بها جبريل عليه السلام مع الملائكة فى هذه الليلة على أهلها، دليله «يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ» «۲»

، أى بالرحمة، «فِيها» أى فى ليلة القدر، «بِإِذْنِ رَبِّهِمْ» أى بأمره، «مِن كُلِّ أَمْرٍ» «۳»

أمر بكلّ أمر قدّره اللَّه وقضاه فى تلك السنة إلى قابل.

وقيل عنه: إنّها رُفعت يعنى ليلة القدر- وإنّها إنّما كانت مرّة واحدة.

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۲۸۴

بقاء ليلة القدر فى كلّ عام ...: ص: ۲۸۴

وقال: (والصحيح أنّها باقية.. والجمهور على أنّها من كلّ عام من رمضان.. وقال الفرّاء: لا يقدّر اللَّه فى ليلة القدر إلّاالسعادة والنعم ويقدّر فى غيرها البلايا والنقم) «۱».

وقال الطبرى فى تفسيره فى ذيل سورة البروج: «فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ» بسنده إلى مجاهد فى لوح قال: (فى أُمّ الكتاب) «۲».

وقال ابن كثير فى تفسيره، بعد ما نقل جملة ممّا ذكره عنه الرازى والقرطبى، والذى مرّ نقله، قال: (اختلف العلماء هل كانت ليلة القدر فى الأُمم السالفة، أم هى من خصائص هذه الأُمّة؟ فقال الزهرى.. وهذا الذى قاله مالك يقتضى تخصيص هذه الأُمّة بليلة القدر. وقيل: إنّها كانت فى الأُمم الماضين كما هى فى أُمّتنا، ثمّ هى باقية إلى يوم القيامة وفى رمضان خاصّة) «۳».

وقال الزمخشرى فى الكشّاف بعد ما ذكره جملة ممّا ذكره عنه الرازى والقرطبى، فى ذيل قوله تعالى «وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ» «۴»

قال: (وسبب ارتقاء فضلها إلى هذه الغاية ما يوجد فيها من المصالح الدينية التى ذكرها من تنزّل الملائكة والروح، وفصل كلّ أمر حكيم.

وقال فى ذيل قوله تعالى «مِنْ كُلِّ أَمْرٍ» «۵»

، أى تتنزّل من أجل كلّ أمر قضاه اللَّه لتلك السنة إلى قابل.. وروى عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: «من قرأ سورة القدر أُعطى من الأجر كمن صام رمضان وأحيى ليلة القدر»، وذكر فى هامش المطبوع أنّ الحديث أخرجه الثعلبى والواحدى وابن مردويه بسندهم إلى أُبَىّ ابن كعب.

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۲۸۵

ليلة القدر عوض له صلى الله عليه و آله عن غصب بنى أُمية خلافته وتعدد مصادر الحديث لديهم ... ص: ۲۸۵

وقال الآلوسى فى روح المعانى: (ويستدلّ لكونها مدنية بما أخرجه الترمذى والحاكم عن الحسن ابن علىّ (رضى اللَّه تعالى عنهما): «أنّ النبى صلى الله عليه و آله ارى بنى أُمية على منبره فساءه ذلك، فنزلت «إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ» «۱»

، ونزلت: «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ» «۲»

.. الحديث». وهو كما قال المزنى: حديث منكر، انتهى.

وقد أخرج الجلال هذا الحديث فى الدرّ المنثور عن جرير والطبرانى وابن مردويه والبيهقى فى الدلائل أيضاً، من رواية يوسف ابن سعد، وذكر فيه: أنّ الترمذى «۳» أخرجه وضعّفه، وأنّ الخطيب أخرج عن ابن عبّاس نحوه، وكذا عن ابن نسيب بلفظٍ: قال نبى اللَّه:

«أَريتُ بنى أمية يصعدون منبرى، فشقّ ذلك علىّ فأنزلت «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ»»، ففى قول المزنى هو منكر تردّد عندى.

وقد ورد فى روايات أهل البيت عليهم السلام ما رواه الكافى بسنده إلى أبى عبد اللّه عليه السلام، قال: «أُرى رسول اللّه صلى الله عليه و آله فى منامه بنى أُمية يصعدون على منبره من بعده ويضلّون الناس عن الصراط القهقرى، فأصبح كئيباً حزيناً، قال: فهبط عليه جبرئيل فقال:

يا رسول اللّه مالى أراك كئيباً حزيناً؟ قال: يا جبرئيل إنّى رأيت بنى أُمية فى ليلتى هذه يصعدون منبرى من بعدى يضلّون الناس عن الصراط القهقرى. فقال: والذى بعثك بالحقّ نبيّاً إنّى ما اطّلعت عليه. فعرّج إلى السماء فلم يلبث أن نزل بآى من القرآن يُؤنسه بها، قال: «أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ* ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ* مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ» «۴»

، وأُنزل عليه: «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ* وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ* لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ»، جعل اللّه ليلة القدر لنبيه صلى الله عليه و آله

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۲۸۶

خيراً من ألف شهر ملك بنى أُمية) «۱».

وروى الكلينى عن على بن عيسى القمّاط عن عمّه، قال: «سمعت أبا عبد اللّه يقول: هبط جبرئيل عليه السلام على رسول اللّه صلى الله عليه و آله ورسول اللّه كئيب حزين، فقال: رأيت بنى أُمية يصعدون المنابر وينزلون منها. قال: والذى بعثك بالحقّ نبيّاً، ما علمت بشىء من هذا. وصعد جبرئيل إلى السماء، ثمّ أهبطه اللّه جلّ ذكره بآى من القرآن يعزّيه بها قوله: «أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ* ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ* مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ» «۲».

وأنزل اللّه جلّ ذكره: «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ* وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ* لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ» للقوم، فجعل اللّه ليلة القدر (لرسوله) خير، من ألف شهر» «۳».

وفى سند الصحيفة السجادية، عن أبى عبداللّه عليه السلام، قال: «إنّ أبى حدّثنى عن أبيه عن جدّه عن علىّ عليه السلام: إنّ رسول اللّه صلى الله عليه و آله أخذته نعسة وهو على منبره، فرأى فى منامه رجالًا ينزون على منبره نزو القردة، يردّون الناس على أعقابهم القهقرى، فاستوى رسول اللّه صلى الله عليه و آله جالساً والحزن يعرف فى وجهه، فأتاه جبرئيل عليه السلام بهذه الآية «وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِى أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِى الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا»، يعنى بنى أُمية. قال: يا جبرئيل على عهدى يكونون وفى زمنى؟

قال: لا، ولكن تدور رحى الإسلام من مُهاجرك فتلبث بذلك عشراً، ثمّ تدور رحى الإسلام على رأس خمسة وثلاثين من مهاجِرك فتلبث بذلك خمساً، ثمّ لابدّ من رحى

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۲۸۷

ضلاله هى قائمة على قطبها ثمّ ملك الفراعنة. قال: وأنزل اللّه تعالى فى ذلك: «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ* وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ* لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ» يملكها بنو أُمية. فيها ليلة القدر.

قال: فأطلع اللّه عزّ وجلّ نبيّه صلى الله عليه و آله أنّ بنى أُمية تملك سلطان هذه الأُمّة وملكها طول هذه المدّة، فلو طاولتهم الجبال لطالوا عليها حتّى يأذن اللّه تعالى بزوال ملكهم، وهم فى ذلك يستشعرون عداوتنا أهل البيت وبغضنا. أخبر اللّه نبيّه بما يلقى أهل بيت محمّد وأهل مودّتهم وشيعتهم منهم فى أيامهم وملكهم» «۱».

وفى تأويل الآيات: «روى عن أبى بصير عن أبى عبد اللّه عليه السلام، قال: قوله عزّ وجلّ: «خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ» هو سلطان بنى أُمية.

وقال: ليلة من إمام عادل خير من ألف شهر ملك بنى أُمية.

وقال: «تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ» أىّ من عند ربّهم على محمّد وآل محمّد بكلّ أمر سلام» «۲».

وفى تفسير القمّى: بسنده فى معنى سورة «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ» فهو القرآن.. قوله: «لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ».

أقول: تكثير الروايات فى غصب الخلافة من بنى أُميه، وتأذّى النبىّ صلى الله عليه و آله وتعويضه بليلة القدر، وسيأتى معنى تعويضه بليلة القدر، وتسالم كثير من علماء الجمهور بهذه الروايات، هذا الأمر أحد الأدلّة على أنّ الخلافة فى الشريعة الإلهية هى منصب أهل بيت النبىّ صلى الله عليه و آله فتدبّر تبصر.

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۲۸۸

حقيقة النازل الذى نزل فى ليلة القدر ...: ص: ۲۸۸

وقال فى ذيل قوله تعالى «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ»: الضمير عند الجمهور للقرآن، وادّعى الإمام فيه إجماع المفسّرين، وكأنّه لم يعتقد بقول من قال منهم برجوعه لجبرئيل عليه السلام أو غيره؛ لضعفه. قالوا: وفى التعبير عنه بضمير الغائب مع عدم تقدّم ذكره تعظيم له، أى تعظيم لما أنّه يشعر بأنّه لعلوّ شأنه كأنّه حاضر عند كلّ أحد.

جهل الخلق بحقيقة ليلة القدر ...: ص: ۲۸۸

وقال فى ذيل قوله تعالى «وَما أَدْراكَ ما لَيْلَةُ الْقَدْرِ» «۱»

: لما فيه من الدلالة على أنّ علوّها خارج عن دائرة دراية الخلق، لا يُعلم ذلك، ولا يعلم به إلّاعلّام الغيوب.

حقيقة نزول القرآن جملة واحدة ...: ص: ۲۸۸

ثمّ ذكر جملة فى تعدّد نزول القرآن جملةً واحدةً ونجوماً، وذكر فى ضمنها هذه الرواية عن ابن عبّاس: «أُنزل القرآن جملةً واحدة حتّى وضع فى بيت العزّة فى السماء الدنيا، ونزل به جبريل عليه السلام على محمّد صلى الله عليه و آله بجواب كلام العباد وأعمالهم»..

ثمّ نقل الاختلاف بين المفسّرين عندهم فى قوله تعالى: «أَنْزَلْنَاهُ» من جهة نزول القرآن جملةً واحدة، فهل تضمّن القرآن النازل جملةً واحدة هذه العبارة أم لا؟

فلابدّ من ارتكاب المجاز فى الإسناد؛ لأنّه إخبار عمّا وقع فيما مضى، فكيف يكون هذا اللفظ فى ضمنه؟

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۲۸۹

فذكر قولًا للرازى فى حلّ الإشكال، وللقرطبى وابن كثير، وضعّف قولهم، ونقل عن ابن حجر فى شرح البخارى أنّه أُنزل جملةً واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزّة فى السماء الدنيا، بل حكى بعضهم الإجماع عليه، ثمّ نقل جواباً لحلّ الإشكال عن السيد عيسى الصفوى، ثمّ الاختلاف بين الدوانى وغيره، وأنّه ألّف رسالة فى ذلك فى الجواب عن مسألة الحذر الأصمّ.

ثمّ نقل عن الاتقان قول أبى شامة: فإن قلت «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ» إن لم يكن من جملة القرآن الذى نزل جملة فما نزل جملة، وإن كان من الجملة فما وجه هذه العبارة؟

قلت: لها وجهان:

أحدهما: أن يكون المعنى إنّا حكمنا بإنزاله فى ليلة القدر، وقضينا به وقدّرناه فى الأزل.

والثانى: أنّ لفظ «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ» ماضٍ ومعناه على الاستقبال، أى تنزّله جملة فى ليلة القدر.

ثمّ ذكر عدم ارتضائه لهذا القول وعدم حسنه.

ثمّ نقل أقوالًا أُخر، ثمّ قال: والمراد بالإنزال إظهار القرآن من عالم الغيب إلى عالم الشهادة، أو إثباته لدى السفرة هناك، أو نحو ذلك

ممّا لا يشكل نسبته إلى القرآن.

تقدير الأُمور فى ليلة القدر على من تُنزّل ...؟ ص: ۲۸۹

وقال فى معنى ليلة القدر: إنّها ليلة التقدير، وسبب تسميتها بذلك؛ لتقدير ما يكون فى تلك السنة من أُمور. قال: المراد إظهار تقديره ذلك للملائكة عليهم السلام المأمورين بالحوادث الكونية. ثمّ نقل عن بعض تفسير ذلك: هاهنا ثلاثة أشياء:

الأوّل: نفس تقدير الأُمور، أى تعيين مقاديرها وأوقاتها، وذلك فى الأزل.

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۲۹۰

الثانى: إظهار تلك المقادير للملائكة عليهم السلام بأن تكتب فى اللوح المحفوظ، وذاك فى ليلة النصف من شعبان.

الثالث: إثبات تلك المقادير فى نسخ وتسليمها إلى أربابها من المدبّرات، فتدفع نسخة الأرزاق والنباتات والأمطار إلى ميكائيل عليه السلام، ونسخة الحروب والرياح والجنود والزلازل والصواعق والخسف إلى جبرئيل عليه السلام، ونسخة الأعمال إلى إسرافيل عليه السلام، ونسخة المصائب إلى ملك الموت، وذلك فى ليلة القدر.

وقيل: يقدّر فى ليلة النصف الآجال والأرزاق، وفى ليلة القدر الأُمور التى فيها الخير والبركة والسلامة. وقيل: يقدّر فى هذه ما يتعلّق به إعزاز الدين وما فيه النفع العظيم للمسلمين، وفى ليلة النصف يكتب أسماء من يموت ويسلّم إلى ملك الموت، واللَّه تعالى أعلم بحقيقة الحال.

أقول: إنّ المكتوب فى ليلة القدر ويقدّر يُفترض أنّ كتابته وتقديره إنّما يُكتب ويقدّر لتسليمه إلى من يوكّل إليه تدبير الأُمور بإذن اللَّه، كالملائكة الموكّلين، فالتنزّل بكلّ هذه التقديرات والكتابة إلى الأرض إلى من يسلّم؟ ومن هو الذى يطّلع على ذلك من أهل الأرض؟ وما هو التناسب بين نزول ما فيه إعزاز الدين والأُمّة، والحديث النبوىّ: «إنّ الإسلام لا يزال عزيزاً إلى اثنى عشر خليفة... كلّهم من قريش» «۱».

أقوال علماء سنّة الجماعة فى عوضية الليلة له عن غصب الخلافة ...: ص: ۲۹۰

قال فى تفسير (ألف شهر): وقد سمعت إلى ما يدلّ أنّ الألف إشارة إلى مُلك بنى أُميّة، وكان على ما قال القاسم بن الفضل: ألف شهر، لا يزيد يوماً ولا ينقص

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۲۹۱

يوماً، على ما قيل ثمانين سنة، وهى ألف شهر تقريباً؛ لأنّها ثلاثة وثمانون سنة وأربعة أشهر، ولا يعكّر على ذلك ملكهم فى جزيرة الأندلس بعد؛ لأنّه ملك يسير فى بعض أطراف الأرض وآخر عمارة العرب، ولذا لا يعدّ من مَلَكَ منهم هناك من خلفائهم، وقالوا بانقراضهم بهلاك مروان الحمار.

وطعن القاضى عبد الجبّار فى كون الآية إشارة لما ذكر بأنّ أيام بنى أُمية كانت مذمومة أى باعتبار الغالب، فيبعد أن يقال فى شأن تلك الليلة إنّها خير من ألف شهر مذمومة:

ألم ترَ أنّ السيف ينقص قدره إذا قيل إنّ السيف خيرٌ من العصا

وأُجيب: إنّ تلك الأيام كانت عظيمة بحسب السعادات الدنيوية، فلا يبعد أن يقول اللَّه تعالى: أعطيتك ليلة فى السعادات الدينية أفضل من تلك فى السعادات الدنيوية، فلا تبقى فائدة.

ليلة القدر مع الأنبياء فى ما مضى فهى مع من فى ما بقى ...: ص: ۲۹۱

الروح النازل فى ليلة القدر قناة غيبية كانت مع الأنبياء، فهى مع من بعد النبىّ الخاتم؟

قال: وما أشير إليه من خصائص هذه الأُمّة هو الذى يقتضيه أكثر الأخبار الواردة فى سبب النزول، وصرّح به الهيثمى وغيره. وقال القسطلانى: إنّه معترض بحديث أبى ذر عند النسائى، حيث قال فيه: «يا رسول اللّه، أتكون مع الأنبياء فإذا ماتوا رُفعت. قال: بل هى باقية». ثمّ ذكر أنّ عمدة القائلين بذلك الخبر الذى قدّمناه فى سبب النزول من رؤيته صلى الله عليه و آله تقاصر أعمار أُمّته عن أعمار الأُمم، وتعقّبه بقوله هذا محتمل للتأويل، فلا يدفع الصريح فى حديث أبى ذر كما قاله الحافظان ابن كثير فى تفسيره، وابن حجر فى فتح البارى.

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۲۹۲

وقد اختلف العلماء فى ليلة القدر اختلافاً كثيراً، وتحصّل لنا من مذاهبهم فى ذلك أكثر من أربعين قولًا، كما وقع لنا نظير ذلك فى ساعة الجمعة، وقد اشتركتا فى إخفاء كلّ منهما ليقع الحدّ فى طلبهما:

القول الأوّل: إنّها رُفعت أصلًا ورأساً، حكاه المتولّى فى التتمّة عن الروافض، والفاكهانى فى شرح العمدة عن الحنفية، وكأنّه خطأ منه، والذى حكاه السروجى أنّه قول الشيعة.

أقول: بل الشيعة الإمامية هم المذهب الوحيد على وجه الأرض القائلون ببقاء الاتّصال بين الأرض والسماء، وأنّ هناك سبب متّصل هو الإمام من عترة النبىّ صلى الله عليه و آله، وإن لم يكن هذا الاتّصال وحياً نبويّاً، وهو الذى يتنزّل عليه الروح الأعظم والملائكة كلّ عام بعد النبىّ صلى الله عليه و آله، بينما المذاهب الإسلامية كلّها حتّى الزيدية، وإن قالوا باستمرار الإمامة السياسية وعدم حصرها بالأئمّة المنصوص عليهم وأنّ الإمامة هى لكلّ من قام بالثورة على الظلم ولا يشترط فيها العصمة، إلّا أنّهم قائلون بانقطاع الاتّصال أيضاً بين الغيب والشهادة، وانقطاع الاتّصال ذهبت إليه اليهود بعد النبىّ موسى عليه السلام، كما ذهبت إليه النصارى بعد النبىّ عيسى عليه السلام.

وقال: وقد روى عبد الرزّاق من طريق داود بن أبى عاصم، عن عبد اللّه بن يخنس: قلت لأبى هريرة: زعموا أنّ ليلة القدر رُفعت، قال: كذّب من قال ذلك.

ومن طريق عبد اللّه بن شُريك قال: ذكر الحجاج ليلة القدر فكأنّه أنكرها، فأراد زر بن حُبيش أن يحصبه فمنعه قوم.

الثانى: إنّها خاصّة بسنة واحدة وقعت فى زمن رسول اللّه صلى الله عليه و آله، حكاه الفاكهانى أيضاً.

الثالث: إنّها خاصّة بهذه الأُمّة، ولم تكن فى الأُمم قبلهم، جزم به ابن حبيب وغيره من المالكية ونقله الجمهور، وحكاه صاحب العدّة من الشافعية ورجّحه،

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۲۹۳

وهو معترض بحديث أبى ذر عند النسائى، حيث قال فيه: قلت: يا رسول اللّه صلى الله عليه و آله تقاصر أعمار أمّته عن أعمار الأُمم الماضية، فأعطاه اللّه ليلة القدر، وهذا يحتمل التأويل، فلا يدفع التصريح فى حديث أبى ذر. «۱»

ليلة القدر يفصل فيها المقدّرات لأحداث كلّ السنة ...: ص: ۲۹۳

وقال الآلوسى فى روح المعانى فى تفسير قوله تعالى «مِنْ كُلِّ أَمْرٍ» «۲»

: أى من أجل كلّ أمر تعلّق به التقدير فى تلك السنة إلى قابل وأظهره سبحانه وتعالى لهم، قاله غير واحد. ف (من) بمعنى اللام التعليلية متعلّقة بتنزّل، وقال أبوحاتم:

(من) بمعنى الباء، أى تنزّل بكلّ أمر، فقيل: أى من الخير والبركة، وقيل: من الخير والشرّ وجعلت الباء عليه للسببية.

والظاهر علی ما قالوا إنّ المراد بالملائکة المدبّرات؛ إذ غیرهم لا- تعلّق له بالأمور التی تعلّق بها التقدیر لیتنزّلوا لأجلها علی المعنی السابق، وهو خلاف ما تدلّ علیه الآثار من عدم اختصاصهم بالمدبّرات. «۳»

لیلة القدر یتحقّقها وتتنزّل علی من شاء اللَّه تعالی من عباده ...: ص: ۲۹۳

جاء فی شرح صحیح مسلم للنووی قوله: (إعلم أنّ لیلة القدر موجودة، وأنّها تُری ویتحقّقها من شاء اللَّه تعالی من بنی آدم کلّ سنة فی رمضان، کما تظاهرت علیه الأحادیث وأخبار الصالحین بها، ورؤیتهم لها أکثر من أن تُحصی. وأمّا قول القاضی عیاض عن المهلّب بن أبی صُفرة: لا یمکن رؤیتها حقیقةً، فغلط فاحش

الامامة الالهیة(۵)، ج۳، ص: ۲۹۴

نبهتُ علیه لئلّا یُغترّ به) «۱».

وقال فی ذیل سورة الدخان فی قوله تعالی «إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةٍ مُبارَکَةٍ» «۲»

: أی الکتاب المبین الذی هو القرآن علی القول المعوّل علیه فی «لَیْلَةٍ مُبارَکَةٍ» هی لیلة القدر، علی ما روی عن ابن عبّاس وقتادة.

وفی تحفة المحتاج لابن حجر الهیثمی: «لیس لرائیها کتمها، ولا ینال فضلها أی کمالها إلّامن أطلعه اللَّه علیها»، انتهی. والظاهر أنّه عنی برؤیتها رؤیة ما یحصل به العلم له بها ممّا خُصّت به من الأنوار وتنزّل الملائکة علیهم السلام، أی نحوٍ من الکشف ممّا لا یعرف حقیقته إلّاأهله، وهو کالنصّ فی أنّها یراها من شاء اللَّه تعالی من عباده. ثمّ حکی عن ابن شاهین: إنّه لا- یراها أحد من الأوّلین والآخرین إلّا نبیّنا صلی الله علیه و آله.

ثمّ قال: وفی بعض الأخبار ما یدلّ علی أنّ رؤیتها مناماً وقعت لغیره صلی الله علیه و آله، ففی صحیح مسلم وغیره عن ابن عمر: «إنّ رجالًا من أصحاب النبیّ صلی الله علیه و آله أُروا لیلة القدر فی المنام فی السبع الأواخر، فقال صلی الله علیه و آله: أری رؤیاکم قد تواطأت فی السبع الأواخر، فمن کان متحرّیاً فلیتحرّها فی السبع الأواخر» «۳».

وحکی نحو قول ابن شاهین عن غیره أیضاً وغلط، ففی شرح صحیح مسلم وابن جُبیر ومجاهد وابن زید والحسن، وعلیه أکثر المفسّرین والظواهر معهم..

والمراد بإنزاله فی تلک اللیلة إنزاله فیها جملةً إلی السماء الدنیا من اللوح، فالإنزال المنجّم فی ثلاث وعشرین سنة أو أقلّ کان من السماء الدنیا، وروی هذا عن ابن جریر وغیره، وذکر أنّ المحلّ الذی أُنزل فیه من تلک السماء البیت المعمور، وهو

الامامة الالهیة(۵)، ج۳، ص: ۲۹۵

مسامت للکعبة، بحیث لو نزل لنزل علیها.

وأخرج سعید بن منصور عن إبراهیم النخعی أنّه قال: أُنزل القرآن جملةً علی جبرئیل علیه السلام وکان جبرئیل علیه السلام یجیء به بعدُ إلی النبیّ صلی الله علیه و آله.

لیلة القدر فی سورة الشوری والنزول الأول للقرآن ...: ص: ۲۹۵

وقال فی ذیل قوله تعالی: «وَکَذلِکَ أَوْحَیْنا إِلَیْکَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنا ما کُنْتَ تَدْرِی مَا الْکِتابُ..» «۱»

: وهو ما أُوحی إلیه علیه الصلاة والسلام، أو القرآن الذی هو للقلوب بمنزلة الروح للأبدان حیث یحییها حیاة أبدیة. وقیل: أی ومثل الإیحاء المشهود لغیرک، أوحینا أبو القاسم إلیک. وقیل: أی مثل ذلک الإیحاء المفصّل، أوحینا إلیک، إذ کان علیه الصلاة والسلام اجتمعت له الطرق الثلاث، سواء فُسّر الوحی بالإلقاء، أم فُسّر بالکلام الشفاهی.

وقد ذُكر أنّه عليه الصلاة والسلام قد أَلقى إليه فى المنام كما أَلقى إلى إبراهيم عليه السلام، وأَلقى إليه عليه الصلاة والسلام فى اليقظة على نحو إلقاء الزبور إلى داود عليه السلام. ففى «الكبريت الأحمر» للشعرانى نقلًا عن الباب الثانى من «الفتوحات المكّية»: أنّه صلى الله عليه و آله أُعطى القرآن مجملًا قبل جبرئيل عليه السلام، من غير تفصيل الآيات والسور. وعن ابن عبّاس تفسير الروح بالنبوّة. وقال الربيع: هو جبرئيل عليه السلام.

وعليه، فأوحينا مضمّن معنى أرسلنا، والمعنى: أرسلناه بالوحى إليك؛ لأنّه لا يقال: أوحى الملك بل أرسله.

ونقل الطبرسى عن أبى جعفر وأبى عبداللّه رضى اللّه تعالى عنهما: أنّ المراد بهذا الروح ملك أعظم من جبرئيل وميكائيل، كان مع رسول اللّه صلى الله عليه و آله ولم يصعد

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۲۹۶

إلى السماء. وهذا القول فى غاية الغرابة، ولعلّه لا يصحّ عن هذين الإمامين.

وتنوين (روحاً) للتعظيم، أى روحاً عظيماً «۱».. وقال فى ذيل قوله تعالى «وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ» أى الروح الذى أوحيناه إليك. وقال ابن عطية: الضمير للكتاب، وقيل للإيمان ورجّح بالقرب، وقيل للكتاب والإيمان ووحّد؛ لأنّ مقصدهما واحد فهو نظير «وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ» «۲».

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۲۹۷

ليلة القدر فى روايات أهل سنّة الخلافة ... ص: ۲۹۷

دوام ليلة القدر فى كلّ عام إلى يوم القيامة ...: ص: ۲۹۷

۱- فقد روى عبد الرزّاق الصنعانى فى (المصنّف)، بسنده عن مولى معاوية، قال: (قلت لأبى هريرة: زعموا أنّ ليلة القدر قد رُفعت، قال: كذّب من قال كذلك، قلت: فهى كلّ شهر رمضان استقبله؟ قال: نعم.. الحديث) «۱»، ورواه عنه بطريق آخر «۲»، ورواه كنز العمّال أيضاً «۳».

۲- وروى عبد الرزّاق الصنعانى فى المصنّف بسنده عن ابن عبّاس، قال: «ليلة فى كلّ رمضان يأتى، قال: وحدّثنى يزيد بن عبداللّه بن الهاد: إنّ رسول اللّه صلى الله عليه و آله سُئِل عن ليلة القدر، فقيل له: كانت مع النبيّين ثم رُفعت حين قُبضوا، أو هى فى كلّ سنة؟ قال: بل هى فى كلّ سنة، بل هى فى كلّ سنة» «۴».

۳- وروى عن ابن جرير، قال: «حُدّثت: أنّ شيخاً من أهل المدينة سأل أباذر بمنى، فقال: رُفعت ليلة القدر أم هى فى كلّ رمضان؟ فقال أبوذر: سألت رسول اللّه صلى الله عليه و آله فقلت: يا رسول اللّه رُفعت ليلة القدر؟ قال: بل هى فى كلّ رمضان» «۵».

۴- وروى ابن أبى شيبة الكوفى فى المصنّف فى باب ليلة القدر، بسنده إلى ابن

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۲۹۸

أبى مرثد عن أبيه، قال: «كنت مع أبى ذر عند الجمرة الوسطى، فسألته عن ليلة القدر، فقال: كان أسأل الناس عنها رسول اللّه صلى الله عليه و آله: ليلة القدر كانت تكون على عهد الأنبياء فإذا ذهبوا رُفعت؟ قال: لا ولكن تكون إلى يوم القيامة» «۱».

۵- أخرج السيوطى فى الدرّ المنثور: «عن محمّد بن نصر، عن سعيد بن المسيب أنّه سُئل عن ليلة القدر، أهى شىء كان فذهب، أم هى فى كلّ عام؟ فقال: بل هى لأُمّة محمّد ما بقى منهم اثنان» «۲».

أقول وفى هذه الرواية وإن كانت مقطوعة دلالة على أن لو بقى فى الأرض رجلٌ واحد لكان الثانى هو الحجّة وخليفة اللّه فى الأرض، الذى تنزّل عليه ليلة القدر بمقادير الأُمور، وأنّ ليلة القدر هى من حقائق وخصائص روح الحجّة فى الأرض.

۶- وروى الطبرى بسنده عن ربيعة بن كلثوم، قال: «قال رجل للحسن وأنا أسمع:
أرأيت ليلة القدر فى كلّ رمضان هى؟ قال: نعم، واللَّه الذى لا إله إلّاهو أنّها لفى كلّ رمضان، وأنّها ليلة القدر فيها يُفرق كلّ أمر حكيم، فيها يقضى اللَّه كلّ أجل وعمل ورزق إلى مثلها» «۳».

النزول فى ليلة القدر وحى للأنبياء، واستمراره بعد الأنبياء ...: ص: ۲۹۸

قال ابن خزيمة فى صحيحه «۴»: باب ذكر أبواب ليلة القدر والتأليف بين الأخبار المأثورة عن النبىّ صلى الله عليه و آله، فيها ما يحسب كثيراً من حملة العلم ممّن لا يفهم صناعة العلم أنّها متهاترة متنافية وليس كذلك، هى عندنا بحمد اللَّه ونعمته، بل هى
الامامة الالهية(۵)، ج‌۳، ص: ۲۹۹
مختلفة الألفاظ متّفقة المعنى على ما سأبيّنه إن شاء اللَّه.
قال أيضاً: باب ذكر دوام ليلة القدر فى كلّ رمضان إلى قيام الساعة، ونفى انقطاعها بنفى الأنبياء.
۷- وروى بسنده إلى أبى مرثد، قال: «قال: لقينا أباذر وهو عند الجمرة الوسطى فسألته عن ليلة القدر، فقال: ما كان أحد بأسأل لها منّى، قلت: يارسول اللَّه ليلة القدر أُنزلت على الأنبياء بوحى إليهم فيها ثمّ ترجع؟ فقال: بل هى إلى يوم القيامة..
الحديث» «۱»
، ورواه بطريق آخر أيضا فى باب أنّ ليلة القدر فى العشر الأواخر من رمضان «۲».
۸- وروى النسائى، والقسطلانى، والهيثمى، وابن حجر فى فتح البارى، وابن كثير فى تفسيره حديث أبى ذر فى ليلة القدر قال: «يا رسول اللَّه أتكون مع الأنبياء فإذا ماتوا رُفعت؟ قال: بل هى باقية».
۹- وروى أحمد بن محمّد بن سلمة فى شرح معانى الآثار، فى باب الرجل يقول لامرأته أنت طالق ليلة القدر، متى يقع الطلاق؟ بسنده إلى مالك ابن مرثد عن أبيه، قال: «سألت أباذر فقلت: أسألت رسول اللَّه صلى الله عليه و آله عن ليلة القدر؟ قال: نعم، كنت أسأل الناس عنها، قال عكرمة: يعنى أشبع سؤلًا، قلت: يا رسول اللَّه، ليلة القدر أفى رمضان هى أم فى غيره؟ قال صلى الله عليه و آله: فى رمضان. قلت: وتكون مع الأنبياء ما كانوا فإذا رُفعوا رُفعت؟ قال: بل هى إلى يوم القيامة» «۳».
۱۰- وفى صحيح ابن حبان، قال فى باب ذكر البيان بأنّ ليلة القدر تكون فى العشر الأواخر كلّ سنة إلى أن تقوم الساعة، ثمّ روى بسند متّصل رواية أبى ذر
الامامة الالهية(۵)، ج‌۳، ص: ۳۰۰
المتقدّمة واللفظ فيها.. «تكون فى زمان الأنبياء ينزل عليهم الوحى، فإذا قُبضوا رُفعت؟
فقال صلى الله عليه و آله: بل هى إلى يوم القيامة» «۱».
وروى البيهقى فى فضائل الأوقات رواية أبى ذر المتقدّمة بإسناده «۲»، وقال قبل تلك الرواية: وليلة القدر التى ورد القرآن بفضيلتها إلى يوم القيامة وهى فى كلّ رمضان ... ثمّ نقل الخبر المزبور. وروى الهيثمى فى موارد الظمآن رواية أبى ذر بسنده «۳».
۱۱- وروى أحمد بن محمّد بن سلمة فى معانى الآثار، فى باب الرجل يقول لامرأته أنت طالق ليلة القدر، متى يقع الطلاق؟ بسنده إلى سعيد بن جبير عن ابن عمر، قال: «سُئِل رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وأنا أسمع عن ليلة القدر؟ فقال: فى كلّ رمضان». ففى هذا الحديث أنّها فى كلّ رمضان، فقال قوم هذا دليل على أنّها تكون فى أوّله وفى وسطه، كما قد تكون فى آخره. وقد يحتمل قوله صلى الله عليه و آله فى كلّ رمضان هذا المعنى، ويحتمل أنّها فى كلّ رمضان إلى يوم القيامة «۴»، ورواه بطرق اخرى غير مرفوعة.
أقول: هذه الروايات عند العامّة مطابقة لما يأتى من الروايات عند أهل البيت عليهم السلام، من عدّة وجوه، أهمّها:
أوّلًا: ليلة القدر كانت من لَدُن آدم عليه السلام، واستمرّت إلى النبىّ الخاتم صلى الله عليه و آله، وهى مستمرّة إلى يوم القيامة نزولًا

على خلفاء النبىّ الاثنى عشر.

وثانياً: إنّ هذا الروح النازل فى ليلة القدر هو قناة ارتباط الأنبياء والأوصياء مع الغيب.

وثالثاً: ممّا يدلّل على عموم الخلافة الإلهية: «إِنِّی جَاعِلٌ فِی الْأَرْضِ

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۰۱

خَلِيفَةً» «۱»

من لدن آدم وفى أوصياء كلّ نبىّ حتّى أوصياء النبىّ الخاتم، وأنّ هذه السفارة الإلهية لم تزل متّصلة ما استمرّ بنو آدم فى العيش على الأرض.

استمرار نزول باطن القرآن فى ليلة القدر إلى يوم القيامة ...: ص: ۳۰۱

۱۲- وروى الطبرانى فى المعجم الكبير بسنده: (حدّثنا أحمد بن رشدين، ثنا أبوصالح الحرانى سنة ثلاثة وعشرين ومئتين، حدّثنا حيان بن عبيداللّه بن زهير المصرى أبو زهير منذ ستّين سنة، قال: سألت الضحاك بن مزاحم عن قوله: «مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِی الْأَرْضِ وَلَا فِی أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِی كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ» «۲»

، وعن قوله: «إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» «۳»

، وعن قوله:

«إِنا كُلَّ شَیْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ» «۴»

، فقال: قال ابن عبّاس: إنّ اللّه عزّوجلّ خلق العرش فاستوى عليه، ثم خلق القلم فأمره ليجرى بإذنه، وعُظمَ القلم ما بين السماء والأرض، فقال القلم: بم يا ربّ أجرى، قال: بما أنا خالق وكائن فى خلقى من مطر أو نبات أو نفس أو أثر، يعنى به العمل أو الرزق أو الأجل، فجرى القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة فأثبته اللّه فى الكتاب المكنون عنده تحت العرش. وأمّا قوله «إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» فإنّ اللّه وكّل ملائكته يستنسخون من ذلك الكتاب كلّ عام فى رمضان ليلة القدر ما يكون فى الأرض من حدث إلى مثلها من السنة المقبلة، فيعارضون به حفظة اللّه على العباد كلّ عشية خميس، فيجدون ما رفع الحفظة موافق لما فى كتابهم ذلك، ليس فيه زيادة ولا نقصان) «۵».

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۰۲

أقول: فى تفسير ابن عبّاس لهذه الآيات عدّة أُمور:

الأوّل: كلّ ما كان وما يكون وما هو كائن فهو مستطرّ مكتوب فى الكتاب المكنون، الذى هو الوجود الغيبى للقرآن الكريم.

والثانى: إنّه يتنزّل منه ليلة القدر ما يتعلّق بكلّ سنة، وهذا يقتضى احتواء القرآن الكريم، وكذا ما ينزل منه ليلة القدر لكلّ تقدير فى الخلق، وقدر كلّ كائن وتكوين.

والثالث: إنّ ما يتنزّل ليلة فى كلّ عام هو ما وراء لفظ التنزيل، فلا تقتصر حقيقة القرآن وباطنه وتأويله على ظاهر لفظ المصحف.

والرابع: إنّ عشية كلّ خميس أى ليلة الجمعة هناك معارضة الكتبة الحفظة على العباد من أعمال، وبين ما نزل من الكتاب المكنون من القرآن فى ليلة القدر.

وهذه الأُمور الأربعة أُشير إليها بنحوٍ مستفيض فى روايات أهل البيت عليهم السلام كما سيأتى، ولا غرو فى ذلك؛ لأنّ ابن عبّاس قد نهل من أمير المؤمنين والحسنين عليهم السلام فعرف منهم هذا المقدار، وإن خفى عليه ما هو أعظم.

فيتحصّل من كلامه:

الخامس: اشتمال القرآن لكلّ علم وجميع العلوم.

السادس: إنّ ما ینزل فی لیلة القدر من کلّ عام إلی یوم القیامة هو من باطن القرآن.

السابع: فباطن القرآن لا زال یتنزّل فی کلّ عام إلی یوم القیامة، وقد ذُکر کلّ ذلک فی روایات أهل البیت علیهم السلام.

الثامن: إنّه یتمّ معارضة أی مطابقة ما ینزل منه لیلة القدر فی کلّ أُسبوع، کما قد حصل للنبیّ صلی الله علیه و آله معارضة ظاهرة التنزیل کلّ عام مع جبرئیل علیه السلام.

۱۳- وروی البیهقی فی فضائل الأوقات بسند متّصل إلی أبی نظیر، قال: یفرّق

الامامة الالهیة(۵)، ج۳، ص: ۳۰۳

أمر السنة کلّها فی لیلة القدر، بلائها ورخائها ومعاشها إلی مثلها من السنة «۱».

تباین حقیقة النازل من القرآن فی المرتین تکرّر نزول جملة القرآن مرّتین بل أکثر إلی یوم القیامة ...: ص: ۳۰۳

۱۴- روی الطبرانی فی المعجم الکبیر، بسند متّصل إلی ابن عبّاس فی قوله تعالی: «إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیلَةِ الْقَدْرِ»، قال: أُنزل القرآن جملة واحدة حتّی وضع فی بیت العزّة فی السماء الدنیا، ونزّله جبرئیل علی محمّد صلی الله علیه و آله بجواب کلام العباد وأعمالهم «۲».

۱۵- وروی ابن أبی شیبة الکوفی فی المصنّف فی باب القرآن متی نزل، بسند متّصل عن ابن عبّاس فی قوله «إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیلَةِ الْقَدْرِ»، قال: رفع إلی جبرئیل فی لیلة القدر جملة، فرفع إلی بیت العزّة، جعل ینزل تنزیلًا «۳».

۱۶- وروی النسائی فی السنن الکبری بسند متّصل عن ابن عبّاس، قال: نزل القرآن فی رمضان فی لیلة القدر إلی السماء الدنیا، فکان إذا أراد اللَّه أن یحدث شیئاً نزل، فکان بین أوّله إلی آخره عشرین.

وروی مثله بخمسة طرق أُخری کلّها عن ابن عبّاس، وزاد فی بعضها، قال: «وَلَا یأْتُونَک بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاک بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِیرًا» «۴» ، وقرأ:

«وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَی النَّاسِ عَلَی مُکْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِیلًا» «۵».

وفی طریق آخر منها زاد، وذلک «فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ» «۶». «۷»

الامامة الالهیة(۵)، ج۳، ص: ۳۰۴

۱۷- وروی الطبرانی فی المعجم الأوسط، قال: روی نزول القرآن فی لیلة القدر فی شهر رمضان إلی السماء الدنیا جملة ثمّ أُنزل نجوماً، ورواه بطرق أُخری متعدّدة «۱».

ومقتضی هذه الروایات، أنّ الذی نزل به جبرئیل علی النبیّ من القرآن أنّما هو النزول الثانی، أی النزول نجوماً من السماء الدنیا من بیت العزّة إلی النبیّ صلی الله علیه و آله، دون النزول الأوّل الذی هو جملة واحدة، ودون النزول المستمرّ فی کلّ عام فی لیلة القدر، ویقتضیه ظاهر آیة سورة الشوری وسورة القدر، کما سیأتی بیانه مفصّلًا، وأنّ النازل بجملة القرآن وفی لیلة القدر من کلّ عام إلی یوم القیامة هو روح القدس، والذی أُطلق علیه فی القرآن «رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا»، وجُعل فی سورة القدر مقابل للملائکة «یُنَزِّلُ الْمَلَائِکَةَ بِالرُّوحِ» «۲».

ومن ذلک یُعلم الاختلاف النوعی فی حقیقة التنزیلین، وأنّ النوعیة الأُولی من النزول وهی نزول القرآن جملة- هو المستمرّ فی لیلة القدر إلی یوم القیامة، وهو یرتبط بتأویل الکتاب، وتقدیر کلّ شیء یقع من المقادیر فی الخلق.

نزول القرآن لیلة القدر علی آل محمّد عوض غصب الخلافة ...: ص: ۳۰۴

۱۸- وروی البیهقی فی کتاب فضائل الأوقات بسند متّصل إلی یوسف بن مازن، قال: «قام رجل إلی الحسن بن علیّ رضی الله عنه

فقال: يا مسوّد وجه المؤمنين. قال الحسن بن عليّ رضى الله عنه: لا تؤنّبنى رحمك اللّه؛ فإنّ رسول اللّه صلى الله عليه و آله قد رأى بنى أُميّة يخطبون على

منبره رجلًا فرجلًا فساءه ذلک، فنزلت «إِنّا أَعْطَيْناکَ الْکَوْثَرَ» «۱»

نهر فی الجنّة، ونزلت «إِنّا أَنْزَلْناهُ فی لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَما أَدْراکَ ما لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ» «۲»

تملکه بنو أُمية، فحسبنا ذلک ... فإذا هو لا يزيد ولا ينقص» «۳».

۱۹- وروى ابن أبی الحديد، قال: «وقد جاء فی الأخبار الشائعة المستفيضة فی کتب المحدّثين، أنّ رسول اللّه صلى الله عليه و آله أخبر أنّ بنی أُمية تملک الخلافة بعده مع ذمّ منه صلى الله عليه و آله لهم. نحو ما روى عنه فی تفسير قوله تعالی: «وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِی أَرَيْنَاکَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِی الْقُرْآنِ» «۴»

، فإنّ المفسّرين قالوا: إنّه رأى بنی أُمية ينزون على منبره نزو القردة، هذا لفظ رسول اللّه صلى الله عليه و آله الذی فسّر لهم الآية به، فساءه ذلک، ثمّ قال: الشجرة الملعونة بنی أُمية وبنی المغيرة. ونحوه قوله صلى الله عليه و آله: إذا بلغ بنو العاص ثلاثون رجلًا اتّخذوا مال اللّه دولًا وعباده خولًا. ونحوه قوله صلى الله عليه و آله فی تفسير قوله تعالی: «لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ» «۵»

قال: ألف شهر يملک بها بنو أُمية».

وورد عنه صلى الله عليه و آله فی ذمّهم الکثير المشهور نحوه.. وروى المدائنی عن دخول سفيان بن أبی ليلى النهدی، رواية عن الحسن بن عليّ عليه السلام فی تفسير الآية، وهی التی قد تقدّم ذکرها «۶».

۲۰- وروى الطبری فی سورة القدر بسنده المتّصل عن عيسى بن مازن، قال:

«قلت للحسن بن عليّ رضى الله عنه: يا مسوّد وجوه المؤمنين، عمدت إلى هذا الرجل فبايعت له يعنی معاوية بن أبی سفيان فقال: إنّ رسول اللّه صلى الله عليه و آله أُرى فی منامه بنی أُمية يعلون منبره خليفة خليفة فشقّ ذلک عليه، فأنزل اللّه: «إِنّا أَعطَيناکَ الْکَوْثَرَ»، و «إِنّا أَنْزَلْناهُ

فی لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَما أَدْراکَ ما لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ»، يعنی ملک بنی أُمية». قال القاسم: حسبنا ملک بنی أُمية فإذا هو ألف شهر».

۲۱- وروى الترمذی فی سننه، والحاکم بسند متّصل إلى الحسن بن عليّ عليه السلام:

«إنّ النبيّ صلى الله عليه و آله أُرى بنی أُمية على منبره فساءه ذلک، فنزلت «إِنّا أَعْطَيْناکَ الْکَوْثَرَ»، ونزلت «إِنّا أَنْزَلْناهُ فی لَيْلَةِ الْقَدْرِ».. الحديث» «۱».

ورواه السيوطی فی الدرّ المنثور عن جرير والطبرانی وابن مردويه والبيهقی فی الدلائل من رواية يوسف بن سعد، وأخرج الخطيب عن ابن عبّاس نحوه، وکذا عن ابن نسيب، عنه صلى الله عليه و آله: «أُريت بنی أُمية يصعدون منبری فشقّ ذلک عليّ، فانزلت «إِنّا أَنْزَلْناهُ فی لَيْلَةِ الْقَدْرِ»».

أقول: ومقتضى هذه الروايات أنّ اللّه تعالی قد عوّض النبيّ وأهل بيته عن غصب الخلافة الظاهرية بإعطائهم ليلة القدر، أن تکون معهم کما کانت مع الأنبياء السابقين؛ إذ مقتضى جواب الإمام الحسن بن عليّ عليه السلام عن غصب معاوية الخلافة منه، هو أنّ اللّه تعالی قد عوّض النبيّ وأهل بيته أصحاب الکساء والأئمّة الاثنی عشر سلام اللّه عليهم بنزول الروح عليهم والملائکة فی ليلة القدر ينبّئونهم بکلّ أمر، وإلّا لما صحّ جواب الإمام الحسن بن علی عليه السلام فی قبال اعتراض السائل، بل ولما کان تعويض للنبيّ صلى الله عليه و آله، فإنّ مساءة النبيّ من نزو بنی أُمية على خلافته وغصبهم لها ليس فی زمانه، وإنّما بعد رحيله صلى الله عليه و آله حيث وقعت الفتنة

بنصّ الآیة الکریمة: «وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْیا الَّتِی أَرَیْنَاکَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِی الْقُرْآنِ» «۲»

، وبنصّ الروایات الواردة فی ذیل الآیـة عن النبیّ من طریقهم فضـلًا من طرقنا، فهـذه الروایات المسـتفیضة عندهم وعندنا فی ذیل الآیة مع نفس

الامامة الالهیة(۵)، ج۳، ص: ۳۰۷

مضمون الآیة هی أحد ملامح الأدلّة علی إمامة أهل البیت علیهم السلام وغصب أهل السقیفة وبنو اُمیة للخلافة.

کما أنّها دالّة علی أنّ لیلة القدر وما یتنزّل فیها والروح النازل، کلّ ذلک یرتبط ارتباطاً وثیقاً بحقیقة إمامتهم التکوینیة الإلهیة.

وسیأتی لاحقاً فی هـذا الفصل والـذی یُعـدّ أیضاً ارتباط حقیقة لیلة القدر بحکومتهم السیاسـیة الخفیة فی النظام الاجتماعی السیاسـی، ولکن بنمو تکوینی منظومی.

وهذا النازل فی لیلة القدر لیس وحی شریعة، وإنّما هو علم فی الإدارة والتدبیر والقیادة والإمامة الإلهیة، ومحلّ تقدیر وتدبیر لکلّ شیء فی القضاء والقدر الإلهی إلی السنة المقبلة.

حقیقة القرآن هی الروح النازل لیلة القدر ...: ص: ۳۰۷

۲۲- وروی السیوطی فی ذیل سورة النحل قوله تعالی: «یُنَزِّلُ الْمَلَائِکَةَ بِالرُّوحِ» «۱»

، قال: أخرج ابن جریر وابن أبی حاتم عن ابن عبّاس فی قوله تعالی:

«یُنَزِّلُ الْمَلَائِکَةَ بِالرُّوحِ»، قال: بالوحی.

۲۳- وکـذلک روی السـیوطی فی الموضع السـابق عن جملـة من المصـادر، عن قتـادة فی قوله: «یُنَزِّلُ الْمَلَائِکَـةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ»، قال: بالوحی والرحمة. وأخرج عن جملة، عن الضحّاک فی قوله تعالی: «یُنَزِّلُ الْمَلَائِکَةَ بِالرُّوحِ»، قال: القرآن «۲».

وروی الطبری بسنده عن قتادة مثله.

الامامة الالهیة(۵)، ج۳، ص: ۳۰۸

۲۴- وروی السیوطی فی الدرّ المنثور فی سورة الشوری فی ذیل قوله تعالی:

«وَکَذَلِکَ أَوْحَیْنَا إِلَیْکَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا کُنْتَ تَدْرِی مَا الْکِتَابُ» «۱»

، قـال: أخرج ابن المنـذر وابن أبی حـاتم عن ابن عبّـاس (رضـی اللّه عنهمـا) فی قوله: «وَکَـذَلِکَ أَوْحَیْنَـا إِلَیْـکَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا»، قال: القرآن «۲».

حقیقة الوحی هو نزول الروح کما فی لیلة القدر ومستمرّ إلی یوم القیامة ...: ص: ۳۰۸

أقول: ویُسـتفاد من مجموع هذه الطائفة من الروایات: أنّ حقیقة القرآن هی الروح الذی یتنزّل فی کلّ لیلة قدر، وأنّ نزوله فی کلّ لیلة قدر نزول للوحی الإلهی، بل إنّ الوحی لیس إلّانزول الروح والملائکة علی من یشاء من العباد المصطفون، من الأنبیاء والأوصیاء، ومن ثمّ عبّر فی سورة الشوری فی قوله تعـالی: «وَکَـذَلِکَ أَوْحَیْنَا إِلَیْکَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا کُنْتَ تَـدْرِی مَا الْکِتَابُ» عن إرسال الروح الأمری بأنّه وحیٌ، فالوحی هو إنزال الروح وإنزال الروح هو وحی، فتصـریح القرآن الکریم فی سورة القدر بتنزیل الروح کلّ عام، هو تصریح باستمرار الوحی بعد سید الأنبیاء، غایة الأمر الذی یتنزّل هو من غیب القرآن الذی قد ورّثه النبیّ صلی الله علیه و آله لأوصیائه.

عقیدة البداء وحقیقة لیلة القدر ...: ص: ۳۰۸

۲۵- وروى الطبرى فى سورة الرعد فى ذيل قوله تعالى: «يَمْحُواْ اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أَمُّ الْكِتَابِ» «۳»

بسنده المتّصل عن مجاهد قول اللّه: «يَمْحُواْ اللَّهُ مَا

يَشَاءُ وَيُثْبِتُ»، قالت قريش حين أُنزل: «وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِىَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ»: ما نراك يا محمّد تملك من شىء، ولقد فُرغ من الأمر، فأُنزلت هذه الآية تخويفاً ووعيداً لهم أنّا إن شئنا أحدثنا من أمرنا ما شئنا، ونُحدث فى كلّ رمضان فنمحو ونثبت ما نشاء من أرزاق الناس ومصائبهم، وما نعطيهم وما نقسّم لهم «۱».

أقول: وفى هذه الرواية والروايات التى رويت فى ذيل الآية والتى رواها أهل سنّة جماعة الخلافة والسلطان، دالّة على عقيدة البداء التى هى نوع من النسخ التكوينى الواردة فى روايات أهل البيت، كما تدلّ هذه الروايات على أنّ ما فى أمّ الكتاب الذى هو أصل القرآن وحقيقته العلوية الغيبية، متضمّن لكلّ قضاء وقدر، وليس هو مجرّد ظاهر التنزيل، وهذه الحقيقة للقرآن لا ينالها إلّاالمعصوم الذى ينزّل عليه الروح فى ليلة القدر، ولا يطمع فى نيلها غير المعصوم؛ إذ ليس الأمر بالأمانى والتمنّى، هيهات. وما سيأتى ومضى من رواياتهم لا يخفى تضمّنه لمعنى النسخ والبداء.

۲۶- وروى الطبرى فى سورة الدخان، بسنده عن ابن زيد فى قوله عزّوجلّ:

«إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ» «۲»

، قال: تلك الليلة ليلة القدر، أنزل اللّه هذا القرآن من أمّ الكتاب فى ليلة القدر، ثمّ أنزله على الأنبياء فى الليالى والأيام، وفى غير ليلة القدر «۳».

أقول: هذه الرواية دالّة على أنّ الذى يتنزّل من أُمّ الكتاب الذى هو أصل القرآن وحقيقته الغيبية العلوية، والذى يتنزّل منه، ليس ظاهر التنزيل، بل كلّ المقادير وقضاء الحوادث الكونية وأنّ ذلك التنزّل مستمرّ ليس فى خصوص ليلة القدر،

بل على مرّ الليالى والأيام والآناء واللحظات، وأنّه لا زال يتنزّل بعد ذهاب الأنبياء، يتنزّل على الأوصياء خلفاء النبىّ- الاثنى عشر من قريش سلام اللّه عليهم، وهذا المضمون قد ورد فى روايات أهل البيت عليهم السلام.

۲۷- وروى الطبرى فى سورة الرعد، بسند متّصل عن قتادة قوله تعالى:

«وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ»، قال: جملة الكتاب وأصله.

۲۸- وروى الطبرى فى الموضع المذكور بسنده إلى الضحّاك فى قوله:

«وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ»، قال: كتاب عند ربّ العالمين.

۲۹- وروى الطبرى عن الضحّاك أيضاً فى الموضع المزبور «وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ»، قال: جملة الكتاب وعلمه، يعنى ما بذلك ما ينسخ منه وما يثبت.

وروى نظيره بسند متّصل عن ابن عبّاس «كَانَ ذَلِكَ فِى الْكِتَابِ مَسْطُورًا» «۱».

أقول: مقتضى التعبير بلفظ جملة الكتاب عنده تعالى، أنّ ظاهر التنزيل ليس كلّ درجات حقيقة الكتاب، وأنّ جملته مجموع ما فيه من التأويل والحقائق وكلّ قضاء وقدر، وكلّ ما كان ويكون فهو فى أُمّ الكتاب، وهو الذى ينزل منه كلّ عام فى ليلة القدر بتوسّط الروح، وأنّه لازال ينزل من باطن الكتاب وتأويل كلّ عام فى ليلة القدر إلى يوم القيامة، بل فى كلّ ليلة، وأنّه كما مرّ فى بعض الروايات المتقدّمة.

وكلّ هذا المضمون قد ورد فى روايات أهل البيت كما ستأتى الإشارة إليه، فللكتاب جملة يستطرّ فيها كلّ شىء، ما من غائبة فى السماء والأرض، ولا رطب ولا يابس إلّافى كتاب مبين، فظاهر التنزيل الذى بين الدفّتين وهو المصحف الشريف، لا يحيط ولا يحتوى

بما فی أُمّ الکتاب، وإنّما هو ظهر یوقف علیه

الامامهٔ الالهیهٔ(۵)، ج۳، ص: ۳۱۱

للوصول إلی البطون والتأویلات والحقائق، بهدایهٔ الراسخین فی العلم الذین هم أهل آیهٔ التطهیر الذین یمسّون الکتاب المکنون، کما دلّت علی ذلک الآیات الکریمهٔ فی السور المختلفهٔ.

بل إنّ من تصریح الآیات بأنّ أهل البیت المطهّرین الذین یمسّون الکتاب المکنون، یُعلم بالتلازم أنّ أهل البیت هم الذین یتنزّل علیهم روح القدس فی لیلهٔ القدر، بما فی أُمّ الکتاب من القضاء والقدر لکلّ سنهٔ، کما أنّ من التلازم فی حدیث الثقلین من العترهٔ والکتاب وعدم افتراقهما، یُعلم تلازمهما فی کلّ ما ینزل من الکتاب فی کلّ سنهٔ.

کما أنّ من التعبیر بأنّ عنده أُمّ الکتاب الذی هو جملهٔ مجموعه، وأصله وحقیقته التعبیر بأنّ هذه الجملهٔ والحقیقهٔ عند اللّه للدلالهٔ علی القرب المعنوی بحسب نشأهٔ عوالم الخلقهٔ، فمکانته الوجودیهٔ غیبیهٔ مکنونهٔ فی لوح محفوظ ذات مجد کونی وتکوینی، وهی الروح الأعظم کما سیأتی فی الروایات.

۳۰- وروی بسنده عن ابن عبّاس أنّه سأل کعب عن أُمّ الکتاب، قال: علم اللّه ما هو خالق ما خلقه عاملون، فقال لعلمه: کن کتاباً فکان کتاباً.. وقال الطبری بعد ذلک: وأولی الأقوال بذلک بالصواب قول من قال وعنده أصل الکتاب وجملته؛ وذلک أنّه تعالی ذِکره أخبر أنّه یمحو ما یشاء ویثبت ما یشاء، ثم عقّب بذلک بقوله: «وَعِنْدَهُ أُمُّ الْکِتَابِ»، فکان بیّناً أنّ معناه عنده أصل المثبت منه والمحو، وجملته فی کتاب لدیه.

۳۱- وروی الطبری فی سورهٔ الدخان بسند متّصل عن ابن زید فی قوله عزّوجلّ: «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِی لَیْلَةٍ مُبَارَکَةٍ إِنَّا کُنَّا مُنْذِرِینَ» «۱»

، قال: تلک اللیلهٔ لیلهٔ القدر،

الامامهٔ الالهیهٔ(۵)، ج۳، ص: ۳۱۲

وأنزل اللّه هذا القرآن من أُمّ الکتاب فی لیلهٔ القدر، ثمّ أنزله علی الأنبیاء فی اللیالی والأیام وفی غیر لیلهٔ القدر.

۳۲- وروی الطبری فی ذیل سورهٔ الدخان بسنده عن عمر مولی غفرهٔ، قال:

یقال: ینسخ لملک الموت من یموت فی لیلهٔ القدر إلی مثلها؛ وذلک لأنّ اللّه عزّوجلّ یقول: «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِی لَیْلَةٍ مُبَارَکَةٍ»، وقال: «فِیهَا یُفْرَقُ کُلُّ أَمْرٍ حَکِیمٍ» «۱»

، قال: فتجد الرجل ینکح النساء ویغرس الغرس واسمه فی الأموات.

أقول: ومقتضی هاتین الروایتین أنّ القرآن النازل فی لیلهٔ القدر- وهی اللیلهٔ المبارکهٔ- یُسمّی بحسب حقیقته الغیبیهٔ بعدّهٔ أسماء، وهی بحسب مراتبه الغیبیهٔ:

الکتاب المبین، وأُمّ الکتاب، والکتاب المکنون. کما أنّ مقتضی الروایهٔ الأخیرهٔ هیمنهٔ القرآن والروح النازل فی لیلهٔ القدر علی وظائف ملک الموت، وأنّه تابع منقاد للروح، وکذلک میکائیل الموکّل بالأرزاق، وإسرافیل الموکّل بالأحیاء، وجبرئیل الموکّل بالعلم والبطش.

وقال الطبری فی ذیل سورهٔ الدخان: وقوله: «إِنَّا کُنَّا مُرْسِلِینَ» «۲»

، یقول تعالی ذکره: «إِنَّا کُنَّا مُرْسِلِینَ» رسولنا محمّد صلی الله علیه و آله إلی عبادنا «رَحْمَةً مِنْ رَبِّکَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِیعُ الْعَلِیمُ» «۳».

وقال: وقوله: «أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا کُنَّا مُرْسِلِینَ» «۴»

، یقول تعالی ذکره: فی هذه

الامامهٔ الالهیهٔ(۵)، ج۳، ص: ۳۱۳

اللیلهٔ المبارکهٔ یُفرق کلّ أمر حکیم أمراً من عندنا.

أقول: إنّ الإرسال فی الآیات الکریمة فی سورة الدخان مرتبط بإنزال الروح لیلة القدر بتقادیر الحوادث کلّها، وهذا الإرسال فی کلّ لیلة قدر من کلّ عام إلی یوم القیامة وإن لم یکن إرسال نبوّة ورسالة، بل هو تزوید لخلیفة اللّه فی الأرض، واطّلاعه بإرادات اللّه ومشیئاته للقیام بالمسؤولیات الإلهیة الخطیرة التی تعهد إلیه من الباری تعالی، والتی تتوقّف علی هذا الکمّ الهائل من العلم بالمقدّرات الإلهیة المستقبلیة.

دوام لیلة القدر من الروایات الحاثّة علی فضیلتها فی الصحاح ...: ص: ۳۱۳

قد عقد البخاری ومسلم کلّ منهما باباً بعد کتاب الصوم أُدرج فیه خمسة أبواب:

الأوّل: فی فضل لیلة القدر.

الثانی: التماس لیلة القدر فی السبع الأواخر.

الثالث: تحرّی لیلة القدر فی الوتر من العشر. وأورد فیها البخاری روایات عن النبیّ صلی الله علیه و آله کلّها آمره بالتماس وتحرّی لیلة القدر، أی طلبها کلّ عام، ممّا یقضی بدوام لیلة القدر إلی یوم القیامة.

وممّا أورده فی تلک الروایات بسنده عن ابن عمر أنّ رجالًا من أصحاب النبیّ صلی الله علیه و آله أُروا لیلة القدر فی المنام فی السبع الأواخر، فقال صلی الله علیه و آله: أری رؤیاکم قد تواطأت فی السبع الأواخر، فمن کان متحرّیها فلیتحرّها فی السبع الأواخر.

أقول: مقتضی هذه الروایة أنّ لیلة القدر حقیقة قد یری بعضُ آیاتها، وبعض لمعانها وأنوارها بعضُ البشر. ومثله فی صحیح مسلم.

الامامة الالهیة(۵)، ج۳، ص: ۳۱۵

شهر رمضان إعداد للیلة القدر هی باب عظیم لمعرفة الإمام علیه السلام ... ص: ۳۱۵

اشارة

فکما أن هناک صلة بین شهر رمضان ولیلة القدر، فهناک صلة وثیقة بینهما وبین حقیقة الإمام علیه السلام، وکما أنّ شهر رجب وشهر شعبان یوطّئان ویمهّدان لشهر رمضان، فکذلک شهر رمضان یوطئ للیلة القدر، ولیلة القدر بدورها توطئ لنزول الروح والملائکة الذی هو نزول لحقیقة القرآن، والروح أنّما ینزل بکلّ أمر علی من یصطفیه اللّه من عباده فی کلّ عام وهو الإمام، وتعظیم شهر رمضان أنّما هو لما فیه من لیلة القدر، وعظمة لیلة القدر أنّما هی لما فیها من نزول الروح ونزول القرآن، وهو أنما ینزل علی من یشاء من عباد اللّه، مَنْ اصطُفی لذلک.

فشهر رمضان بیئة نوریة للیلة القدر، ولیلة القدر بیئة أشدّ نوراً لنزول الروح، ونزول الروح أشدّ نوراً بأضعاف عند من یتنزّل علیه الروح.

فالانشداد إلی شهر رمضان انشداد إلی لیلة القدر، والانشداد إلی لیلة القدر انشداد إلی الإمام الذی یتنزّل علیه الروح. وإدراک لیلة القدر هو بمعرفة حقیقة القدر وهی نزول الروح علی من یشاء اللّه من عباده المصطفین بکلّ أمر یقدّره من حوادث السنةّ، فمعرفة لیلة القدر معرفة لحقیقة النبوّة والإمامة وإدراکها هو بهذه المعرفة.

روی الکلینی عن أبی جعفر علیه السلام، قال: «.. فضل إیمان المؤمن بجملة «إِنَّا أَنْزَلْناهُ» وتفسیرها علی من لیس مثله فی الإیمان بها، کفضل الإنسان علی البهائم،

الامامة الالهیة(۵)، ج۳، ص: ۳۱۶

وإنّ اللّه عزّوجلّ لیدفع بالمؤمنین بها عن الجاحدین لها فی الدنیا لکمال عذاب الآخرة لمن علم أنّه لا- یتوب منهم- ما یدفع بالمجاهدین عن القاعدین»، الحدیث «۱».

بيئة ليلة القدر شهر رمضان ...: ص: ۳۱۶

إنّ الناظر فى خصائص شهر رمضان وما أحيط به من هالة معنوية وزخم روحى كبير وتركيز مكثّف هو تمهيد لليلة القدر، وإنّ ذلك لا يقتصر على شهر رمضان بل يبدأ من شهر رجب ومن بعده شهر شعبان إلى أن يصل شهر رمضان، شهر اللّه الذى عُظّم من اللّه عزّوجلّ، حيث نُسب إليه تعالى وجُعلت فيه ليلة القدر.

وكذلك كونه شهر ضيافة اللّه عزّوجلّ وأنّه أُنزل فيه القرآن العظيم، حيث قال تعالى: «شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِى أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ» «۲».

وكلّ هذا التعظيم حلقات مترابطة لتصل إلى ما فى شهر رمضان من أوج العظمة وهى ليلة القدر، حيث إنّ فضائل شهر رمضان فى جانب وفضائل ليلة القدر فى جانب آخر، فإنّ كلّ ما حفّ به شهر رجب الأصبّ الذى تصبّ فيه الرحمة صبّاً، وشهر شعبان الذى تتشعّب فيه طرق الخير، كلّ ذلك قد تضاعف أضعافاً فى خصائص شهر رمضان، وتضاعف ما فى شهر رمضان من خصائص إلى ثلاثين ألف ضعف فى ليلة القدر.

فليلة القدر هى أوج عظمة الضيافة الإلهية والحفاوة الربّانية، فأوج نصيب حظّ العباد إدراك ليلة القدر، إلّاأنّ هذا الإدراك للّيلة العظيمة ليس بمجرّد الكمّ الكبير من العبادات والأدعية والابتهال والتنفّل؛ فإنّ كلّ ذلك إعداد ضرورى لما وراءه من

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۱۷

إدراك آخر لحقيقة ليلة القدر وهو معرفة هذه الليلة، ومعرفتها هو بمعرفة حقيقتها المتّصلة بحقيقة الإمام والإمامة.

فمن ثمّ كان شهر رمضان شهر اللّه الأغرّ وشهر معرفة الإمام خليفة اللّه فى أرضه، فكما أنّ شهر رمضان نفخ بالحياة للدين القويم، فإنّ ليلة القدر هى القلب النابض فى هذا الشهر؛ لما لها من صلة بالإمام وتنزّل الروح الأعظم عليه.

فشهر رمضان بوابة لمعرفة ليلة القدر، وليلة القدر بوابة لمعرفة الإمام والارتباط به والانشداد إليه، فجُعل شهر رمضان سيد الشهور كما جاء فى روايات الفريقين، وجُعلت ليلة القدر قلب شهر رمضان كما ورد فى الحديث.

وقد جُعل شهر رمضان أعظم حرمة من الأشهر الحُرُم الأربعة، وهذه العظمة لشهر رمضان أنّما هو لما فيه من تلك الليلة العظيمة، فهو كالجسم وهى كالروح له، مع أنّ شهر رمضان هو كالروح للأشهر الحُرُم الأربعة التى منها شهر رجب.

وكلّ ذلك يرسم مدى العظمة التى تحتلّها ليلة القدر، وقد بيّن الغاية من الصيام فى شهر رمضان فى قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ» «۱».

والصيام على درجات كما كان فى الشرائع السابقة، فلا يقتصر على الإمساك البدنى بل يرتبط بالدرجات الاعتقادية كالإمساك عن الكذب على اللّه ورسوله، فصيام على مستوى الجانب البدنى وصيام الجوانح وصيام على مستوى الحالات النفسية والخواطر، وهناك صيام على مستوى الحالات القلبية وحالاته وخواطره.

وأعظم المراتب على مستوى الاعتقاد، كما يشير إليه قول الإمام الصادق عليه السلام

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۱۸

فى رواية جراح المدائنى «۱»، فبيّن عليه السلام صوم الصمت كما هو صوم زكريا ومريم، وعُرف بصوم الصمت الداخل، أى الإمساك بحسب كلّ مراتب النفس الباطنية.

فشهر رمضان بيئة عظيمة لليلة القدر، وقد وصف هذا الشهر كما فى خطبة النبىّ صلى الله عليه و آله التى رواها الصدوق بسند معتبر عن الرضا عليه السلام، عن أمير المؤمنين عليه السلام:

«شهر اللّه ذى البركة والرحمة والمغفرة، شهر، هو عند اللّه أفضل الشهور وأيامه أفضل الأيام ولياليه أفضل الليالى وساعاته أفضل

الساعات، هو شهر دُعیتم به إلی ضیافة اللَّه وجُعلتم به من أهل کرامة اللَّه، أنفاسکم فیه تسبیح ونومکم فیه عبادة وعملکم فیه مقبول ودعاؤکم فیه مستجاب.. هذا الشهر العظیم.. ومن تلی فیه آیة من القرآن کان له مثل أجر من ختم القرآن فی غیره من الشهور. أیّها الناس، إنّ أبواب الجنان فی هذا الشهر مفتّحة فسلوا ربّکم أن لا یغلقها علیکم، وأبواب النیران مغلّقة فسلوا ربّکم أن لا یفتحها علیکم، والشیاطین مغلولة فسلوا ربّکم أن لا یسلّطها علیکم».

فهذا الشهر قد عظّمه الباری وکرّمه وشرّفه وفضّله علی الشهور، وافترض صیامه علی العباد، وأنزل فیه القرآن هدی للناس وبیّنات من الهدی والفرقان، وجعل فیه لیلة القدر وجعلها خیراً من ألف شهر.

أوصاف لیلة القدر ...: ص: ۳۱۸

إلّا أنّ کلّ هذه الأوصاف لشهر رمضان بالقیاس إلی أوصاف لیلة القدر منه هی

الامامة الالهیة(۵)، ج۳، ص: ۳۱۹

دون الأوصاف التی وصفت بها تلک اللیلة؛ فإنّ تلک الأوصاف قد ذکرت للیلة القدر بنحو مضاعف أضعافاً، وکأنّ الشهر توطئة وإعداد للولوج فی تلک اللیلة، حتّی أنّ أغلب أدعیة ذلک الشهر المأثورة ترکّز علی الدعاء والطلب لإدراک تلک اللیلة، ولطلب حسن ما یقضی ویقدّر من الأمر المحتوم وما یفرق من الأمر الحکیم فی تلک اللیلة من القضاء الذی لا یردّ ولا یبدّل.

ومن تلک الأوصاف، أنها أوّل السنة المعنویة بلحاظ لوح القضاء والقدر. فقد روی الکُلینی عن رفاعة عن أبی عبداللَّه علیه السلام قال: «لیلة القدر هی أوّل السنة وهی آخرها» «۱».

وروی الشیخ فی التهذیب بعدّة أسانید إلی مولانا الصادق علیه السلام أنّه قال: «إذا سلم شهر رمضان سلمت السنة، وقال: رأس السنة شهر رمضان» «۲».

وروی الکُلینی بسنده إلی أبی عبد اللَّه علیه السلام، قال: «الشهور عند اللَّه اثنا عشر شهراً فی کتاب اللَّه یوم خلق السماوات والأرض، فغرّة الشهور شهر اللَّه عزّوجلّ وهو شهر رمضان، وقلب شهر رمضان لیلة القدر» «۳».

وروی ابن طاووس فی الإقبال بإسناده إلی علی بن فضّال من کتاب الصیام، بإسناده إلی ابن أبی عمیر، عن هشام بن سالم، عن أبی عبد اللَّه علیه السلام، قال: «شهر رمضان رأس السنة» «۴».

وقال أیضاً فی کتاب إقبال الأعمال بعد ذکر جملة للروایات المتضمّنة لهذا المضمون: (واعلم أنّنی وجدت الروایات مختلفات، هل أنّ أوّل السنة محرّم أو شهر رمضان؟ لکنّنی رأیت من عمل من أدرکته من علماء أصحابنا المعتبرین

الامامة الالهیة(۵)، ج۳، ص: ۳۲۰

وکثیراً من تصانیف علمائهم الماضین، أنّ أوّل السنة شهر رمضان علی التعیین، ولعلّ شهر الصیام أوّل العام فی عبادات الإسلام، والمحرّم أوّل السنة فی غیر ذلک من التواریخ ومهام الأنام؛ لأنّه جلّ جلاله عظّم شهر رمضان، فقال جلّ جلاله:

«شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِی أُنْزِلَ فِیهِ الْقُرْآنُ هُدًی لِلنَّاسِ وَبَیِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَی وَالْفُرْقَانِ» «۱»

فلسان حال هذا التعظیم کالشاهد لشهر رمضان بالتقدیم؛ ولأنّه لم یجر لشهر من شهور السنة ذکر باسمه فی القرآن وتعظیم أمره إلّالهذا الشهر شهر الصیام، وهذا الاختصاص بذکره کأنه ینبّه- واللَّه أعلم- علی تقدیم أمره؛ ولأنّه إذا کان أوّل السنة شهر الصیام وفیه ما قد اختصّ به من العبادات التی لیست فی غیره من الشهور والأیام، فکأنّ الإنسان قد استقبل أوّل السنة؛ ولأنّ فیه لیلة القدر التی یُکتب فیها مقدار الآجال وإطلاق الآمال، وذلک منبّه علی أنّ شهر الصیام أوّل السنة) «۲».

قال المجلسی قدس سره: قال الوالد العلّامة: (الظاهر أنّ الأوّلیة باعتبار التقدیر، أی أوّل السنة التی تقدّر فیها الأُمور للیلة القدر، والآخریة باعتبار المجاورة، فإنّ ما قدّر فی السنة الماضیة انتهی إلیها، کما ورد أنّ أوّل السنة التی یحلّ فیها الأکل والشرب یوم الفطر،

أو أنّ عملها يُكتب فى آخر السنة الأولى وأوّل السنة الثانية كصلاة الصبح فى أوّل الوقت، أو يكون أوّل السنة باعتبار تقدير ما يكون فى السنة الآتية وآخر سنة المقدّر فيها الأُمور) «٣».

ومنها: ما رواه الطبرسى فى مجمع البيان، والاستربادى فى تأويل الآيات. عن ابن عبّاس عن النبىّ صلى الله عليه و آله أنّه قال: «إذا كانت ليلة القدر تنزّل الملائكة الذين هم سكان سدرة المنتهى وفيهم جبرئيل، ومعهم ألوية فينصب لواء منها على قبرى ولواء منها

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۲۱

فى المسجد الحرام ولواء منها على طور سيناء، ولا يدع مؤمن ولا مؤمنة إلّاويسلّم عليه، إلّامدمن خمر وآكل لحم خنزير والمتضمّخ بالزعفران» «۱»

. ونظيره ما روى فى كتاب جعفر بن محمد الدورسترى.

ومنها: يفرق فيها كلّ أمر حكيم، وأنّها مباركة ببركة خاصّة مضاعفة مُمتازة عن بركة شهر رمضان كلّه، حيث قال تعالى: «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ* فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ» «۲»

، وقوله تعالى: «وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ* لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ* تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ» «۳».

ومنها: أنّها موصوفة بالسلامة، حيث قال تعالى: «سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ» «۴»

، مع أنّ شهر رمضان كما تقدّم- تُصفد فيه الشياطين وتُفتح فيه أبواب السماء وأبواب الجنان وتُغلق أبواب النيران، إلّاأنّ فى ليلة القدر يزداد هذا الفتح لأبواب والغلق لأبواب أُخرى.

ومنها: يُضاعف العمل ثلاثين ألف ضعف، كما قال تعالى: «خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ». إلى غير ذلك من الخصائص التى امتازت بها ليلة القدر، إلّاأنّ كلّ ذلك هو تمهيد وتوطئة وإعداد لأكبر امتياز وخاصّية امتازت بها ليلة القدر، وهو نزول القرآن والروح والملائكة فيها فى كلّ عام.

وروى فى مجمع البيان عن النبىّ صلى الله عليه و آله قال: «إنّ الشيطان لا يخرج فى هذه الليلة حتّى يضىء فجرها، ولا يستطيع فيها أن ينال أحداً بخبل أو داء أو ضرب من ضروب الفساد، ولا ينفذ فيه سحر ساحر» «۵».

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۲۲

ليلة القدر بيئة لنزول القرآن كلّ عام ...: ص: ۳۲۲

فكلّ الإعداد السابق للمسلم والمؤمن فى بيئة شهر رمضان المباركة ومحيط أجواء النور فى ليلة القدر وعبادة المؤمن وأعماله فى هذه الليلة المتضاعفة أضعافاً، تبلغ أجر العمل فى هذه الليلة من كلّ عام ما يزيد على عمر الإنسان لو قدّر تطاوله إلى ما يزيد على ثلاث وثمانين عاماً.

كلّ هذا الإعداد والرقى الروحى للمؤمن يُكتب له لأجل أن يدرك ليلة القدر، وإدراكها بدراية (ما ليلة القدر) حيث قال تعالى: «وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ» «۱»

وهو تحضيض وترغيب وحثّ على دراية ومعرفة ليلة القدر؛ ف «وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ» أى ما أعلمك بليلة القدر، فإدراكها بدرايتها.

وليست درايتها ومعرفتها هى بمعرفة وقتها الزمانى ليتخيّل أنّ إدراكها هو بتحديد أى ليلة هى من الليالى لتوقع الأعمال العبادية فيها، بل هذا أدنى درجات الإدراك، ومعدّ إلى درجات أُخرى لإدراكها بدرايتها ومعرفة الإرهاصات التى تقع فيها، ومن ثمّ قال تعالى عقيب قوله «وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ» بقوله تعالى بخيريّتها من ألف شهر، وأوج معرفتها بتنزّل الملائكة والروح فيها من كلّ أمر، فالعمدة فى درك ودراية هذه الليلة بمعرفة نزول الروح والملائكة فيها من كلّ عام.

ويواجه الباحث هنا عدّة تساؤلات:

الأوّل: ما هى العلاقة بين نزول القرآن فى ليلة القدر ونزول الروح؟ وما هذه الصلة التى يجدها ملحوظة فى سورة القدر؟ حيث إنّ الضمير فى «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ» يعود إلى القرآن، كما أنّ الضمير فى سورة الدخان «حم* وَالْكِتَابِ

الْمُبِينِ* إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ» يعود إلى الكتاب المبين، وقوله تعالى «شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِى أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ» «۱».

الثانى: هل النزول للقرآن يستمرّ باستمرار نزول الروح فى ليلة القدر من كلّ عام؟

الثالث: ما هى الصلة بين الكتاب المبين والقرآن الذى أُنزل فى الليلة المباركة ليلة القدر؟ كما فى سورة الدخان التى تقدّمت، وفى سورة الزخرف من قوله تعالى: «حم* وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ* إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ* وَإِنَّهُ فِى أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ» «۲».

وقد وصفت الآيات المحكمات بأنّهن أمّ الكتاب فى سورة آل عمران فى قوله تعالى: «هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ» «۳».

الرابع: ما هى الصلة بين نزول القرآن ونزول الروح والملائكة، وتقدير كلّ أمر من الحوادث والآجال والأرزاق، وكلّ صغيرة وكبيرة تقع على كلّ شخص وكلّ مجتمع بل كلّ نبات وحيوان وجماد وكون ومكان ودول وجماعات وأحزاب ومنظمات إقليمية وقطرية ومذاهب وطوائف وحرب وسلم وغلاء ورخص وأمن وخوف ومواليد وأموات؟

وتدبير كلّ شىء من عظائم الأُمور وصغائرها، وأحلاف سياسية وعسكرية وأمنية، ومخطّطات ومشاريع، وظواهر اجتماعية واقتصادية، وظواهر فكرية اعتقادية، وانتشار الأمراض والأوبئة المهدّدة للصحّة العالمية البشرية، والسياسات المتبنّاة فى كلّ إقليم، وتوازن القوى الاجتماعية والإقليمية والدولية،

وسقوط دول وبروز أُخرى، وتبدّل أعراف ونشوء أُخرى قانونية واجتماعية وأخلاقية، وما سيدور فى الدوائر الأمنية والسياسية والمخابراتية الدولية والقطرية من خلف الكواليس؟ حيث قال تعالى فى سورة الدخان: «فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ* أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ» «۱»

، وقال فى سورة القدر: «تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ» «۲»

، وقوله تعالى: «يَمْحُواْ اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ» «۳»

، وقوله تعالى: «يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ» «۴»

، وقوله تعالى:

«وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً» «۵».

وروى الكُلينى عن أبى عبداللّه عليه السلام قال: «كان علىّ عليه السلام كثيراً ما يقول: ما اجتمع التيمى والعدوى عند رسول اللّه صلى الله عليه و آله وهو يقرأ إنّا أنزلناه بتخشّع وبكاء، فيقولان: ما أشدّ رقّتك لهذه السورة؟ فيقول رسول اللّه صلى الله عليه و آله: لِما رأت عينى ووعى قلبى، ولِما يرى قلبُ هذا من بعدى. فيقولان فما الذى رأيت وما الذى يرى. قال: فيكتب صلى الله عليه و آله لهما فى التراب «تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ». قال: ثمّ يقول: هل بقى شىء بعد قوله عزّوجلّ: (كلّ أمر) فيقولان: لا..» الحديث «۶».

وروى الكُلينى صحيح محمّد بن مسلم، عن أحدهما، قال: «.. وسُئل عن ليلة القدر فقال: تنزّل فيها الملائكة والكتبة إلى السماء الدنيا،

فيكتبون ما يكون فى أمر السنة وما يصيب العباد، وأمره عنده موقوف له وفيه المشيئة، فيقدّم منه ما يشاء ويؤخّر منه ما يشاء» «۷».

وروى فى صحيح الفضلاء فى حديث، فى قوله عزّوجلّ «فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۲۵

حَكِيمٍ» قال: يقدّر فى ليلة القدر كلّ شىء يكون فى تلك السنة إلى مثلها من قابل خير وشر وطاعة ومعصية ومولود وأجل أو رزق، فما قدّر فى تلك السنة وقضى فهو المحتوم وللّه عزّوجلّ فيه المشيّة «۱».

الخامس: من هو الذى ينزل عليه الروح والملائكة بعد النبىّ صلى الله عليه و آله فى هذه الأُمّة إلى يوم القيامة؟ حيث إنّ نزول الملائكة والروح بحسب سورة القدر وسورة الدخان كان قطعاً على النبىّ صلى الله عليه و آله، حيث إنّ نزول الروح والملائكة كان إنزالًا للقرآن على النبىّ صلى الله عليه و آله، فلم يكن نزولًا بلا مقصد ينتهى إليه النزول، وكذا قوله فى سورة الدخان: «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ* فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ* أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ» «۲»

فالآية تصرّح أنّ مورد النزول هو من يشاء اللّه من عباده، أى يصطفيهم لذلك ليكونوا منذرين، وكذلك سورة غافر فى قوله تعالى: «يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ» «۳».

السادس: هل هذا المتنزّل من الكمّ الهائل من المعلومات عن كلّ ما يحدث فى الأرض والذى ينزل على من اصطفاه اللّه لذلك وشاء له ذلك بنصّ سورة النحل وغافر والتى هى نظم ومنظومات معلوماتية بالغة الخطورة عن المستقبل فى كلّ الحقول ونظم الاجتماع السياسى والاقتصادى والأمنى، فهل نزولها للترف العلمى ومجرّد اطّلاع من يشاء اللّه من عباده، أم أنّ ذلك ليقوم بمهام وأدوار خطيرة فى البشرية فى كافّة أرجاء الأرض؟

وعلى كلّ تقدير، فإنّ ظاهر سورة القدر «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ» هو نزول القرآن فى ليلة القدر، كما هو ظاهر قوله تعالى: «شَهْرُ رَمَضَانَ

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۲۶

الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ» «۱»

، فإنّ مفادهما كما اعترف بذلك جملة كثيرة من المفسّرين من الفريقين، هو نزول القرآن جملة واحدة فى شهر رمضان، وظاهر الضمير فى سورة القدر عائد إلى القرآن، كما أنّ لفظ الآية فى سورة البقرة كذلك «الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ»، حيث إنّ ظاهر (ال) فى المجموع، وكذلك هو مفاد قوله تعالى فى سورة الدخان: «حم* وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ* إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ»، فإنّ الضمير عائد إلى الكتاب المبين برمّته. هذا مضافاً إلى أنّ بعثة الرسالة النبويّة هى فى شهر رجب وهو مبدأ نزول القرآن نجوماً وأنّ أوّل سورة نزلت هى سورة العلق وغيرها من السور، فمن ثمّ حُمل ذلك على استظهار أنّ للقرآن نزولان:

النزول الأوّل: بجملة القرآن.

والنزول الثانى: هو نزول مفصّل تدريجى نجومى بحسب الوقائع والأحداث.

وقد تفطّن إلى ذلك فى دلالة الآيات ببركة ما ورد من روايات أهل البيت عليهم السلام وانتشر من حديثهم، فتبنّاها جملة من طبقات التابعين أخذاً عنهم وإن لم يسندوها إليهم، فقد ورد عنهم عليهم السلام كما فى صحيحة حمران أنّه سأل أباجعفر عليه السلام عن قول اللّه عزّوجلّ: «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ»؟ قال: «نعم، ليلة القدر، وهى فى كلّ سنة فى شهر رمضان فى العشر الأواخر، فلم ينزل القرآن إلّافى ليلة القدر..» «۲».

وقال على بن إبراهيم فى تفسيره فى معنى «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ»: فهو القرآن نزل إلى البيت المعمور فى ليلة القدر جملة واحدة، وعلى رسول اللّه صلى الله عليه و آله فى طول ثلاث وعشرين سنة «وَما أَدْراكَ ما لَيْلَةُ الْقَدْرِ». ومعنى ليلة القدر أنّ اللّه

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۲۷

تعالى يقدّر فيها الآجال والأرزاق، وكلّ أمر يحدث من موت أو حياة أو خصب أو جدب أو خير أو شرّ، كما قال اللّه تعالى: «فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيم» «۱»

إلى سنة، قوله: «فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيم» قال: تنزّل الملائكة وروح القدس على إمام الزمان، ويدفعون إليه ما قد كتبوه من هذه الأُمور «۲».

وروى الكُلينى بسنده عن الحسن بن عبّاس بن جريش، عن أبى جعفر الثانى عليه السلام، قال: «قال اللّه عزّوجلّ فى ليلة القدر: «فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيم» يقول:

ينزل فيها كلّ أمر حكيم، والمحكم ليس بشيئين إنّما هو شىء واحد، فمن حكم بما ليس فيه اختلاف فحكمه من حكم اللّه عزّوجلّ» «۳»

. الحديث.

وروى الكُلينى بسنده إلى أبى عبد اللّه عليه السلام، قال: «نزل القرآن جملةً واحدة فى شهر رمضان إلى البيت المعمور، ثمّ نزل فى طول عشرين سنة. ثمّ قال: قال النبىّ عليه السلام أُنزل القرآن فى ثلاث وعشرين من شهر رمضان» «۴».

وروى الكُلينى بسنده عن أبى بصير عن أبى عبد اللّه عليه السلام، قال: «نزلت التوراة فى ستّ مضت فى شهر رمضان، ونزل الإنجيل فى اثنتى عشرة ليلة مضت من شهر رمضان، ونزل الزبور ثمانى عشرة من شهر رمضان، ونزل القرآن فى ليلة القدر» «۵».

مكان نزول القرآن ...: ص: ۳۲۷

ومن ثمّ كان للقرآن نزولان، وكان ما يتلقّاه النبىّ صلى الله عليه و آله فى النزول الأوّل هو حقيقة القرآن التكوينية، وفى النزول الثانى هو معانى القرآن وألفاظه. فالنزول الأوّل: هو نزول جملة القرآن وحقيقته التى فى نشأة الملكوت

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۲۸

التى هى الكتاب المبين، وقد أطلق عليها الروح فى القرآن الكريم، أى أنّه وجود حىّ شاعر عاقل أعظم خلقاً من الملائكة، كما أشارت إليه الآيات والروايات.

والنزول الثانى: هو نزول معانى وألفاظ القرآن، وهو نزول القرآن نجوماً على النبىّ صلى الله عليه و آله، والذى سُمّى القرآن فرقاناً بلحاظه.

وقد ذهب إلى تنوّع النزول أكثر المفسّرين والمحدّثين، ويشير إلى النمط الأوّل من النزول قوله تعالى: «وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرى مَا الْكِتَابُ وَلَا الإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِى بِهِ مَنْ نَشَاءُ» «۱»

، وقوله تعالى: «نَزَلَ بِهِ أَلرُّوحُ أَلْأَمِينُ* عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ أَلْمُنْذِرِينَ» «۲»

، وقوله تعالى: «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ» «۳»

، وقوله تعالى: «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ» «۴»

، وقوله تعالى: «شَهْرُ رَمَضانُ الَّذى انْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ» «۵»

. ومن ثمّ اختلف توقيته، توقيت النزول الجملى للقرآن عن بدء البعثة فى رجب التى هى مبدأ لأوّل ما نزل بنحو نجومى متفرّق فرقانى، أو الذى هو من النمط الثانى.

ويشير أيضاً إلى: النمط الأوّل من النزول جملة من الروايات:

منها: ما رواه العياشى عن إبراهيم، عن أبى عبد اللّه عليه السلام، قال: «سألته عن قوله تبارك وتعالى: «شَهْرُ رَمَضانُ الَّذى انْزِلَ فيهِ الْقُرْآنُ» «۶»

، كيف أَنزل فيه القرآن وإنّما أَنزل القرآن فی عشرين سنة من أوّله إلی آخره، فقال عليه السلام: نزل القرآن جملة واحدة فی شهر رمضان إلی البيت المعمور، ثمّ أُنزل من البيت المعمور فی طول عشرين سنة» «۷».

وفی اعتقادات الصدوق، قال فی نزول القرآن: اعتقادنا فی ذلک أنّ القرآن نزل

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۲۹

فی شهر رمضان فی ليلة القدر جملة واحدة إلی البيت المعمور، ثمّ نزل من البيت المعمور فی مدّة عشرين سنة، وأنّ اللَّه تبارک وتعالی أعطی نبيّه العلم جملة واحدة، ثمّ قال له: «وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَی إِلَيْکَ وَحْيُهُ» «۱»

وقال عزّوجلّ: «لَاتُحَرِّکْ بِهِ لِسَانَکَ لِتَعْجَلَ بِهِ* إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ* فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ* ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ» «۲». «۳»

وما ذكره مضمون جملة من الأخبار والروايات، وفی بعض الزيارات تضمّن الخطاب «أيها البيت المعمور». «۴»

وفی تفسير القمّی: «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ» يعنی القرآن، «فِی لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ» وهی ليلة القدر أنزل اللَّه القرآن فيها إلی البيت المعمور جملة واحدة، ثمّ نزل من البيت المعمور علی رسول اللَّه صلی الله عليه و آله فی طول عشرين سنة.. الحديث «۵». وبنفس هذه الرواية والألفاظ رواها عن الإمام الصادق عليه السلام فی تفسير سورة القدر.

فی دلائل الإمامة للطبری بسنده إلی الإمام الصادق عليه السلام فی حديث أنّه قال عليه السلام:

«ونحن البيت المعمور الذی من دخله كان آمناً» «۶».

وروی الصدوق فی الأمالی صحيحة حفص، قال: قلت للصادق عليه السلام:

«أخبرنی عن قول اللَّه عزّ وجلّ: «شَهْرُ رَمَضَانُ الَّذی انْزِلَ فيهِ الْقُرْآنُ» كيف أُنزل القرآن فی شهر رمضان وإنّما أُنزل القرأن فی مدّة عشرين سنة أوّله وآخره؟ فقال عليه السلام:

أُنزل القرآن جملة واحدة فی شهر رمضان إلی البيت المعمور، ثم أُنزل من البيت

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۳۰

المعمور فی مدّة عشرين سنة»، وروی مثله فی كتاب فضائل الأشهر الثلاثة «۱».

وفی دلائل الإمامة للطبری بسنده عن الصادق عليه السلام فی حديث، قلت: «والبيت المعمور أهو رسول اللَّه؟ قال: نعم، المملی رسول اللَّه والكاتب علیّ» «۲».

وغيرها من الآيات والروايات التی تشير إلی النمط الأوّل من النزول، الذی هو عبارة عن نزول حقيقة القرآن الملكوتية لا المعانی والألفاظ، والتی تقدم أنّها روح القدس، وهی خلق أعظم من جبرئيل وميكائيل.

الروح النازل فی ليلة القدر هو القرآن ...: ص: ۳۳۰

وفی جملة من الروايات المتضمّنة لنزول القرآن فی ليلة القدر الظاهر منها أنّ القرآن النازل فی ليلة القدر هو الروح الأعظم الذی ينزل فی ليلة القدر ويُنزّل به الملائكة.

فقد روی فی الكافی والفقيه بإسنادهما عن حمران أنّه سأل أباجعفر عليه السلام عن قول اللَّه تعالی: «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِی لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ»؟ قال: «هی ليلة القدر، وهی فی كلّ سنة فی شهر رمضان فی العشر الأواخر، ولم ينزّل القرآن إلّافی ليلة القدر، قال تعالی: «فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ» «۳»

..» الحديث «۴».

وبإسنادهما عن يعقوب قال: «سمعت رجلًا يسأل أبا عبداللَّه عليه السلام عن ليلة القدر، فقال: أخبرنی عن ليلة القدر كانت أو تكون فی كلّ عام؟ فقال أبا عبد اللَّه عليه السلام: لو رُفعت ليلة القدر لرُفع القرآن» «۵».

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۳۱

وبهذا المضمون جملة مستفيضة من الروايات فى ذيل سورة القدر وسورة الدخان، ومقتضاها: أنّ قوله تعالى: «تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا» عطف بيان أو بدل عن الضمير فى قوله تعالى «أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ»، أو أنّ الفعل (تنزّل) الملائكة والروح بدل عن فعل (أنزلناه)، والنتيجة متّحدة مع الاحتمال السابق.

ثمّ إنّ تفسير البيت المعمور بقلب النبىّ صلى الله عليه و آله كما أشارت إليه الروايات السابقة- لا ينافى تفسير البيت المعمور فى جملة أُخرى من الروايات بالبيت الظراح المبنى فى السماء الرابعة التى تطوف به الملائكة كلّ يوم، فإنّه من تعدّد معانى التأويل، وقد اطلق البيت فى التعبير القرآنى بهذا المعنى، كما فى قوله تعالى: «فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ* رِجَالٌ لَاتُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ» «۱»

، فرجال عطف بدل على بيوت.

أمّا النمط الثانى من النزول وهو النزول التدريجي والنجومى أى نزول المعانى والألفاظ، فيشير إليه جملة من الآيات والروايات، كما فى قوله تعالى: «لَاتُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ* إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ* فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ* ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ» «۲»

، وقوله تعالى: «وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ» «۳»

، وكذا الآيات التى تشير إلى حدث زمانى بخصوصه، نظير قوله تعالى: «قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ» «۴»

، ومثلها قوله تعالى: «وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا» «۵»

، وغيرها من الآيات والسور النازلة بحسب أسباب النزول الحادثة حالًا بحال، فضلًا عن تدريجية نزول الآيات والسوركما فى أوّل ما نزل من السور، كما فى قوله تعالى:

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۳۲

«اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ* خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ* اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ» «۱»

، وغيرها من السور النازلة بحسب سنوات البعثة وسنوات الهجرة الذى عُرف بآخر السور نزولًا.

وبعبارة أُخرى: أنّ ظاهر قوله تعالى «شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ» «۲»

، وقوله تعالى: «حم* وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ* إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ» «۳»

، وقوله تعالى: «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ» «۴»

، هو نزول القرآن جملة واحدة، أى نزول جملى لحقيقة واحدة غير مفصّل، ثمّ فُصّل تنزيله بحسب موارد نزول السور والآيات المختلفة، ولذلك كان نزول القرآن بنحو مفصّل فى بداية البعثة النبويّة الشريفة فى آخر شهر رجب بقوله تعالى: «اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ..»، وكذا بقية السور الأوائل نزولًا، وليس المراد من نزوله فى ليلة القدر من شهر رمضان هو ابتداء نزوله.

مما يشير إلى وجود نمطين من النزول للقرآن الكريم: نزول جملى لحقيقة واحدة، ونزول مفصّل، قال تعالى: «لَاتُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ* إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ* فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ* ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ» «۵»

وظاهر مفاد الآية يقتضى أنّ مرحلة جمع مفصّل القرآن وتفصيله غير مرحلة الوحى والقرآن جملة، فهو صلى الله عليه و آله كان عالماً بالقرآن إلّاأنّه نُهى عن الاستعجال به قبل تنزيل قرآنه ونزول الوحى به، ويشير إلى ذلك قوله تعالى: «وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ» «۶»

، حيث (يُقضى) إمّا بمعنى يتمّ أو بمعنى يصل، وعلى كلا التقديرين فظاهر الآية دالّ على علمه بالقرآن قبل إنزاله بالوحى

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۳۳

بنحو التفصيل نجوماً، أمّا على كون (يُقضى) بمعنى (يصل) فملائمته ظاهرة للمفاد المزبور، وأمّا على كونها بمعنى يتمّ فقيل إنّه بمعنى قراءته للقرآن قبل أن ينتهى جبرئيل من الوحى بتحريك لسانه، ولكنّه خلاف الظاهر؛ حيث إنّه يستلزم الاستخدام فى الضمير، ويكون المعنى على هذا التقدير لا تعجل ببعض القرآن من قبل أن يتمّ إليك وحى الباقى منه.

وحمل الكلام على الاستخدام يتوقّف على القرينة الخاصّة، بخلاف الحال ما لو جعلنا مرجع الضمير متّحد بلا استخدام، فإنّ تقدير المعنى يكون حينئذٍ: لا تعجل بالقرآن من قبل أن يُقضى إليك وحيه مرّة أُخرى، أى وحى الإنزال والتنزيل من النمط الثانى وهو نزول القرآن تفصيلًا ونجوماً، فيدلّ على علمه صلى الله عليه و آله به من قبل أن يتمّ الوحى من النمط الثانى.

وممّا يدلّ على تعدّد نزول القرآن أيضاً قوله تعالى: «إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ* فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ* لَايَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ* تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ» «۱»

، فإنّ المطهّرون وهم النبىّ وأهل بيته عليهم السلام عالمون بالكتاب المكنون بمسّ وصول يختلف عن تنزيل القرآن المفصّل، فالكتاب المكنون قد تقدّم أنّه الوجود المجموعى للقرآن بنحو الإحكام والوجود الجملى، وهو الحقيقة الواحدة وهى الروح الأمرى الذى يتجدّد نزوله فى كلّ ليلة قدر فى كلّ عام، وتتنزّل الملائكة به وهو روح أعظم من جبرئيل وميكائيل.

وممّا يشير إلى اختلاف النزولين أيضاً قوله تعالى: «كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ» «۲»

، وقد ثبت فى تفسير الآية بحسب نزولها المكّى وبحسب وحدة سياق السورة مع الآيات السابقة عليها وبحسب توسّم

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۳۴

قريش فى بنى هاشم جملة من الصفات والحالات غير المعتادة لدى قدرات البشر وبحسب نصوص الفريقين وبحسب النصوص الواردة فى ذيلها، أنّ المراد بمن عنده علم الكتاب هو علىّ بن أبى طالب عليه السلام.

والآية مع كونها مكّية ولمّا يستتم نزول القرآن التفصيلى المكّى فضلًا عن المدنى- تدلّ على علم الوصىّ فضلًا عن علم النبىّ بالكتاب كلّه؛ إذ هذا التعبير يفترق عن قوله تعالى: «قَالَ الَّذِى عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ» «۱»

، بأنّ التعبير الأوّل يدلّ على العلم المحيط بكلّ الكتاب، فالآية ظاهرة بوضوح فى حصول العلم بجملة الكتاب لدى المطهّرين، وهم النبىّ ووصيه عليهم السلام منذ البداية، وذلك بتوسّط نزول حقيقة القرآن جملة فى الوحى من النمط الأوّل.

وممّا يدلّ على ذلك قوله تعالى: «وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِى مَا الْكِتَابُ وَلَا الإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِى بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» «۲»

، فتدلّ الآية على درايته صلى الله عليه و آله بالكتاب كلّه، مع أنّ سورة الشورى مكّية، وكذا قوله تعالى: «إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ» «۳»

، وقوله تعالى: «وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ» «۴»

، وجملة من الآيات التى تضمّنت إنزال الكتاب عليه صلى الله عليه و آله بناءً على ظهور (ال) فى الاستغراق أو الجنسية لجملة الحقيقة بجملة الآيات السابقة الدالّة على علمه صلى الله عليه و آله بجملة الكتاب المبين والمكنون وأُمّ الكتاب واللوح المحفوظ، وكذلك الأئمّة من أهل بيته تلقّوا ذلك عنه، إلّاأنّه صلى الله عليه و آله كان مأموراً باتّباع ما ينزل عليه من الوحى التفصيلى والتنزيل النجومى فيتّبع قرآنه.

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۳۵

وأمّا اشتمال القرآن الكريم على قوله تعالى: «الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا» «۱»

، وقوله تعالى: «عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ» «۲»

، وقوله تعالى:

«قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِی تُجَادِلُکَ فِی زَوْجِهَا وَتَشْتَکِی إِلَی اللَّهِ وَاللَّهُ یَسْمَعُ تَحَاوُرَکُمَا» «۳»

، وغیره کثیر ممّا یشیر إلی تدریجیة نزول القرآن حسب سلسلة أحداث زمانیة ومکانیة طوال البعثة والرسالة الشریفة، فلا یتنافی مع نزول الکتاب جملةً علی الرسول صلی الله علیه و آله قبل ذلک.

اختلاف صفات القرآن فی النزولین ...: ص: ۳۳۵

لأنّ الکتاب بعد تنزیله بالنمط التدریجی تطرأ علیه أوصاف أُخری أشار إلیها القرآن الکریم، کقوله تعالی: «إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِیًّا لَعَلَّکُمْ تَعْقِلُونَ» «۴»

، وقوله تعالی: «کِتَابٌ أُحْکِمَتْ آیَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَکِیمٍ خَبِیرٍ» «۵»

، وقوله تعالی:

«وَمَا کَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ یُفْتَرَی مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَکِنْ تَصْدِیقَ الَّذِی بَیْنَ یَدَیْهِ وَتَفْصِیلَ الْکِتَابِ» «۶»

، وقوله تعالی: «هُوَ الَّذِی أَنْزَلَ عَلَیْکَ الْکِتَابَ مِنْهُ آیَاتٌ مُحْکَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْکِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ» «۷»

، وقوله تعالی: «مَا نَنْسَخْ مِنْ آیَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَیْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا» «۸»

، وغیرها من الآیات التی تشیر إلی اتّصاف القرآن بأوصاف طرأت علیه عند نزوله، کالتفصیل والعربیة وکونه تصدیق الذی بین یدیه وتشابه بعض آیاته والناسخ والمنسوخ والظاهر والباطن والتنزیل والتأویل والجمع والتفریق، وغیرها من الأوصاف الطارئة، فإنّها أوصاف له بعد نزوله نجوماً.

الامامة الالهیة(۵)، ج۳، ص: ۳۳۶

ولیست أوصافاً له بحسب موقعه فی الکتاب المکنون واللوح المحفوظ والکتاب المبین، وکذلک الحال بالنسبة إلی صورة الألفاظ وما یتبع ذلک من أوصاف، وهی العربیة والخطابیة والإنشاء والإخبار والبلاغة والفصاحة وغیرها، فهذه لیست أوصافاً له بحسب موقعه المکنون باللوح المحفوظ، وأنّما هی حادثة له بعد النزول، أمّا جملة معارفه وحقائقه وأحکامه فلا یطرأ علیها مثل تلک الأوصاف.

وبکلمة جامعة: إنّ القرآن بمجموع وجوداته اللفظیة وتراکیب جمله والمعانیالمدلول علیها فی الظهور الأوّلی فی ظاهر الکتاب هی من نزول القرآن من النمط الثانی؛ إذ النمط الأوّل کما تقدّم- هو من سنخ الحقائق التکوینیة والوجودات العینیة، وإن لم ینحصر النمط الأوّل بذلک بل یشمل ما یکون من سنخ معانی التأویل.

النمط الثالث للنزول ...: ص: ۳۳۶

وقد تُعدّ درجات بطون القرآن ومعانیه التأویلیة من سنخ ونمط تنزّل ثالث سیأتی بسط الحدیث عنه فی مقالات لاحقة.

هذا مضافاً إلی متواتر الروایات المتضمّنة للإشارة إلی موارد النزول وتألیف آیات وسور القرآن بوجوده اللفظی. ثمّ إنّ المعانی المتنزّلة من حقیقة القرآن الکلّیة وحقائقه الجملیة لیست محیطة بها؛ فإنّ المعانی والمفاهیم مهما کانت فی السعة والشمول لیست إلّالمعات یسیرة من أنواع تلک الحقائق، هذا فضلًا عن الألفاظ المشیرة إلی تلک المعانی التی هی تنزّل لفظی لها؛ فإنّ الألفاظ لیست إلّا علامات ودوالّ إشاریة علی مجمل بحور المعانی، ولیست بتلک التی تحیط بها، والنسبة بین الألفاظ والمعانی کالنسبة بین المعانی والحقائق.

الامامة الالهیة(۵)، ج۳، ص: ۳۳۷

فالألفاظ مفتاح وأبواب للمعانی، والمعانی لا تتناهی درجاتها وبطونها وهی بوابات لشعب الحقائق من دون أن تکتنه المعانی، فما

يحمله صلى الله عليه و آله من حقائق وحقيقة القرآن لا- يمكن أن تسعه المعانى، كما أنّ المعانى التى تنزّلت من تلك الحقائق لا يمكن أن تسعها الألفاظ.

حقيقة وراثة الأوصياء للنبيّ صلى الله عليه و آله ...: ص: ۳۳۷

ومن ثمّ ورد أنّه صلى الله عليه و آله لم يكلّم أحداً بكنه عقله قطّ، وكذلك الحال فيما تحمّله الوصيّ عليه السلام وولده الأوصياء عن النبيّ صلى الله عليه و آله، عمدته ليس من الألفاظ والمعانى من قبيل الحديث والرواية، بل عمدة ما تحمله عن النبيّ صلى الله عليه و آله هو حقيقة القرآن التى هى الروح الأعظم، وهو أعظم أنماء التحمّل؛ لأنّه اكتناه حضورى للحقائق لا يغيب عنه شىء منها، بخلاف تحمّل المعانى فضلًا عن تحمّل الألفاظ.

ففرق بين الوصاية والفقاهة والرواية، حيث دلّت سورة القدر ونحوها من السور على بقاء تنزّل ذلك الروح كلّ عام على من يشاء من عباده، قال تعالى:

«إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِی لَيْلَةِ الْقَدْرِ* وَمَا أَدْرَاکَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ* لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ* تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ* سَلَامٌ هِیَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ» «۱»

، وقال تعالى: «يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ» «۲»

، وقال تعالى: «يُلْقِی الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ» «۳»

، فكما أنّ تنزّل الروح الأعظم فى ليلة القدر دائم دائب فى كلّ سنة بالضرورة، فكذلك ليلة القدر تعنى وراثة ولىّ اللّه تعالى لمقام النبيّ صلى الله عليه و آله فى تنزّل الروح عليه.

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۳۸

وقد تقدم فى هذه المقالة أنّ ذلك الروح هو حقيقة القرآن، وأنّه عطف بيان وبدل على الضمير فى (أنزلناه) ولو من باب بدل الجملة من جملة، ومن ثمّ قال تعالى: «إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ* فِی كِتَابٍ مَكْنُونٍ* لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ» «۱»

، والمطهّرون بصيغة الجمع وهم أهل آية التطهير، حيث قال تعالى: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً» «۲».

وتقدّم أنّ الكتاب المكنون ليس لوحاً ونقش صور الألفاظ، بل هو الروح (الذى هو حقيقة القرآن التكوينية)، كما أشار إلى ذلك قوله تعالى: «وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِی مَا الْكِتَابُ وَلَا الإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِی بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا» «۳»

، فالروح الأمرى هو الكتاب، والذى يمسّ الكتاب هو الذى يتلقّى تنزّل الروح الأمرى كلّ عام فى ليلة القدر، والمطهّرون الذين يمسّون الكتاب المكنون هم الأئمّة عليهم السلام الذين يتوارثون الكتاب وهو الروح الأمرى، حيث قال تعالى: «وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا» «۴»

، فالهداية الأمرية هى بالروح الأمرى.

وكذلك فى قوله تعالى: «ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا» «۵»

، والذين اصطفاهم وأصفاهم أهل آية التطهير، فهذه الآيات تتشاهد لبعضها البعض لتدلّ على أنّ الأئمّة المطهّرون المصفّون الذين يمسّون الكتاب ويرثوه يتلقّون حقيقة الكتاب، وهو الروح الأمرى والذى يتنزّل فى ليلة القدر فى كلّ عام على من يشاء اللّه من عباده، وقد ذُكر عنوان ورثة الكتاب والذين يمسّونه بصيغة

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۳۹

الجمع؛ للتدليل على أنّهم مجموعة ممتدّة طوال عمر هذا الدين وما بقى القرآن.

قراءة جديدة فى حديث الثقلين وأنّ الأئمّة عليهم السلام هم الثقل الأكبر ...: ص: ۳۳۹

ولكى نبرهن على ذلك لابدّ من توضيح جملة من الأُمور:

الأوّل: إنّهم عين حقيقة القرآن، وهذا معنى عدم افتراق القرآن عن العترة، أى عدم افتراق حقيقة القرآن التكوينية وهو الكتاب المكنون وهو الروح الأعظم- عن ذوات العترة المطهّرة، بل هو أحد أرواحهم الذى يسدّدهم.

قراءة جديدة فى آية ... ص: ۳۳۹

«وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ»:

وهذا معنى تنزيل نفس علىّ عليه السلام منزلة نفس النبى صلى الله عليه و آله فى قوله تعالى: «فَقُلْ تَعالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ» «۱»

، كيف لا والروح الأمرى الذى هو الروح الأعظم والذى هو حقيقة القرآن وهو الكتاب المبين الذى نُزّل على قلب النبىّ صلى الله عليه و آله وأُوحى إليه- قد ورثه الوصىّ ويتنزّل عليه وعلى ذرّيته الأوصياء عليهم السلام.

وفى صحيح أبى بصير قال: «سألت أبا عبداللّه عليه السلام عن قول اللّه تبارك وتعالى: «وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِى مَا الْكِتَابُ وَلَا الإِيمَانُ» «۲»؟ قال:

خلق من خلق اللّه عزّ وجلّ أعظم من جبرئيل وميكائيل كان مع رسول اللّه صلى الله عليه و آله يخبره ويسدّده، وهو مع الأئمّة من بعده» «۳».

وفى صحيحه الآخر قال: «سألت أبا عبد اللّه عليه السلام عن قول اللّه عزّوجلّ «وَيَسْأَلُونَكَ

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۴۰

عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى» «۱»

؟ قال: خلق أعظم من جبرئيل وميكائيل كان مع رسول اللّه صلى الله عليه و آله، وهو مع الأئمّة، وهو من الملكوت» «۲».

وفى صحيح ثالث لأبى بصير بعد وصفه للروح بما تقدّم-: «لم يكن مع أحد ممّن مضى غير محمّد صلى الله عليه و آله، وهو مع الأئمّة يسدّدهم» «۳».

وفى موثّق على بن اسباط عن أبيه أسباط بن سالم زيادة قوله عليه السلام: «منذ أنزل اللّه عزّوجلّ ذلك الروح على محمّد صلى الله عليه و آله ما صعد إلى السماء، وإنّه لفينا» «۴».

وفى رواية أبى حمزة قال: «سألت أبا عبد اللّه عليه السلام عن العلم، أهو علم يتعلّمه العالم من أفواه الرجال، أم فى الكتاب عندكم تقرؤونه فتعلمون منه؟ قال: الأمر أعظم من ذلك وأوجب، أما سمعت قول اللّه عزّوجلّ: «وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِى مَا الْكِتَابُ..» «۵»

..» الحديث «۶». وهذا المعنى الذى يشير إليه عليه السلام هو ما تقدّم ذكره من أنّ الأوصياء فى تحمّلهم عن النبىّ صلى الله عليه و آله ليس هو تحمّل رواية ألفاظ، ولا مجرّد فهم معانى، بل حقيقة تحمّلهم وعمدته هو تحمّل حقيقة القرآن التى هى روح القدس.

فعمدة ما يتلقّونه بقلوبهم وأرواحهم عليهم السلام هو عن قلب وروح النبىّ صلى الله عليه و آله، وليس العمدة هو عن مجرّد لسانه الشريف وآذانهم الطاهرة، ولا عمدته من كتب يقرأونها كالجامعة ونحوها، فهم بدورهم فيما يبلغونه من ألفاظ مؤدّية إلى طبقات

المعانی الموصلة إلی بعض الحقائق التی تلقّوها.

الامامة الالهیة(۵)، ج۳، ص: ۳۴۱

قراءة جدیدة فی حفظ وبقاء الذکر والقرآن المنزّل ...: ص: ۳۴۱

فمن ثمّ یکون دورهم متمّم ومکمّل لدور النبیّ صلی الله علیه و آله فی هدایة البشریة، وإلی ذلک یشیر قوله تعالی فی آیة الغدیر: «یَا أَیُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَیْکَ مِنْ رَبِّکَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ» «۱»

، لبیان خطورة وشدّة دورهم علیهم السلام المتمّم لدور النبیّ صلی الله علیه و آله فی تبلیغ الرسالة، وأنّه الأمر الذی یجب أن یُبلّغ لامتداد الرسالة وبقاء القرآن، أی بقاء حقیقته النازلة والمتنزّلة منها درجات فی کلّ عام فی لیلة القدر لابقاء المصحف المنقوش بالخط.

وإلّا لو کان دورهم هو مجرّد النقل السماعی اللفظی عن الرسول کقناة لإیصال الألفاظ والصوت لما کان لسان الآیة بهذا اللحن الشدید والخطب البلیغ، کما ان تعلیق وتبلیغ الرسالة برمّتها علی شخص یخلف النبیّ علیهم السلام وهو أمیر المؤمنین علیه السلام لابدّ أن یکون فی تحمّله عن النبیّ صلی الله علیه و آله خصوصیة لا یشترک معه فیها أحد وإلّا لشارکه آخرون فی القیام بذلک الدور ولَمّا انحصر تبلیغ الرسالة بعد النبیّ صلی الله علیه و آله به.

ولیست هذه الخصوصیة ولیدة عن کثرة سماع الوصی لکمیة کثیرة من الأحادیث أو لقوّة حافظة علیّ علیه السلام لما یسمعه من الحدیث علی النمط المألوف، ولا لمجرّد أکثریة ملازمته وإلّا لشارکه الآخرون فی ذلک ولو بدرجة نازلة. وان تفسیر خصوصیة علیّ والعترة الطاهرة بمجرّد هذه المزایا لا یحسم جدلیة السؤال عن وجه تخصیص الدور بهم دون بقیة الصحابة والتابعین وسائر فقهاء وعلماء الأُمّة بل لکانت هذه المزایا نظیر الترجیع بین الفقهاء فی مسند الفتیا والقضاء ولیست عملیة إصفاء إلهی بل لما کان فی تقدیم المفضول علی الفاضل ذلک القبح الشدید المستنکر بل للزم احتیاج العترة إلی مشارکة الصحابة والتابعین معهم فی

الامامة الالهیة(۵)، ج۳، ص: ۳۴۲

القیام بهذا الدور.

بل خصوصیة الإصطفاء الإلهی لهم دون غیرهم هو لحملهم حقیقة القرآن التی هی الروح الأمری والتی قد تقدّم بیان صفاتها فی الآیات والسور والروایات التی تقدّمت، وتبین أنّ لدیهم علیهم السلام علم حقیقة القرآن کلّه، فضلًا عن درجات معانیه غیر المتناهیة وألفاظه، وهذا التراث والوراثة التکوینیة لا یشارکهم فیها غیرهم بأدنی مشارکة، وهذا معنی انحصار باب مدینة علم النبیّ صلی الله علیه و آله بعلیّ علیه السلام، بل لیس لغیرهم مهما بلغت درجته من العلم سوی الوقوف علی حدود المعانی الظاهرة وبعض درجاتها التی توصّل إلیها بواسطة الألفاظ.

وحیث إنّ الحاجة وبقاء الرسالة قائم بحقیقة القرآن لا بسطوح المعانی المنزّلة من تلک الحقیقة، ولأجل ذلک کان مقدار ما تنزّل من القرآن من المعانی الظاهرة والألفاظ لا یسدّ الحاجة لهدایة البشریة إلّابضمیمة التأویل، کما أشار إلی ذلک قوله تعالی: «هُوَ الَّذِی أَنْزَلَ عَلَیْکَ الْکِتَابَ مِنْهُ آیَاتٌ مُحْکَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْکِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِینَ فِی قُلُوبِهِمْ زَیْغٌ فَیَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِیلِهِ وَمَا یَعْلَمُ تَأْوِیلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِی الْعِلْمِ» «۱»

، فالتأویل باب مفتوح ...

درجات وطبقات المعانی المتنزّلة من الحقائق.

الوجودات الأربعة للقرآن ...: ص: ۳۴۲

ولتوضیح أقسام وجود القرآن ینبغی الالتفات إلی التقسیم الذی ذُکر فی علم المنطق من أنّ لکلّ شیء أربعة وجودات:

الأوّل: الوجود الکتبی للشیء، وهو نقش اسم الشیء علی الورق أو نقش رسم

الامامة الالهیة(۵)، ج۳، ص: ۳۴۳

صورته فیما لو کان جسمانیاً- کلفظ زید أو صورته، ویُسمّی الوجود الکتبی لزید ونقش اسمه.

الثانی: الوجود الصوتی لاسم زید أو صوته، ویُسمّی بالوجود اللفظی الصوتی لزید.

وهذان الوجودان یقال عنهما الوجودان التنزیلیان لزید أو الوضعیان، أی أنّهما قرّرا وجودین لزید أو للشیء بحکم الاعتبار الأدبی، فلولا تبانی البشر وأهل اللسان عن التعبیر عن معنی زید أو عن وجوده بذلک اللفظ أو بذلک الرسم والنقش من الکتابة، لما کان لهما دلالة علی معنی زید أو وجوده، ولما کان له صلة بحقیقة زید ولا بمعناه، ومن ثمّ یعبّر عنهما وجودان تنزیلیان لزید، فلفظ زید الصوتی تنزیل لحقیقة زید، وکذلک نقش کتابة لفظ زید تنزیل لحقیقة زید.

الثالث: معنی زید فی الذهن والصورة التی له فی الذهن، أی التی تنتقش تکویناً فی ذهن الإنسان وفکره، ویُقال عنه الوجود المعنوی لزید، وهذا الوجود تکوینی ولیس من قبیل الأوّلَین، أی لیس وجوداً تنزیلًا اعتباراً، بل هو وجود تکوینی لزید، ولکن لا لحقیقة وجوده بل لحقیقة معناه.

وقد یُطلق علیه تنزیل تکوینی لا اعتباری لحقیقة وجود زید، فهو لیس عین حقیقة الوجود ولکنّه عین حقیقة المعنی، وبین ذات معنی زید وذات وجوده فرق فارق، بل إنّ لمعنی زید مراتب: منها صورة بدنه فی الذهن، ومنها معنی روحه ونفسه وعقله، أو ماهیته وذاته العقلیة.

الرابع: حقیقة وجود زید وهو وجوده العینی الخارجی، وهو وجود تکوینی لزید، کما أنّه الأصل فی أقسام وجودات زید، فلیس هو وجود تنزیلی اعتباری أدبی کالأوّلَین، ولا- وجود تکوینی کالقسم الثالث، بل هو حقیقة وعین وجود زید وهذا القسم بدوره أیضاً یشتمل علی مراتب: منها الوجود البدنی لزید، ووجود

الامامة الالهیة(۵)، ج۳، ص: ۳۴۴

نفسه وروحه.

فتبیّن أنّ الوجود التکوینی هو القسمان الأخیران، وکلّ منهما ذو مراتب، وهذا التقسیم یعمّ جمیع الأشیاء؛ فإنّ لکلّ شیء من الأشیاء وجود لفظی صوتی وکتبی نقشی، ووجودان تکوینان، وهو وجود معانیها فی الذهن ووجود عینی خارجی.

فإذا تبیّن ذلک یتبیّن أنّ للقرآن الکریم هذه الوجودات الأربعة، فالتنزیل الذی فی المصحف هو وجود کتبی ونقش للوجود اللفظی للقرآن، کما أنّ صوت قراءة القرآن هو وجود لفظی صوتی للقرآن.

ولکلّ من هذین الوجودین أحکام، فإنّه یُحرم لمس خطّ کتابته من دون طهارة، کما أنّ وجود المصحف الشریف المقدّس حرز وأمان، کما أنّه یُستحبّ النظر إلیه، والقراءة منه أفضل وأکثر فضیلة من القراءة عن ظهر قلب، کما أنّ قراءة القرآن وهو الوجود الصوتی- یدخل النور فی البیت ویطرد الشیاطین ویُکثر البرکة والرزق، ویُستحب تحسین الصوت وتجویده، کما یُستحب قراءته بخشوع وحزن.

وأمّا معانی القرآن فهو الوجود الذهنی للقرآن ومعانیه وهو مصدر الهدایة والبصیرة.

ومن أحکامه: لزوم التدبر، کما قال تعالی: «أَفَلَا یَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَی قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا» «۱»

، فالتدبّر سرح للنظر فی المعانی والسیر فی مدارجها بالتفکّر، قال تعالی: «وَلَقَدْ یَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّکْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّکِرٍ» «۲»

. فلا یقتصر وجود القرآن علی النقش الکتبی ولا علی حرکة ولقلقة اللسان وبدیع التجوید وتحسین الصوت، بل کلّ ذلک إلی غایة أهمّ وهو وجود القرآن فی أُفق المعنی، والاستضاءة بنور هدایته

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۴۵

من خلال وجوده فی أُفق المعنی ورحاب بصيرة تلك المعانی، ومنه تحصل معرفة الدين والشريعة والشرائع. وينقسم إلی معنی ظاهری ومعنی تأويلی، وإلی العلوم جمّة، علوم الحكمة والآداب والأخلاق، وأسرار الفقه والقانون، وحقائق التكوين والمعارف، وعلوم التربية الإنسانية، وبالجملة العلوم العقلية والظواهر الطبيعية، وغيرها من منظومات العلوم.

حقيقة القرآن ووجوده ...: ص: ۳۴۵

والوجود الرابع للقرآن العينی الخارجی هو الذی يشير إليه قوله تعالی:

«وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِی مَا الْكِتَابُ وَلَا الإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِی بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِی إِلَی صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» «۱»

فربط تعالی بين إنزال الروح الأمری وإحيائها وإرسالها، ومعرفة النبیّ صلی الله عليه و آله بالكتاب كلّه، وقد عبّر عن ذلك بالإيحاء وهو الإرسال الخفی، وتشير الآية إلی معرفة النبیّ صلی الله عليه و آله بجملة الكتاب دفعةً.

ونفس هذا الترابط بين الروح الأمری وبين نزول جملة الكتاب نجده فی سورة القدر، حيث قال تعالی: «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِی لَيْلَةِ الْقَدْرِ* وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ* لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ* تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ..» «۲»

، نلاحظ أنّ نزول القرآن والروح الأمری مترابطان، وكذلك فی سورة الدّخان، قوله تعالی: «حم* وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ* إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِی لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ* فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ* أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ» «۳»

، والضمير عائد علی الكتاب

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۴۶

المبين جملة وإرسال الروح الأمری.

فيستخلص من جملة هذه الآيات أنّ نزول القرآن جملة هو نزول حقيقته وهو الروح الأمری، وهذا هو حقيقة الفرق بين تنزيل القرآن نجوماً الذی هو الوجود اللفظی للقرآن، وبين نزوله دفعة.

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۴۷

الأمر الثانیإنّ للقرآن درجات ومدارج ... ص: ۳۴۷

اشارة

هناك حقيقة ثابتة مسلّمة بين المسلمين، وهی حقيقة قرآنية من كون القرآن المنزّل ذا تأويل، كما قال تعالی: «وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِی الْعِلْمِ» «۱»

، فللقرآن تأويل وبطون، وقال تعالی: «هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِی تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ» «۲»

، وقال تعالی: «بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ» «۳»

، فالتأويل والبطون سوی ظاهره المنزّل، بل وتلك البطون التی لا- تنفد من بحور حقائق القرآن ترقّی وتتّصل بأصل حقيقة القرآن الغيبية التی يُطلق عليها: الكتاب المكنون، والكتاب المبين، أو اللوح المحفوظ، أو أُمّ الكتاب.

وعلی ضوء ذلك، فليست الشريعة والدين تقتصران وتنحصران فی الظاهر المنزّل، بل هما يشملان تلك البطون، فلا ينحصر تبليغ وأداء الشريعة بأداء الظاهر المنزّل وإبلاغ آيات التنزيل، بل يعمّ تلك البواطن.

ولم يقف على تلك البواطن وأمّ الكتاب إلّاالنبيّ صلى الله عليه و آله وعترته الذين ورثوه بوراثة الاصطفاء، فسنخ ونمط تحمّل النبيّ صلى الله عليه و آله وتبليغه وتحمّل أهل بيته عليهم السلام عنه وتبليغهم ليس سنخ نمط تحمّل وتبليغ الرواة للأخبار الحسّية المسموعة لفظاً التى

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۴۸

تحمّلوها ليؤدّوها إلى غيرهم، كى يكون الحال فى هذا التبليغ (رُبّ حامل لا يفقه ما حُمّل أو رُبّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه)، لأن ما تحمّله النبيّ صلى الله عليه و آله عن اللّه تعالى وتحمّله أهل بيته عليهم السلام عنه هو تحمّل للحقائق المهيمنة والمحيطة بالمعانى

حقيقة تبليغ النبى صلى الله عليه و آله وأهل بيته عليهم السلام ...: ص: ۳۴۸

المنزّلة فى آفاق درجات المعانى الباطنة والظاهرة والألفاظ المقروءة.

فمن ثمّ سُمّى هذا التبليغ والإبلاغ (إنزالًا) و (تنزيلًا)، بينما سُمّى تبليغ الرواة إلى غيرهم (نقلًا) وإيصالًا فى خطّ أُفقى، ونقلًا للحديث الملفوظ وإسماع الكلام المسموع (ورواية) للخبر المعلوم بالحواسّ الظاهرة، فالذى تحمّلوه هو ألفاظ مسموعة وطبقة من المعانىالظاهرة لأفهامهم من وراء حجاب اللفظ، فهذا النمط والنوع من التحمّل والتبليغ يتحرّك فى سير أُفقى، ومن ثمّ قد يصعد المنقول إليه ويتصاعد إلى بعض درجات المعانى وغورها، على عكس الناقل الذى ربّما يكون واقفاً على الألفاظ والدرجة الأُولى لمعانيها، فيكون المنقول والمحمول إليه الخبر أكثر إحاطةً من الناقل والحامل.

وهذا لا يُتصوّر فى التحمّل الوحيانى والتبليغ النبوىّ، وتحمّل الإمام عن النبىّ وتبليغه لا يكون إلّاعن إحاطة بالحقائق الوجودية، فضلًا عن الإحاطة بكل آفاق المعانى التى هى صور منعكسة متنزّلة عن تلك الحقائق، وأشعة ولمعات يسيره من وهج نور الحقيقة، كيف لا، وتلك الحقائق لا يشذّ عنها رطب ولا يابس ولا غائبة فى السماوات والأرض، ولا ما كان ولا ما يكون وكلّ شىء مستطرّ، وتحيط بكلّ هدى ونور وكلّ فلاح وصلاح وكل سعادة ونجاح، وتبيان لكلّ شىء.

ففيما يبلّغه النبىّ صلى الله عليه و آله وأهل بيته عليهم السلام لا تقف الرعية بما فيها من الفقهاء والعلماء والحكماء والعارفين- إلّاعلى الألفاظ المتنزّلة والمعانى الظاهرة، وقد

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۴۹

يترقّى الحال فى بعضهم للوصول إلى بعض درجات المعانى أو لمح بعض لمعان أنوار الحقائق، من دون التحقّق بعينية تلك الحقائق فضلًا عن اكتناهها، ولا الإحاطة بجميع مدارج المعانى.

من ثمّ تدوم وتظلّ حاجة الرعية والبشرية قائمة ومستمرّة إلى تواصل بيانات النبىّ صلى الله عليه و آله وأهل بيته عليهم السلام وهدايتهم وتبليغهم، ويشير إلى ذلك قوله تعالى: «مَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ» «۱»

، وقوله تعالى: «بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ» «۲».

وكذلك يشير قول الإمام الصادق عليه السلام فى رواية إسحاق بن عمار، قال: «إنّما مثل علىّ عليه السلام ومثلنا من بعده من هذه الأُمّة كمثل موسى عليه السلام والعالم حين لقيه واستنطقه وسأله الصحبة، فكان من أمرهما ما اقتصّه اللّه لنبيه صلى الله عليه و آله فى كتابه، وذلك أنّ اللّه قال لموسى: «إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ» «۳»

، ثم قال: «وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ» «۴»

، وقد كان عند العالم علم لم يكتب لموسى فى الألواح، وكان موسى يظنّ أنّ جميع الأشياء التى يحتاج إليها فى تابوته وجميع العلم قد كتب له فى الألواح، كما يظنّ هؤلاء الذين يدّعون أنّهم فقهاء وعلماء وأنّهم قد أثبتوا جميع العلم والفقه فى الدين ممّا تحتاج هذه الأُمّة إليه وصحّ لهم عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله وعلموه وحفظوه، وليس كلّ علم رسول اللّه صلى الله عليه و آله علموه ولا

صار إليهم عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله ولا عرفوه، وذلك أنّ الشىء من الحلال والحرام والأحكام يرد عليهم فيُسألون عنه، ولا يكون عندهم فيه أثر عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله ويستحون أن ينسبهم الناس إلى الجهل

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۵۰

ويكرهون أن يُسألوا فلا- يجيبوا فيطلب الناس العلم من معدنه، فلذلك استعملوا الرأى والقياس فى دين اللَّه وتركوا الآثار ودانوا اللَّه بالبدع، وقد قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: كلّ بدعة ضلالة، فلو أنّهم إذا سُئلوا عن شىء من دين اللَّه فلم يكن عندهم منه أثر عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله ردّوه إلى اللَّه وإلى الرسول وإلى أُولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم من آل محمّد، والذى منعهم منّا العداوة والحسد لنا.

لا واللَّه ما حسد موسى عليه السلام العالم، وموسى نبىّ اللَّه يُوحى اللَّه إليه حيث لقيه واستنطقه وعرّفه بالعلم، ولم يحسده كما حسدتنا هذه الأُمّة بعد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله على علمنا وما ورثنا عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، ولم يرغبوا إلينا فى علمنا كما رغب موسى عليه السلام إلى العالم وسأله الصحبة ليتعلّم منه ويرشده، فلمّا أن سأل العالم ذلك علَم العالم أنّ موسى عليه السلام لا يستطيع صحبته ولا يحتمل علمه ولا يصبر معه، فعند ذلك قال العالم: «وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا» «۱»

؟ فقال موسى عليه السلام له وهو خاضع له يستعطفه على نفسه كى يقبله: «سَتَجِدُنِى إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِى لَكَ أَمْرًا» «۲»

، وقد كان العالم يعلم أنّ موسى عليه السلام لا يصبر على علمه، فكذلك واللَّه- ياإسحاق بن عمار- حال قضاة هؤلاء وفقهائهم وجماعتهم اليوم، لايحتملون واللَّه علمنا ولا يقبلونه ولا يطيقونه ولا يأخذون به ولا يصبرون عليه، كما لم يصبر موسى عليه السلام على علم العالم حين صحبه ورأى ما رأى من علمه، وكان ذلك عند موسى عليه السلام مكروهاً وكان عند اللَّه رضاً وهو الحقّ، وكذلك علمنا عند الجهلة مكروه لا يؤخذ وهو عند اللَّه الحق» «۳».

فإذا التفتّ بنحو الإجمال إلى سنخ تحمّل وتبليغ النبىّ صلى الله عليه و آله عن اللَّه تعالى

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۵۱

وتحمّل وتبليغ أهل بيته عليهم السلام عنه، يجدر بالمقام الالتفات إلى كون القرآن ذا حقيقة عينية غيبية، والتى هى الكتاب المبين وأُمّ الكتاب واللوح المحفوظ والكتاب المكنون، كما فى قوله تعالى: «إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ* فِى كِتَابٍ مَكْنُونٍ* لَايَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ* تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ» «۱»

، حيث يشير إلى وجود كينونة للقرآن علوية تُدعى بالكتاب المكنون، أى المحفوظة من أن يصل إليها إلّاالمطهرون من الذنوب والرجس، وأنّ ما بين الدفّتين من القرآن تنزيل ونزول من ذلك المقام العلوى له.

ومثل هذه الإشارة نجدها فى قوله تعالى: «بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ* فِى لَوْحٍ مَحْفُوظٍ» «۲»

، فوصف القرآن بالمجد والعظمة لكينونته العلوية، أى أنّ المجد والعظمة وصف لذلك الوجود، ولا يغرق البارى تعالى فى وصف موجود بالعظمة إلّالخطورة موقعيته فى عالم الأمر والخلقة، وتلك الكينونة هى المسمّاة باللوح المحفوظ، والوصف بلفظ المحفوظ مع لفظ المكنون مترادف.

وكذلك نجد الإشارة نفسها فى قوله تعالى: «حم* وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ* إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ* وَإِنَّهُ فِى أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ» «۳»

، فوصف القرآن بأنّ له كينونة فى أُمّ الكتاب وهى وجود علوى لدنى عندىّ لدى البارى تعالى، وهذا الوجود موصوف بالعلوّ والإحكام فى قبال التفصيل الذى طرأ على القرآن حين النزول، كما يشير إليه قوله تعالى: «وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ» «۴».

وكذلك قوله تعالى: «الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۵۲

خَبِيرٍ» «۱»

، وكذلك قوله تعالى: «وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَارَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ» «۲»

، فالقرآن النازل تفصيل ونجوم للكتاب العلوى، ويشير إلى الوجود العلوى للقرآن قوله تعالى: «حم* وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ* إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ» «۳»

، أى أنّ القرآن متنزّل من الكتاب المبين، وقد وصِفَ الكتاب المبين بعدّة أوصاف:

منها: قوله تعالى: «وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِى السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَابٍ مُبِينٍ» «۴»

، وقال تعالى: «وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَايَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَابٍ مُبِينٍ» «۵»

، وقوله تعالى: «.. وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى الْأَرْضِ وَلَا فِى السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَابٍ مُبِينٍ» «۶»

، وقوله تعالى: «وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِى الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِى كِتَابٍ مُبِينٍ» «۷».

ثمّ إنّ هناك تعدّداً أيضاً بين مقام وموقع القرآن الكريم بحسب الكتاب المبين واللوح المحفوظ وأُمّ الكتاب، وبين إنزاله جملةً واحدة، وبين تنزيله مفصّلًا مفرّقاً بحسب الزمان، فهناك ثلاثة مقامات ومواقع ومراحل رئيسية للقرآن الكريم لا يسع المقام الخوض فى تفصيلها، إلّاأنّ المحصَّل ممّا مرّ أنّه صلى الله عليه و آله عالم بالكتاب المبين واللوح المحفوظ.

وكذلك أهل بيته المطهّرون، كما أنّه صلى الله عليه و آله قد أُنزل إليه القرآن جملة وهى

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۵۳

المرحلة الثانية، كما تنزّل عليه القرآن نجوماً مفصّلًا أو تفصيلًا وهى المرحلة الثالثة، كما تبيّن أنّ حقائق القرآن العينية موجودة بوجود علوى، وأنّ المعانى وطبقاتها متنزّلة من تلك الحقائق معاكسة وحاكية لها، وأنّ ألفاظ التنزيل ثوب وصورة.

قراءة فى معنى إكمال الدين بعلىّ ...: ص: ۳۵۳

للمعانى المتنزّلة ودرجاتها إلى درجة المعنى الظاهر.

فالكتاب لا يقتصر على التنزيل والظاهر، بل له بطون لا تُحصى من المعانى، ولبطونه بطون هى حقائق مهيمنة، وأنّه لا يحيط بكلّ ذلك إلّاالنبىّ صلى الله عليه و آله بما أوحاه اللَّه إليه، ومن بعده أهل بيته عليهم السلام عنه، وبالتالى لا يمكن الاقتصار على التنزيل والظهور فى الوصول إلى معرفة الدين القويم ونيل الهداية الإلهية من دون وجود الشخص المبين لتلك البطون والكاشف عن حقائق التنزيل؛ لحاجة البشرية إلى الكتاب كلّه ولكلّ درجاته على نحو التدريج بحسب مرّ الزمان والعصور.

فمن ثمّ اتّفقت الإمامية أتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام- على أنّ الدين لم يكمل بالتنزيل إلّابعد أن نصّب اللَّه عليّاً إماماً وهادياً لدينه وكتابه من بعد الرسول صلى الله عليه و آله، كما ينادى بذلك قوله تعالى: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا» «۱»

، فإكمال الدين وإتمام النعمة لم يحصل بمجرّد التنزيل، بل بنصب قيّم بعد النبىّ صلى الله عليه و آله مبيناً لبطون القرآن وحقائقه، ومن بعد علىّ أولاده المعصومين، وفى هذا الزمان ولده الحجّة الإمام المنتظر سلام اللَّه عليه.

وقد روى الكلينى بسنده إلى الحسن بن العباسى بن الحريش عن أبى جعفر

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۵۴

الثانی علیه السلام قال: «قال أبو عبد اللّه علیه السلام: بینا أبی علیه السلام یطوف بالکعبة إذا رجل معتجر قد قیض له فی حدیث مسائلة الیاس النبیّ علیه السلام للباقر علیه السلام- وما قاله له: اخبرنی عن هذه العلم الذی لیس فیه اختلاف من یعلمه؟

قال أبو جعفر علیه السلام: أما جملة العلم فعند اللّه جلّ ذکره، وأمّا ما لابدّ للعباد منه فعند الأوصیاء. ففتح الرجل عجیرته واستوی جالساً وتهلّل وجهه وقال: هذه أردت ولها أتیت زعمت أنّ علم ما لا اختلاف فیه من العلم عند الأوصیاء، فکیف یعلمونه؟

قال: کما کان رسول اللّه صلی الله علیه و آله یعلمه، إلّاأنّهم لا یرون ما کان رسول اللّه صلی الله علیه و آله یری؛ لأنّه کان نبیّاً وهم محدَّثون بالفتح- وأنّه کان یفد إلی اللّه عزّوجلّ فیسمع الوحی وهم لا یسمعون. فقال صدقت یابن رسول اللّه...

فإن قالوا لک: فإنّ علم رسول اللّه صلی الله علیه و آله کان من القرآن فقل: «حم* وَالْکِتَابِ الْمُبِینِ* إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِی لَیْلَةٍ مُبَارَکَةٍ إِنَّا کُنَّا مُنْذِرِینَ* فِیهَا یُفْرَقُ کُلُّ أَمْرٍ حَکِیمٍ* أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا کُنَّا مُرْسِلِینَ» «۱».

فإن قالوا لک لا یرسل اللّه عزّوجلّ إلّاإلی نبیّ فقل: هذا الأمر الحکیم الذی یفرق فیه هو من الملائکة والروح التی تنزّل من سماء إلی سماء أو من سماء إلی أرض.

فإن قالوا: من سماء إلی السماء، فلیس فی السماء أحد یرجع من طاعة إلی معصیة.

فإن قالوا من سماء إلی أرض وأهل الأرض أحوج الخلق إلی ذلک فقل: فهل لهم بد من سید یتحاکمون إلیه؟

فإن قالوا: فإنّ الخلیفة هو حکمهم فقل: «اللَّهُ وَلِیُّ الَّذِینَ آمَنُوا یُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَی النُّورِ وَالَّذِینَ کَفَرُوا أَوْلِیَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ یُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَی الظُّلُمَاتِ أُولَئِکَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِیهَا خَالِدُونَ» «۲»

لعمری ما فی الأرض ولا فی

الامامة الالهیة(۵)، ج۳، ص: ۳۵۵

السماء ولی للّهعزّ ذکره إلّاوهو مؤید، ومن أید لم یخطّ وما فی الأرض عدوّ للّهعزّ ذکره إلّا وهو مخذول، ومن خذل لم یصب، کما إنّ الأمر لابدّ من تنزیله من السماء یحکم به أهل الأرض کذلک لابدّ من وال. فإن قالوا: لا نعرف هذا فقل: (لهم) قولوا ما أحببتم، أبی اللّه عزّوجلّ بعد محمّد صلی الله علیه و آله أن یترک العباد ولا حجّة علیهم» «۱».

ویتبیّن من ذلک أنّ إنکار أحد أئمّة أهل البیت علیهم السلام أی إنکار اتّصال سلسلة إمامتهم أعظم کفراً من إنکار أحد المرسلین السابقین، أی من إنکار سلسلة اتّصال رسالات المرسلین السابقین؛ وذلک لأنّ إنکار سلسلة اتّصال إمامة أهل البیت تعنی إنکار بقاء حجّیة القرآن، للقول بتعطیل الکتاب بتعطیل نزول تأویله فی کلّ عام.

وإنکار القرآن أعظم جحوداً من إنکار أحد الکتب المنزّلة السابقة، وقد عرفت أنّ لیلة القدر قد کانت منذ أوّل نبیّ بعثه اللّه عزّوجلّ واستمرّت مع جمیع الأنبیاء إلی قائم الأنبیاء إلی خاتم الأنبیاء، وکانت مع أوصیاء الأنبیاء، وهی مع الأوصیاء من أهل البیت علیهم السلام بعد رسول اللّه صلی الله علیه و آله وذلک لأنّها من أبرز قنوات الاتّصال مع الغیب، وبتوسّطها ینزل تأویل الکتب السماویة فی من سبق، وتأویل القرآن علی النبیّ صلی الله علیه و آله وعلی أهل بیته من بعده.

ومن ثمّ ورد أنّه لو رفعت لیلة القدر لرفع القرآن کما مرّت الإشارة إلیه، فلیلة القدر تمثّل وحدة السبب الاتّصالی بین الأرض والسماء، وأنّ إنکارها بإنکار أحد الأئمّة من أهل البیت هو فی الحقیقة إنکار لطبیعة هذا الاتّصال الواحد الموحّد لدی السفراء الإلهین، کما یشیر إلی ذلک قوله تعالی: «قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَیْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَی إِبْرَاهِیمَ وَإِسْمَاعِیلَ وَإِسْحَاقَ وَیَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِیَ مُوسَی وَعِیسَی

الامامة الالهیة(۵)، ج۳، ص: ۳۵۶

وَمَا أُوتِیَ النَّبِیُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَانُفَرِّقُ بَیْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ» «۱»

، وقوله تعالی: «الَّذِینَ یَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِیَّ الْأُمِّیَّ الَّذِی یَجِدُونَهُ مَکْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِی التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِیلِ یَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَیَنْهَاهُمْ عَنِ

الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِى أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» «۲»

، فلم يكتفِ البارى عزّوجلّ فى الإيمان بالرسول صلى الله عليه و آله فقط، وإنّما قرن معه بالنور النازل معه والذى هو الروح الأمرى روح القدس، الذى هو حقيقة الكتاب الذى وصف بالنور بأنّه مع من اصطفاه اللّه من العباد بعد رسول اللّه صلى الله عليه و آله وذلك لقوله تعالى: «وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِى مَا الْكِتَابُ وَلَا الإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِى بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا» «۳».

وروى الكلينى بسند معتبر عن أبى جعفر عليه السلام قال: «لقد خلق اللّه عزّوجلّ ذكره ليلة القدر أوّل ما خلق الدنيا، ولقد خلق فيها أوّل نبىّ وصىّ يكون، ولقد قضى أن يكون فى كلّ سنة ليلة يهبط فيها بتفسير الأُمور إلى مثلها من السنة المقبلة من حجّة ذلك، فقد ردّ على اللّه عزّوجلّ علمه لأنّه لا يقوم الأنبياء والرسل والمحدّثون أيضاً بأنّهم جبرئيل أو غيره من الملائكة عليهم السلام.

قال: أمّا الأنبياء والرسل صلى الله عليه و آله فلا شكّ ولابدّ لمن سواهم من أوّل يوم خلقت فيه الأرض إلى آخر فناء الدنيا أن تكون على أهل الأرض حجّة ينزل ذلك فى تلك الليلة إلى من أحبّ من عباده.

وأيم اللّه لقد نزل الروح والملائكة بالأمر فى ليلة القدر على آدم وأيم اللّه ما

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۵۷

مات آدم إلّاوله وصىّ وكلّ من بعد آدم من الأنبياء قد أتاه الأمر فيها ووضع لوصيه من بعده، وأيم اللّه إن كان النبىّ ليؤمر فيها يأتيه من الأمر فى تلك الليلة من آدم عليه السلام إلى محمّد صلى الله عليه و آله أن أُوحى إلى فلان، ولقد قال اللّه عزّوجلّ فى كتابه للولاة من بعده محمّد صلى الله عليه و آله خاصّة «وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِى ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَايُشْرِكُونَ بِى شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ» «۱»

يقول: «استخلفكم لعلمى ودينى وعبادتى بعد نبيّكم، كما استخلف وصاة آدم من بعده حتّى يُبعث النبىّ الذى يليه، يعبدوننى بإيمان لا نبىّ بعد محمّد صلى الله عليه و آله، فمن قال غير ذلك فأولئك هم الفاسقون، فقد مكّن ولاة الأمر بعد محمّد بالعلم ونحن هم، فاسألونا فإن صدّقناكم فأقرّوا وما أنتم بفاعلين، أمّا علمنا فظاهر، وأمّا إبان أجلنا الذى يظهر فيه الدين منّا حتّى لا يكون بين الناس اختلاف، فإنّ له أجلًا من ممرّ الليالى والأيام، إذ أتى ظهر وكان الأمر واحداً.

وأيم اللّه لقد قُضى الأمر أن لا يكون بين المؤمنين اختلاف، ولذلك جعلهم شهداء على الناس ليشهد محمّد صلى الله عليه و آله علينا، ولنشهد على شيعتنا ولتشهد شيعتنا على الناس. أبى اللّه عزّوجلّ أن يكون فى حكمه اختلاف، أو بين أهل علمه تناقض.

ثمّ قال أبو جعفر عليه السلام: فضل إيمان المؤمن بجملة (إنّا أنزلناه) وبتفسيرها على من ليس مثله فى الإيمان بها كفضل الإنسان على البهائم، وإنّ اللّه عزّوجلّ ليدفع بالمؤمنين بها» «... ۲».

وقد ورد من طرق الفريقين عنه صلى الله عليه و آله قوله لعلىّ عليه السلام: «أنا أقاتل على التنزيل وعلىّ

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۵۸

يقاتل على التأويل» «۱»

، ومنه ظهر أنّ سنخ تبليغ النبىّ صلى الله عليه و آله عن اللّه وأهل بيته عليهم السلام عنه لا يقف على حدّ التنزيل والألفاظ، بل يتّسع إلى ما لا يُحصى من مدارج المعانى وبيان الحقائق، فالحاجة إلى تبليغهم وأدائهم عن اللّه ووساطتهم بين اللّه وخلقه تمتدّ إلى يوم القيامة فى دار التكليف ونشأة الامتحان، ما دام البشر يحتاجون فى كل بيئة إلى رؤية كونية عقائدية أعمق للحقائق والمعارف، ويحتاجون إلى هداية من الشريعة إلى أطوار نظامهم الاجتماعى السياسى وحقوله.

فتلخّص، أنّ ما تسالم عليه المسلمون من وجود الظهور والبطون فی الكتاب العزيز وكون علومه وحقائقه وكلماته لا تتناهی، يستلزم دوام الحاجة إلی تبليغ النبیّ صلی الله عليه و آله وأهل بيته عليهم السلام من بعده، وعدم سدّ الحاجة بخصوص الظاهر بعد كون الإيمان بباطن القرآن علی حذو الإيمان بظاهره.

ويشير إلی ذلک أيضاً قوله تعالی: «يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْکَ مِنْ رَبِّکَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُکَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَايَهْدِی الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ» «۲»

، فإنّ توقّف تبليغ مجمل الرسالة علی نصب علیّ عليه السلام فی الغدير بحيث لو لم يُنصّب لم تُبلّغ الرسالة من رأس وهذا المفاد فی الآية، مؤشّر واضح علی أنّ ما حمل النبیّ صلی الله عليه و آله من الرسالة بالوحی مُعظَمه لا يقتصر علی التنزيل، بل جُلّه فی البطون وحقيقته العلوية التی لا يشذّ عنها شیء، وهذا لم يؤدّه النبیّ إلّا

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۵۹

لعلیّ وأهل بيته خاصّة، وتأديته صلی الله عليه و آله لأهل بيته لم تقتصر علی النمط الحسّی ولا هو عمده الطريق لتلقيهم عليه السلام عنه صلی الله عليه و آله.

فمن ثمّ كان إبلاغ النبیّ صلی الله عليه و آله التنزيل للناس من دون نصب علیّ نفی لإبلاغ وبلاغ جلّ الرسالة، وأنّ ما عند الناس من الدين والشريعة والرسالة هو أقلّ من قليل، إلّاباتّباعهم لأهل بيت النبیّ صلی الله عليه و آله وأخذهم عنهم ما أدّاه النبیّ إلی أهل بيته من حقائق القرآن والشريعة، ويشير إلی ذلک ما روته العامّة فی الصحاح وغيرها كما ذكره السيوطی فی تاريخ الخلفاء «۱»: «لا يزال هذا الدين عزيزاً منيعاً إلی اثنی عشر خليفة كلّهم من قريش».

وفی رواية: «إنّ هذا الأمر لا ينقضی حتّی يمضی له فيهم اثنی عشر خليفة كلّهم من قريش» «۲»

، وفی رواية عن أبی داود: «لا يزال هذا قائماً حتّی يكون لكم إثنی عشر خليفة» «۳»

. فإنّ التعبير بأنّ الدين قائم بهم أی أنّه ينقضی بزوالهم ويزول بمضيهم، وأنّ عمر هذا الدين وصلاحه مرهون عند اللَّه عزّوجلّ بالخلفاء الاثنی عشر.

وهذا المفاد للحديث النبویّ المستفيض يقتضی بأنّ ما وصل بأيدی الناس من ظاهر التنزيل من المصحف الشريف وروايات السنّة النبويّة بمجرّده لا يكفی فی بقاء الدين، ممّا يدلّ علی أنّ معظم الدين وقوامه موجود لدی الاثنی عشر سلام اللَّه عليهم دون غيرهم، وكذا لا يمكن الاكتفاء بظاهر التنزيل والروايات المأثورة عن أهل البيت عليهم السلام والاستغناء عن المهدی (عج).

حيث قال تعالی: «قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّی لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۶۰

كَلِمَاتُ رَبِّی وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا» «۱»

، وقال تعالی: «وَلَوْ أَنَّمَا فِی الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» «۲»

، ليس المراد من الكلمات التی لا تنفذ الألفاظ الصوتية أو المنقوشة المدوّنة أو المعانی المفهومة المتصوّرة؛ إذ إطلاق الكلمة والكلمات علی هذين الموردين إطلاق مجازی عند العقل، إذ الكلمة هی الشیء الدالّ بذاته تكويناً علی أمر آخر، ومن ثمّ يُطلق علی وجودات الأشياء المخلوقة لا سيّما الشريفة- أنّها كلمات اللَّه؛ لدلالتها علی صفات الباری تعالی.

ومنه يُعرف الترادف عند العقل بين الكلمة الحقيقية والآية، ومن ثمّ ورد إطلاق كلّ منهما علی النبیّ عيسی عليه السلام، وقال تعالی فی بشارة الملائكة لمريم: «إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُکِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَی ابْنُ مَرْيَمَ» «۳»

، فجعل تعالی وجود نبيّه كلمة منه تعالی وتكلّمٌ منه، وجعل عنوان المسيح عيسی ابن مريم اسم للكلمة، كما أطلق تعالی الآية علی عيسی ابن مريم حيث قال: «وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا» «۴».

فهذه الکلمات الوجودیة والتی قد تعرّضت جملة من الآیات لنعوتها وصفاتها والتی لا تنفد، کلّها مجموعة فی الکتاب المبین؛ إذ الکتاب هو ما یتألّف من کلمات، فالکتاب المبین متکوّن من وجود جملی لکافّة الکلمات الوجودیة بالوجود الملکوتی، ومن ثمّ نعت الکتاب المبین بأنّه مفاتح الغیب کما فی الآیة المتقدّمة: «وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَیْبِ لَایَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَیَعْلَمُ مَا فِی الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا یَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِی ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا یَابِسٍ إِلَّا فِی کِتَابٍ

الامامة الالهیة(۵)، ج۳، ص: ۳۶۱

مُبِینٍ» «۱».

تلقی النبی صلی الله علیه و آله وأهل بیته للکلمات والکلام الإلهی بوجوده التکوینی لا الاعتباری ...: ص: ۳۶۱

إنّ ما یتلقّاه النبیّ صلی الله علیه و آله من وحی لا ینحصر فی الوحی الإنبائی، کما أنّ سنخ الوحی الإنبائی لا ینحصر فی إلقاء المعانی أو الأصوات، بل إنّ عمدة أنواع وأنماط الوحی هو ما یکون من قبیل تلقّی حقائق الأشیاء بحقیقتها التکوینیة بکینونة تفوق الکون المادّی، وهو ما یعبّر عنه بنشأة الملکوت فی القرآن الکریم، قال تعالی: «فَسُبْحَانَ الَّذِی بِیَدِهِ مَلَکُوتُ کُلِّ شَیْءٍ وَإِلَیْهِ تُرْجَعُونَ» «۲».

وقد أشار القرآن الکریم إلی وجود کینونة للأشیاء فی نشأة الملکوت فقال تعالی: «وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَیْبِ لَایَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَیَعْلَمُ مَا فِی الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا یَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِی ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا یَابِسٍ إِلَّا فِی کِتَابٍ مُبِینٍ» «۳»

، وقال تعالی: «وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِی الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ یَطِیرُ بِجَنَاحَیْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُکُمْ مَا فَرَّطْنَا فِی الْکِتَابِ مِنْ شَیْءٍ ثُمَّ إِلَی رَبِّهِمْ یُحْشَرُونَ» «۴»

، وقال تعالی: «وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِی السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِی کِتَابٍ مُبِینٍ» «۵»

، وقال تعالی: «إِنَّا نَحْنُ نُحْیِی الْمَوْتَی وَنَکْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَکُلَّ شَیْءٍ أَحْصَیْنَاهُ فِی إِمَامٍ مُبِینٍ» «۶»

، وغیرها من الآیات التی تدلّ علی أنّ فی نشأة الکتاب المبین وهی نشأة تحیط بغیب السماوات والأرض یستطرّ فیها کلّ شیء بحسب ملکوته، قال تعالی: «وَکَذَلِکَ

الامامة الالهیة(۵)، ج۳، ص: ۳۶۲

نُرِی إِبْرَاهِیمَ مَلَکُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِیَکُونَ مِنَ الْمُوقِنِینَ» «۱»

، فأثبت تعالی للسماوات والأرض ملکوت، فإحاطة وهیمنة الملکوت علی کلّ الأشیاء وصف مقرّر للکتاب المبین، وتقرّر الأشیاء بحسب ملکوتها فیه لیس تقرّر معانیها ومفاهیمها، بل تقرّر کینونة وجودیة ملکوتیة، بل أنّ هناک أوصافاً ونعوتاً قرآنیة أُخری للکتاب المبین تفوق ذلک.

والقرآن جملة وهو جملة حقیقیة، فحقیقة القرآن لیست بلفظ عربی أو أعجمی کما أنّه لیس بمعنی بل هو الروح الأعظم، حیث عبّر عنه فی سورة النحل قوله تعالی: «قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّکَ بِالْحَقِّ لِیُثَبِّتَ الَّذِینَ آمَنُوا وَهُدًی وَبُشْرَی لِلْمُسْلِمِینَ» «۲»

، والآیة الکریمة فی نفس السورة التی صدرها: «یُنَزِّلُ الْمَلَائِکَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَی مَنْ یَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَاإِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ» «۳»

، فبین الآیتین فی السورة الواحدة ارتباط، وأنّ ذلک الروح الذی ینزل به الملائکة هو روح القدس، وهو الروح النازل فی لیلة القدر بجملة الکتاب، ویعضد هذا الارتباط بین الآیتین فی سورة النحل توسّط آیة أُخری فی السورة وهی قوله تعالی: «وَنَزَّلْنَا عَلَیْکَ الْکِتَابَ تِبْیَانًا لِکُلِّ شَیْءٍ وَهُدًی وَرَحْمَةً وَبُشْرَی لِلْمُسْلِمِینَ» «۴»

، ومن الواضح فی هذه الآیة إرادة جملة الکتاب وحقیقته، لا

الامامة الالهیة(۵)، ج۳، ص: ۳۶۳

النزول النجومی ولا تنزیل القرآن بوجوده اللفظی؛ لأنّ الذی فیه تبیان کلّ شیء هو حقیقة القرآن الذی یعبّر عنه بالکتاب المبین

والمكنون واللوح المحفوظ، إلى غيرها من الأوصاف الآتى استعراضها لهذا الوجود الرابع.

وكذلك سيأتى استعراض روايات أهل البيت عليهم السلام الكاشفة لتفسير كلّ ذلك من ظاهر ألفاظ الآيات الكريمة. وتقدّم الكلام فى أنّ القرآن اسم حقيقة لروح القدس، النازل على النبىّ جملة فى النزول الدفعى الجملى للقرآن كما فى آخر سورة الشورى، وأنّه ملتحم مع روح النبىّ صلى الله عليه و آله ومن بعده مع أرواح الأوصياء من أهل بيته صلى الله عليه و آله.

ولا- يخفى أنّ لفظة الكتاب شأنها فى أقسام الوجود شأن ما تقدّم من الوجودات الأربعة لكلّ شىء، فإنّ الكتاب يُطلق على وجود النقش والرسوم المكتوبة، وهو الذى يُستعمل فيه كثيراً، كما يُطلق الكتاب أيضاً على أصوات الألفاظ المجموعة فيقال قراءة الكتاب، ويُطلق على وجود المعانى فيقال حفظتُ كتاباً كاملًا، ويُطلق على الوجود العينى الخارجى الجامع للكلمات التكوينية.

وبعبارة أُخرى: إنّ الكتاب الذى هو مجموع الكلمات والكلمة بدورها له أربع وجودات:

الأوّل: الكلمة المكتوبة المنقوشة.

الثانى: الكلمة الملفوظة المصوّتة.

الثالث: الوجود الذهنى فى الفكر للكلمة.

الرابع: الوجود العينى الخارجى لشىء دالّ على شىء آخر.

كما أطلق تعالى القرآن على عيسى عليه السلام فى قوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ» «۱»

، وقوله تعالى: «إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ» «۲»

، وهذا الإطلاق ليس مجازياً، بل حقيقياً؛ لكون الأصل فى معنى الكلمة هو الشىء الموجود لأجل الدلالة على المعنى الخفى، وأى دلالة أعظم على صفات اللّه من أنبيائه ورسله والأوصياء والحجج، والكلمة مقاربة فى

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۶۴

معناها لمعنى الآية، حيث إنّ معناها العلامة الدالّة على معنى ومدلول ما، وقد أُطلق لفظ الآية على الوجودات التكوينية فى كثرة كاثرة من الموارد فى القرآن الكريم.

منها: قوله تعالى: «وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً» «۱»

، وقوله تعالى: «وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا» «۲»

، وقوله تعالى: «فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ» «۳»

، فأطلق على النبىّ عيسى عليه السلام كلّاً من (الكلمة والآية)، ويقرب لفظ (الاسم) من هذا المعنى من لفظ (الكلمة والآية) وإطلاقهما على الوجود التكوينى، حيث إنّ معناه من السمة وهو العلامة أيضاً الدالّة على شىء أو معنى ما. فهذه الألفاظ الثلاثة هى بدورها أيضاً- لها أربع وجودات، الأُوليان اعتباريان وهما الصوت الملفوظ والنقش المرسوم على الورق، والأُخريان تكوينيان:

الثالث: وجودها فى أُفق المعنى والفكر والذهن ومدارج المعانى.

الرابع: الوجودات العينية.

وعلى ضوء ذلك، فالكتاب الذى هو مجموع الكلمات أيضاً هو بدوره له أربع وجودات، اثنان اعتباريان وهما المنقوش والملفوظ، واثنان تكوينيان وهما الوجود فى أُفق الفكر والذهن والوجود العينى الخارجى.

وإذا كان عيسى بن مريم عليه السلام بما له من روح نبويّة كلمة من هذا الكتاب وآية من آياته، فكيف بك فى بقية الكلمات والآيات؟ بل ما هو الحال فى جملة الكتاب مع أنّه تعالى يقول فى عيسى بن مريم عليه السلام- الذى هو كلمة من هذا الكتاب- «وَآتَيْنَا

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۶۵

عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ» «۱»

، فعبّر تعالى بتأييده بروح القدس، ممّا يفهم أنّ روح القدس أعظم من روح النبيّ عيسى عليه السلام؛ حيث قال تعالى فى عيسى عليه السلام: «وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ» «۲»

، وقال تعالى: «اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ» «۳»

، ومن ثمّ لم يكن للنبيّ عيسى العلم بالكتاب كلّه كما كان لسيد الأنبياء صلى الله عليه و آله؛ لقوله تعالى فى عيسى: «قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ» «۴»

، تبيّن الآية أنّه عليه السلام يبيّن بعض اختلاف بنى إسرائيل لا كلّه.

وكذلك الحال فى موسى عليه السلام حيث قال تعالى: «وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ» «۵»

فما كُتب لموسى ليس كلّ شىء وإنّما من كلّ شىء، بخلاف القرآن الكريم حيث وصف بالمهيمن وأنّه تبيان كلّ شىء.

فهذا الارتباط بين كون عيسى كلمة وآية وبين كونه مؤيد بروح القدس، لا أنّ عيسى هو روح القدس.

كما أنّ الارتباط والصلة التى تشير إليها سورة القدر والدخان والشورى والنحل وغافر كما تقدّم استعراض آيات السور- بين الروح الأمرى وروح القدس وبين نزول الكتاب المبين، يدلّ بوضوح أنّ الكتاب المبين حقيقته هو روح القدس، والذى يعبّر عنه فى بعض الروايات بالروح الأعظم، فهذا الروح الذى هو حقيقة وجود الكتاب المبين هو الذى أُوحى به إلى النبيّ صلى الله عليه و آله فى قوله تعالى: «وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِى مَا الْكِتَابُ..» «۶»

، فدراية الكتاب كلّه هو بإرسال هذا الروح إلى روح النبيّ، ومقتضى دراية النبيّ صلى الله عليه و آله بالكتاب كلّه هو

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۶۶

التحام الروح فى ضمن روحه صلى الله عليه و آله، وكذلك تنزّل هذا الروح فى الليلة المباركة وهى ليلة القدر والذى هو تنزّل لحقيقة الكتاب عليه صلى الله عليه و آله.

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۶۷

نعوت حقيقة الكتاب وهى روح القدس ... ص: ۳۶۷

اشارة

منها: قوله تعالى: «وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا» «۱»

، فوصف القرآن بأنّه يسيّر به الجبال وتقطّع به الأرض ويُحيى به الموتى، ومن الواضح أنّ هذه الخواص ليست للكتابة المنقوشة التى هى بين الدفّتين للمصحف المقدّس، بل هى لحقيقة القرآن الموجودة فى الغيب وهى روح القدس.

ومنها: قوله تعالى: «يَمْحُواْ اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ» «۲»

، ومن الواضح أنّ لوح المحو والإثبات وما فوقه من أمّ الكتاب ليس فى المصحف الورقى، بل هو فى نشأة الغيب.

ومنها: قوله تعالى: «لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ» «۳»

، ومن الواضح أنّ المصحف المقدّس المنقوش بين الدفّتين لو وُضع على جبل ما رأيناه ينهدّ متصدّعاً، إذن، المراد بذلك هو نزول روح القدس على ملكوت الجبل؛ لأنّ لكلّ شىء ملكوت كما قال تعالى: «فَسُبْحَانَ الَّذِى بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ» «۴»

،

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۶۸

فملكوت الجبل ليست له تلك القابلية والظرفية لنزول روح القدس عليه، بل لم تكن تلك القابلية فى الأنبياء أُولى العزم كما تقدّمت الإشارة إليه، بل هى خاصّة بالنبىّ صلى الله عليه و آله وأهل بيته المطهّرين، كما سيأتى بيان ذلك.

ومنها: قوله تعالى: «وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ» «۱»

، ومن الواضح أنّ تبيان كلّ شىء ليس فى ظاهر المصحف المنزّل، وإنّما فى الكتاب المبين فى النشأة الغيبية أى روح القدس، ومن ثمّ تكرّر التعبير المشابه للوصف فى سورة النحل وفى سورة الشورى، ونظير هذا الوصف فى قوله تعالى: «وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى الْأَرْضِ وَلَا فِى السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَابٍ مُبِينٍ» «۲»

، فذكر أنّ فيه كلّ مغيّبات السماء والأرض وتقدير الحوادث، كما ذكر ذلك فى سورة القدر والدخان، ونظيره قوله تعالى: «وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِى الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِى كِتَابٍ مُبِينٍ» «۳»

، وقوله تعالى: «وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِى السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَابٍ مُبِينٍ» «۴»

، وقوله تعالى: «عَالِمِ الْغَيْبِ لَايَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى السَّمَوَاتِ وَلَا فِى الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَابٍ مُبِينٍ» «۵»

، وكذلك قوله تعالى: «مَا فَرَّطْنَا فِى الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ» «۶»

، وقوله تعالى: «وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَايَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَابٍ مُبِينٍ» «۷».

ومن الظاهر أنّ هذه الإحاطة بتفاصيل كلّ الأشياء ليست فى تفاصيل ظاهر

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۶۹

التنزيل، وأنّما هو نعت للنشأة الغيبية لحقيقة الكتاب، ومن ثمّ هذا الوصف بيّن ظرفه فى أرواح الذين أوتوا العلم فى قوله تعالى: «بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِى صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ» «۱»

، وهذا ممّا يدلّ على التحام روح القدس مع من يتنزّل الروح عليه ليلة القدر، وهم الذين يؤتون علم الكتاب كلّه.

ونعوت الوجود التنزيلى للقرآن وصفت فى الآيات العديدة أنّه بلسان عربى مبين، كما فى قوله تعالى: «هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ» «۲»

، فالتشابه وصف لظاهر التنزيل، بينما المبين كلّه وصف للكتاب المكنون؛ وإلّا لو حُملت النعوت على مرتبة واحدة من وجود القرآن وهو ظاهر التنزيل لتناقض الوصفان، فكيف يكون فيه متشابه ويكون مبيناً كلّه وتبياناً لكلّ شىء؟

ومنها: وصفه بالكنّ والمجد، كقوله تعالى: «إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ* فِى كِتَابٍ مَكْنُونٍ» «۳»

، وقوله تعالى: «بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ* فِى لَوْحٍ مَحْفُوظٍ» «۴»

، فوصف الكرامة قريب من وصف المجد، ووصف المكنون قريب من وصف المحفوظ، ومعنى اللوح قريب من الكتاب.

ومن ثمّ وصف أيضاً «لَايَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ» «۵»

أى لا يصل إليه إلّامن طهّره اللّه، لا المتطهّر بالوضوء والغسل. ومن ثمّ وصف أيضاً بتنزيل من ربّ العالمين أى له وجود علوى.

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۷۰

الثقل الأكبر هو القرآن الناطق ...: ص: ۳۷۰

إذا تبينت الأُمور الثلاثة المتقدّمة من أنّ حقيقة القرآن هى روح القدس وتلك الحقيقة هى عين ذواتهم عليهم السلام، وأنّ للقرآن مدارج ودرجات، وأنّ المصحف هو أنزل درجات، فهو القرآن النازل وهو تنزيل القرآن، وأمّا الدرجات العليا فهى حقيقة القرآن

وهى أكثر عظمة وقدسية وبهاء وسموّاً، وأنّ تلك الحقائق هى الثقل الأكبر، إذ كيف يكون الوجود النازل وهو المصحف أكبر من أُمّ الكتاب ومن الكتاب المبين الذى يستطرّ فيه كلّ شيء، ومن اللوح المحفوظ والكتاب المكنون الذى لا يمسّه إلّاالمطهرون.

وتلك الحقائق الغيبية التى هى روح القدس مرتبطة وملتحمة مع أرواح الأئمّة عليهم السلام حقيقةً لا تنزيلًا واعتباراً، فالارتباط الحى الحيوى بروح القدس هو ذات الإمام عليه السلام، فالثقل الباقى بعد النبىّ صلى الله عليه و آله الأكبر لا محالة يكون الإمام والمصحف هو الأصغر، وعلى ذلك جملة من الشواهد:

الأوّل: ما ورد بنحو مستفيض ومتواتر أنّهم عليهم السلام القرآن الناطق والمصحف هو القرآن الصامت، ولا ريب أنّ القرآن الناطق هو الثقل الأكبر؛ إذ الناطق أعظم شرافة من الصامت، بل أنّ ملحمة صفّين الكبرى تُسطّر ملحمة عقائدية للأئمّة أنّ القرآن الناطق هو علىّ عليه السلام، وأنّ المصحف قرآن صامت.

كما أنّ تلك الروايات المستفيضة فى كونهم القرآن الناطق دلالة واضحة على هيمنة حجّيتهم على حجّية المصحف الشريف، أى حجّية ذواتهم الناطقة لا كلامهم المروى فى الكتب الذى هو إمام صامت.

وفى الكافى روى فيما هو كالموثق عن مسعدة عن أبى عبد اللّه عليه السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام فى حديث: «ذلك القرآن فاستنطقوه ولن ينطق لكم أخبركم عنه ان فيه علم ما مضى وعلم ما يأتى إلى يوم القيامة وحكم ما بينكم وبيان ما أصبحتم فيه

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۷۱

تختلفون فلو سألتمونى عنه لعلمتكم» «۱».

الثانى: ما رواه الشريف الرضى فى كتابه خصائص الأئمّة بسند صحيح عن أبى موسى الضرير البجلى وهو عيسى ابن المستفاد وهو وإن ضُعّف من النجاشى إلّا أنّه مستند فى ذلك إلى تضعيف ابن الغضائرى المتسرّع، والحال أنّ مضامين رواياته عالية المعارف. عن أبى الحسن عليه السلام فى خطبة الرسول صلى الله عليه و آله التى خطبها فى مرضه، قال: «يا معاشر المهاجرين والأنصار ومن حضر فى يومى هذا وساعتى هذه من الأنس والجنّ، ليبلغ شاهدكم غائبكم، ألا وأنّى قد خلّفت فيكم كتاب اللّه فيه النور والهدى والبيان لما فرض اللّه تبارك وتعالى من شيء حجّة اللّه عليكم وحجّتى وحجّة وليّى، وخلّفت فيكم العلم الأكبر علم الدين ونور الهدى وضياءه وهو علىّ بن أبى طالب، ألا ـ وهو حبل اللّه «وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ» «۲».

أيّها الناس، هذا علىّ، من أحبّه وتولّاه اليوم وبعد اليوم فقد أوفى بما عاهد عليه اللّه، ومن عاداه وأبغضه اليوم وبعد اليوم جاء يوم القيامة أصمّ وأعمى لا حجّة له عند اللّه..

وكلّ سُنّة وحديث وكلام خالف القرآن فهو زور وباطل، القرآن إمام هادٍ، وله قائد يهدى به ويدعو إليه بالحكمة والموعظة الحسنة وهو علىّ بن أبى طالب عليه السلام» «۳».

ودلالة الرواية على أنّهم الثقل الأكبر فى مواضع:

منها: وصف النبىّ صلى الله عليه و آله لعلىّ عليه السلام بأنّه العلم الأكبر، علم الدين فى مقابل المصحف الشريف، مع تكراره صلى الله عليه و آله للأوصاف التى ذكرها لنعت القرآن كأوصاف

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۷۲

لعلىّ أيضاً.

ومنها: تخصيصه صلى الله عليه و آله حبل اللّه بعلىّ مع أنّ المصحف الشريف حبل اللّه، كما فى الأحاديث الأُخرى إلّاأنّ هذا التخصيص فى هذه الرواية للتدليل على أنّه الحبل الأكبر.

ومنها: وصفه الكتاب بأنّه حجّة اللّه على الناس وحجّة الرسول وحجّة الوصىّ، فجعل المصحف الشريف حجّة لما هو مقام أعظم وهو

مقام اللَّه ورسوله ووليه.

ومنها: وصف علىّ عليه السلام بأنّه قائد للقرآن وأنّه الهادى به، مع أنّ القرآن إمام وهاد، فجُعلت القيمومة لعلىّ على المصحف.

الثالث: إنّ المقابلة ليست بين كلام اللَّه تعالى وكلام المعصوم؛ إذ لا ريب أنّ كلام الخالق فوق كلام المخلوق، بل هى بين كلامَى الخالق، أى الكلام النازل وهو تنزيل الكتاب وكلامه تعالى فى الكتاب المكنون واللوح المحفوظ وأُمّ الكتاب.

ولك أن تقول: إنّ المقارنة ليست بين المصحف وكتب الحديث وروايات السنّة النبويّة وسنّة المعصومين؛ إذ لا ـ ريب فى عظمة المصحف على كتب الحديث فالحديث يُعرض على الكتاب، وإن كان متشابه المصحف يُعرض على محكمات كلّ من الكتاب والسنّة، فمتشابه السنّة يُعرض على محكمات الكتاب والسنّة، وكذلك الحال فى متشابهات العقل فى القضايا النظرية تُعرض على محكمات الكتاب والسنّة وبديهيات العقل.

فليس المقارنة بين الكتاب والمصحف العزيز وكتاب الحديث، وإنّما المقارنة هى بين المصحف وذات الإمام المعصوم نفسه عليه السلام، وقد وصف المصحف العزيز بأنّه القرآن الصامت أى الذى لا ينطق بنفسه فى مقام التطبيق وتفاصيل الوقائع ولا متشابه الأُمور، بخلاف ذات المعصوم فإنّها وصفت بالقرآن الناطق؛ لأن ذات

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۷۳

المعصوم تلتحم بذات الكتاب وأُمّ الكتاب والكتاب المبين.

فدرجات القرآن العليا التى هى جزء ذات المعصوم قرآن ينطق، فيرفع المتشابه فى الأُمور، ويكون تلاوة للكتاب حقّ تلاوته، أى يتلو الآية ويطبّقها وينزل تطبيقها فى حقّ المورد التى يجب أن تطبّق فيه.

وكذلك الحال فى المقارنة بين ذات الإمام وكتب الحديث، فإنّ ذات الإمام إمام ناطق وكتب الحديث إمام صامت، ومن ثمّ لا يُستغنى بتراث حديث النبىّ وأهل بيته عليهم السلام عن وجود الإمام المهدى (عج).

وبهذا يتّضح أنّ المقارنة ليس بين كلام اللَّه وكلام المعصوم، بل المقارنة بين كلامَى اللَّه، فإنّ ذات المعصوم هو كلام اللَّه حقيقة، ألا ترى الإشارة فى قوله تعالى:

«إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ» «۱»

، وقوله تعالى: «إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ..» «۲».

فأطلق على عيسى عليه السلام أنّه كلمة اللَّه. وأيضاً لاحظ التعبير فى قوله تعالى لزكريا:

«أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ» «۳»

، أى مصدّقاً بعيسى بن مريم، والتعبير فى قوله تعالى فى شأن مريم: «وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ» «۴»

، فقوبل هنا بين الكلمات والكتب.

رابعاً: قد يُعترض على جعل أهل البيت الثقل الأكبر فى مقابل المصحف الكريم، بأنّه مخالف للحديث النبوىّ المستفيض وهو الوصية بالتمسّك بالثقلين، فإنّ الحديث وإن كان متواتراً إلّاأنّ ما ورد فيه بلفظ الأكبر والأصغر هو فى جلّ الطرق لا كلّها.

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۷۴

منها: ما رواه الشيخ المفيد فى المجالس بسنده عن أبى جعفر عليه السلام، عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: «يا أيّها الناس، إنّى تارك فيكم الثقلين.. سببٌ طرفه بيد اللَّه وطرف بأيديكم تعملون فيه.. ألا وهو القرآن والثقل الأصغر أهل بيتى. ثمّ قال: وأيم اللَّه إنّى لأقول لكم هذا ورجالٌ فى أصلاب أهل الشرك أرجى عندى من كثير منكم» «۱».

وروى فى البحار أيضاً عن تفسير القمّى وغيره قول النبىّ صلى الله عليه و آله: «أما وأنّى سائلكم عن الثقلين كتاب اللَّه الثقل الأكبر، طرفٌ بيد اللَّه وطرفٌ بأيديكم فتمسّكوا به» «۲».

وروى أيضاً فى البحار عن تفسير العياشى: «قال صلى الله عليه و آله: الثقل الأكبر كتاب اللَّه سبب بيد اللَّه وسبب بأيديكم فتمسّكوا به لن تهلكوا أو تضلّوا، والآخر عترتى، وأنّه قد نبّأنى اللطيف الخبير أنّهما لن يفترقا حتّى يردا علىّ الحوض» «۳».

وروى فى البحار أيضاً عن كتاب النشر والطى، عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: «أيّها الناس، إنّى تارك فيكم الثقلين: الثقل الأكبر كتاب اللَّه عزّوجلّ طرفٌ بيد اللَّه تعالى وطرفٌ بأيديكم فتمسّكوا به، والثقل الأصغر عترتى أهل بيتى؛ فإنّه قد نبّأنى اللطيف الخبير أنّهما لن يفترقا حتّى يردا علىّ الحوض، كاصبعى هاتين وجمع بين سبابتيه ولا أقول كهاتين وجمع بين سبابته والوسطى- فتفضل هذه على هذه» «۴».

وروى فى بصائر الدرجات عن النبىّ صلى الله عليه و آله، قال: «الثقل الأكبر كتاب اللَّه سببٌ طرفه بيد اللَّه وسببٌ طرفه بأيديكم» «۵».

وروى فى الخصال عنه صلى الله عليه و آله قوله: «أمّا الثقل الأكبر فكتاب اللَّه عزّوجلّ سببٌ ممدود

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۷۵

من اللَّه ومنّى فى أيديكم، طرفه بيد اللَّه والطرف الآخر بأيديكم، فيه علم ما مضى وما بقى إلى أن تقوم الساعة، وأمّا الثقل الأصغر فهو حليف القرآن وهو علىّ بن أبى طالب وعترته، وأنّهما لن يفترقا حتّى يردا علىّ الحوض» «۱».

وتوضيح دفع الاعتراض:

أوّلًا: إنّ كلّ هذه الروايات قد وصفت الكتاب أو القرآن بالثقل الأكبر، فلم تأت بلفظ المصحف والكتاب، القرآن كما يطلق على المصحف يطلق على أُمّ الكتاب وعلى الكتاب المبين وعلى اللوح المحفوظ وعلى روح القدس، كما تقدّم ذلك مفصّلًا فى استعمالات آيات السور والاستعمال الروائى، فالكتاب أو القرآن ذو درجات ومقامات متعدّدة.

ثانياً: القرينة على إرادة تلك المقامات العالية من لفظ الكتاب والقرآن فى طرق حديث الثقلين الموصوف بالثقل الأكبر، وأنّه ليس المراد به مجرّد المصحف الشريف، وصف صلى الله عليه و آله القرآن بأنّه سببٌ أحد طرفيه بيد اللَّه والطرف الآخر بيد الناس، ومثله توصيفه بأنّه حبل ممدود من السماء إلى الأرض، ممّا يدلّ على أنّ الموصوف بالثقل الأكبر هو الدرجات الغيبية، كروح القدس وأُمّ الكتاب، وهى الطرف الذى بيد اللَّه، فتكرار هذا الوصف بأنّ له طرفان تأكيد على كون أنّ وصف الأكبرية هى بلحاظ الطرف الذى بيد اللَّه.

ثالثاً: إنّه ورد فى عدّة طرق من ألفاظ الحديث الشريف أنّهما لن يفترقا كاصبعى هاتين وجمع صلى الله عليه و آله بين سبابتيه، وليس كهاتين وجمع صلى الله عليه و آله بين سبابته والوسطى، وعلّل صلى الله عليه و آله ذلك لئلّا يفضل أحدهما على الآخر ممّا يقضى بالتساوى، وأنّ الأكبرية هى بلحاظ الطرف الذى بيد اللَّه.

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۷۶

رابعاً: إنّه قد ورد فى ألفاظ الحديث وصف مجموع الثقلين بأنّه حبل اللَّه الممدود بينه وبين خلقه، ممّا يقضى بأنّ مجموع الثقلين هما حبل واحد باطنهما متّحد كحبل نورى واحد.

وقد تقدّم دلالة الآيات المتعرّضة لحقيقة ليلة القدر وإنزال روح القدس على العترة المطهّرة وتأييد أرواحهم به، كما فى قوله تعالى:

«يُلْقِى الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ» «۱»

، وغيرها من الآيات.

ففى ما رواه النعمانى فى الغيبة من قوله صلى الله عليه و آله: «ألا وأنّى مخلّف فيكم الثقلين: الثقل الأكبر القرآن، والثقل الأصغر عترتى أهل بيتى، هما حبل اللَّه ممدود بينكم وبين اللَّه عزّوجلّ، ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا، سببٌ منه بيد اللَّه وسببٌ بأيديكم، إنّ اللطيف الخبير قد نبّأنى أنّهما لن يفترقا حتّى يردا علىّ الحوض كاصبعى هاتين- وجمع بين سبابتيه- ولا- أقول كهاتين وجمع بين سبابته والوسطى فتفضل هذه على هذه» «۲»

وصفٌ فی لفظ هذا الطریق لکلٍ من الثقلین بأنّهما حبل اللّه الممدود، کما وصف صلی الله علیه و آله أنّ کلّاً من الثقلین طرف منه بید اللّه وطرف منه بید الناس، کما أنّه صلی الله علیه و آله قرنهما بجمع السبابتین لا بجمع السبابهٔ والوسطی؛ لئلّا تفضل هذه علی هذه.

فکلّ ذلک یؤکّد أنّ الأکبریهٔ هی بلحاظ الطرف الغیبی فی کلّ من المصحف والعترهٔ ممّا ینتهی إلی ید اللّه وقدرته، ویزیدک وضوحاً فی هذا المعنی أنّه قد ورد مستفیضاً وصف علیّ والعترهٔ بأنّهم حبل اللّه، نظیر ما رواه النعمانی أیضاً وبسنده عن علیّ بن الحسین علیهما السلام قال: «کان رسول اللّه صلی الله علیه و آله ذات یوم جالساً ومعه أصحابه فی المسجد، فقال: یطلع علیکم من هذا الباب رجل من أهل الجنّهٔ یسأل عمّا یعنی. فطلع رجل طوال یشبه برجال مضر، فتقدّم وسلم علی رسول اللّه صلی الله علیه و آله، فقال: یا رسول اللّه، إنّی

الامامهٔ الالهیهٔ(۵)، ج۳، ص: ۳۷۷

سمعت اللّه عزّوجلّ صلی الله علیه و آله یقول فیما أنزل: «وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِیعًا وَلَا تَفَرَّقُوا» «۱»

، فما هذا الحبل الذی أمرنا اللّه بالاعتصام به وأن لا نتفرّق عنه؟ فأطرق رسول اللّه صلی الله علیه و آله ملیاً ثمّ رفع رأسه وأشار بیده إلی علیّ بن أبی طالب علیه السلام وقال: هذا حبل اللّه الذی من تمسّک به عُصم فی دنیاه ولن یضلّ به فی آخرته. فوثب الرجل إلی علیّ علیه السلام فاحتضنه من وراء ظهره وهو یقول: اعتصمت بحبل اللّه وحبل رسوله، ثمّ قام فولّی وخرج» «۲»

.وقد عقد النعمانی باباً خاصّاً «۳» فی ذلک، کما روی غیره من المحدّثین من الخاصّهٔ والعامّهٔ مثل ذلک. «۴»

وهذه الأحادیث المستفیضهٔ أو المتواترهٔ شاهدهٔ علی أنّ وصف الحبل فی حدیث الثقلین هو لمجموع الثقلین، والحبل کنایهٔ أنّ الثقلین لهما امتداد ممدود من عند اللّه فی النشأهٔ الغیبیهٔ إلی أن یصل ممتدّاً إلی ما هو ظاهر بین یدی الناس وهو المصحف والعترهٔ، کما أنّ توصیف جملهٔ من الأحادیث فی الثقل الأصغر کالذی رواه فی العدد القویهٔ من قوله صلی الله علیه و آله: «معاشر الناس، أنّ علیّاً والطیبین من ولده هو الثقل الأصغر، والقرآن هو الثقل الأکبر» «۵».

ومثل ما رواه ابن طاوس فی الیقین عن علیّ علیه السلام قوله: «یا ابن عبّاس، ویلٌ لمن ظلمنی ودفع حقّی وأذهب عنّی عظیم منزلتی، أین کانوا أولئک وأنا أُصلّی مع رسول اللّه صلی الله علیه و آله صغیراً لم یکتب علیّ صلاهٔ، وهم عبدهٔ الأوثان وعصاهٔ الرحمن ولهم یوقد

الامامهٔ الالهیهٔ(۵)، ج۳، ص: ۳۷۸

النیران؟! فلمّا قرب إصعار الخدود واتعاس الجدود أسلموا کرهاً وأبطنوا غیر ما أظهروا؛ طمعاً فی أن یطفئوا نور اللّه بأفواههم، وتربّصوا انقضاء أمر رسول اللّه وفناء مدّته، لمّا أطمعوا أنفسهم فی قتله ومشورتهم فی دار ندوتهم قال اللّه عزّوجلّ: «وَمَکَرُوا وَمَکَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَیْرُ الْمَاکِرِینَ» «۱»

و: «یُرِیدُونَ أَنْ یُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَیَأْبَی اللَّهُ إِلَّا أَنْ یُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ کَرِهَ الْکَافِرُونَ» «۲».

ولولا اتّقائی علی الثقل الأصغر أن یُبید فینقطع شجرهٔ العلم وزهرهٔ الدنیا وحبل اللّه المتین وحصنه الأمین ولد رسول ربّ العالمین»... الحدیث «۳».

وروی ابن طاوس فی التحصین بسنده.. قال رسول اللّه صلی الله علیه و آله: «یا معاشر الناس، أمرنی جبرئیل علیه السلام عن اللّه تعالی.. أن أعلمکم أنّ القرآن الثقل الأکبر، وأنّ وصییّ هذا وابنای ومن خلفهم من أصلابهم حاملًا وصایاهم الثقل الأصغر، یشهد الثقل الأکبر للثقل الأصغر، ویشهد الثقل الأصغر للثقل الأکبر، کلّ واحد منهم ملازم للآخر..» «۴».

وأخرج فی البحار عن ... بسنده عن الکاظم، عن آبائه، عن أمیر المؤمنین علیه السلام، عن النبیّ صلی الله علیه و آله فی حال مرضه، قال ...: «أصحاب الکساء الخمسهٔ، أنا سیدهم ولا فخر، عترتی أهل بیتی السابقون المقرّبون یسعد من اتّبعهم ... اسودّت وجوه قوم وردوا ظماء مظمّئین إلی نار جهنّم، مزّقوا الثقل الأوّل الأعظم وأخّروا الثقل الأصغر، حسابهم علی اللّه» «۵».

وما روى المجلسى فى البحار ... «قال أمير المؤمنين: يا كميل نحن الثقل الأصغر والقرآن الثقل الأكبر وقد أسمعهم رسول اللَّه..» «۶».

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۷۹

وكذلك روى المجلسى فى البحار: «ألم أعمل فيكم بالثقل الأكبر وأترك فيكم الثقل الأصغر وركزت فيكم الإيمان؟» «۱».

وهذا النمط من ألفاظ حديث الثقلين هو الآخر فيه جملة من القرائن الدالّة على أنّ نعت الأكبر أو الأعظم هو ليس مقتصر على المصحف الشريف، بل هو نعت للكتاب والقرآن، وهو اسمان كما تقدّم- صادقان فى الدرجة الأولى على الوجود الغيبى للقرآن، وهو أمّ الكتاب والكتاب المبين واللوح المحفوظ وروح القدس، ومن مراتبه النازلة المصحف الشريف، وهذه المراتب العالية كما هى متنزّلة فى ألفاظ المصحف الشريف بنحو الوجود اللفظى وفى معانيه بطور عالم المعانى، فهو متنزّل أيضاً أى روح القدس- بحقيقته ووجود التكوينى لا الاعتبارى على العترة كما تقدّم مبسوطاً فى دلالة الآيات والروايات من الفريقين على ذلك.

وهذا التنزّل يجعل من العترة قرآناً ناطقاً، بينما المصحف الشريف قرآناً صامتاً يستنطق أى فى مقام التطبيق للإرادات الإلهية فى الموارد والحوادث الواقعة حين بعد حين إلى يوم القيامة، وهو أحد معانى التأويل، ويكون تطبيق العترة بنطق قرآنى وإشراف من روح القدس الذى هو حقيقة القرآن، بخلاف المصحف الشريف فإنّ أخذ الأُمّة به لتطبيقه من دون العترة استنطاق منهم ظنّى، وتطبيق ظنّى أيضاً.

فنعت الأكبر صفة للحبل الممدود من اللَّه، طرفه بيده وتنزّله منشعب إلى المصحف والعترة الطاهرة. ومن القرائن التى تقدّمت من الروايات أيضاً أنّ أمير المؤمنين مع وصفه للعترة بالثقل الأصغر إلّاأنّه وصفهم أيضاً بشجرة العلم وحبل

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۸۰

اللَّه المتين، وهو تأكيد على أنّ التسمية بالثقل الأصغر هو فى مقابل الكتاب فى درجاته العالية، كأُمّ الكتاب واللوح المحفوظ وروح القدس، ولأجل تنزّله عليهم وراثةً عن رسول اللَّه وصفوا بأوصاف الثقل الأكبر، وهو كونهم حبل اللَّه المتين، مع أنّ الحبل ذو طرفين كما مرّ. وكذلك وصفهم بشجرة العلم فإنّه للدلالة على الامتداد من الأرض إلى سماء الغيب، فالنعت بالأصغر بلحاظ أنّهم أوعية لنزول القرآن، وهم قرآن ناطق بلحاظ أنّ النازل عليهم هو الأكبر.

ومن القرائن أيضاً: أنّ الثقل الأوّل الأعظم الذى مزّق ليس المراد منه مجرّد المصحف الشريف، إنّما يُراد منه عدم العمل بالكتاب، وقد تقدّم أنّ التطبيق الوحيانى للكتاب إنّما يحصل بتوسّط العترة بتنزّل روح القدس. نعم، يبقى لتطبيق المصحف بحدود دائرة المحكمات فى حال كون الموارد والحوادث بيّنة الوجه أنّه تطبيق يقينى.

روى العياشى عن إسحاق بن عمّار عن أبى عبد اللَّه عليه السلام، قال: «إنّما مثل علىّ عليه السلام ومثلنا من بعده من هذه الأُمّة كمثل موسى عليه السلام والعالم حين لقيه واستنطقه وسأله الصحبة، فكان من أمرهما ما اقتصّه اللَّه لنبيّه صلى الله عليه و آله فى كتابه، ذلك أنّ اللَّه قال لموسى: «إِنِّی اصْطَفَیْتُکَ عَلَی النَّاسِ بِرِسَالَاتِی وَبِکَلَامِی فَخُذْ مَا آتَیْتُکَ وَکُنْ مِنَ الشَّاکِرِینَ» «۱»

، ثمّ قال: «وَکَتَبْنَا لَهُ فِی الْأَلْوَاحِ مِنْ کُلِّ شَیْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِیلًا لِکُلِّ شَیْءٍ» «۲»

، وقد كان عند العالم علم لم يُكتب لموسى فى الألواح، وكان موسى يظنّ أنّ جميع الأشياء التى يحتاج إليها فى تابوته وجميع العلم قد كُتب له فى الألواح، كما يظنّ هؤلاء الذين يدّعون أنّهم فقهاء وعلماء وأنّهم قد أثبتوا جميع العلم والفقه فى الدين ممّا تحتاج هذه الأُمّة إليه وصحّ لهم عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وعلموه وحفظوه.

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۸۱

وليس كلّ علم رسول اللَّه صلى الله عليه و آله علموه ولا صار إليهم عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله ولا عرفوه؛ وذلك أنّ الشىء من الحلال والحرام والأحكام يرد عليهم فيُسألون عنه ولا يكون عندهم فيه أثر عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، ويستحون أن ينسبهم الناس إلى الجهل، ويكرهون أن يُسألوا فلا يجيبوا فيطلب الناس العلم من معدنه.

فلذلك استعملوا الرأى والقياس فى دين اللَّه، وتركوا الآثار ودانوا اللَّه بالبدع، وقد قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: كلّ بدعة

ضلالـة، فلو أنّهم إذا سُئلوا عن شـیء من دین اللّه فلم یکن عندهم منه أثر عن رسول اللّه ردّوه إلی اللّه وإلی الرسول وإلی أولی الأمر منهم، لعلمه الذین یستنبطونه منهم من آل محمّد صلی الله علیه و آله.

والذی منعهم من طلب العلم منّا العداوة والحسد لنا. لا واللّه ما حسد موسـی علیه السـلام العالم، وموسـی نبیّ اللّه یوحی اللّه إلیه حیث لقیه واستنطقه وعرفه بـالعلم، ولم یحسده کما حسدتنا هذه الأمّة بعد رسول اللّه صلی الله علیه و آله علی ما علمناه وما ورثناه عن رسول اللّه صلی الله علیه و آله، ولم یرغبوا إلینا فی علمنا کما رغب موسـی علیه السـلام إلی العالم وسأله الصحبة لیتعلّم منه ویرشده، فلمّا أن سأل العالم ذلک علم العالم أنّ موسـی علیه السـلام لا یستطیع صحبته ولا یحتمل علمه ولا یصیر معه، فعند ذلک قال العالم: «کَیْفَ تَصْبِرُ عَلَی مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا» «۱».

فقال موسی علیه السلام له وهو خاضع له یستعطفه علی نفسه کی یقبله «سَتَجِدُنِی إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِی لَکَ أَمْرًا» «۲»

، وقد کـان العـالم یعلم أنّ موسـی علیه السلام لاـ یصبر علی علمه، فکـذلک واللّه یـا إسـحاق بن عمّـار حـال قضـاة هؤلاء وفقهائهم وجماعتهم الیوم لا یحتملون واللّه علمنا، لا یقبلوه ولا یطیقونه ولا یأخـذون به ولا یصبرون علیه کما لم یصبر موسی علیه السلام علی علم العالم حین صحبه ورأی ما رأی من علمه، وکان ذلک عند

الامامة الالهیة(۵)، ج۳، ص: ۳۸۲

موسی علیه السلام مکروهاً وکان عند اللّه رضاً وهو الحقّ، وکذلک علمنا عند الجهلة مکروه لا یؤخذ وهو عند اللّه الحقّ» «۱».

یشیر الإمام علیه السلام فی هذه الروایة إلی أنّ العلم بالکتاب المبین لیس هو مجرّد العلم بالمصحف الشریف کی یظنّ من ألمّ بالمصحف الشریف أنّه قد استغنی عن علم أهل البیت علیهم السلام، مع أنّ الإحاطة بکلّ المصحف ومحتملاته وتناسبات الآیات مجموعها ضمن منظومة مترامیة لا تقف عند حدٍّ مفاداً وعدداً.

وبعبارة أُخری: أنّه وصف القرآن فی أُمّ الکتاب وفی اللوح المحفوظ والکتاب المبین وروح القدس بأوصافٍ تختلف عن أوصاف المصحف الشریف، ومن ذلک یتبیّن أنّ نعت الأکبریة للثقل إنّما هی بلحاظ الکتاب المبین وأُمّ الکتاب واللوح المحفوظ، لا بلحاظ مجرّد المصحف الشریف.

ومن الواضح أنّه لاـ سبیل للناس فی الوصول إلی ما فی الکتاب المبین وأُمّ الکتاب واللوح المحفوظ إلّاعن طریق أهل البیت الذین یحیطون بذلک ویمسّونه، لا الاقتصار علی مجرّد المصحف الشریف، وقد ذکر فی المصحف الشریف أوصاف الکتاب المبین کما ذکر نعت من یحیط به علماً.

أمّا النعت الأوّل کقوله تعالی: «مَا فَرَّطْنَا فِی الْکِتَابِ مِنْ شَیْءٍ» «۲»

، ممّا یدلّ علی إحاطة الکتاب بکلّ شیء، وهذا وصف القرآن بالکتاب المبین. وکذلک قوله تعالی: «وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَیْبِ لَایَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَیَعْلَمُ مَا فِی الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا یَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِی ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا یَابِسٍ إِلَّا فِی کِتَابٍ مُبِینٍ» «۳»

، وقوله تعالی: «وَمَا یَعْزُبُ عَنْ رَبِّکَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِی الْأَرْضِ وَلَا فِی

الامامة الالهیة(۵)، ج۳، ص: ۳۸۳

السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِکَ وَلَا أَکْبَرَ إِلَّا فِی کِتَابٍ مُبِینٍ» «۱».

وقوله تعالی: «یَمْحُوا اللَّهُ مَا یَشَاءُ وَیُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْکِتَابِ» «۲»

، وقوله تعالی:

«وَنَزَّلْنَا عَلَیْکَ الْکِتَابَ تِبْیَانًا لِکُلِّ شَیْءٍ وَهُدًی وَرَحْمَةً» «۳»

، وقوله تعالی: «وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِی السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِی کِتَابٍ مُبِینٍ» «۴»

، وقوله تعالی: «لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَی جَبَلٍ لَرَأَیْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْیَةِ اللَّهِ» «۵»

، وأثر التصدع إنّما هو نعت لذلك الوجود من القرآن الكريم، وقوله تعالى: «وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى» «۶»

، فنعت قدرة تسيير الجبال وتقطيع الأرض وإحياء الموتى وصف للقرآن بلحاظ ذلك الوجود، ومن الواضح أنّ نعت الأكبر مناسب وأنسب لهذا المقام من القرآن، وأنّ المصحف الشريف والعترة الطاهرة هما السبب الذى بيد الناس من الحبل المتين الممدود، والطرف الآخر من هذا الحبل الذى بيد اللَّه هو أُمّ الكتاب والكتاب المبين واللوح المحفوظ وروح القدس، والنعت بالأكبر هو بلحاظ الطرف الذى بيد اللَّه، وبالأصغر الطرف الذى بيد الناس، ومن المعلوم تنزّل هذا الأكبر بنحوٍ ينطق فى الحوادث، ويكون نزولًا وتنزيلًا لكلّ مورد وحدث بنحو وحيانى لدنى لا- يحتمل الخطأ والزلل، إنّما هو بتوسّط العترة، وإن كانت محكمات المصحف باقية على وصف أنّها تنزّل لأُمّ الكتاب.

أمّا النعت الثانى وهو ورود القرآن بنعت من يحيط بأُمّ الكتاب والكتاب المبين واللوح المحفوظ وروح القدس، كما فى قوله تعالى:

«إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ* فِى كِتَابٍ

مَكْنُونٍ* لَايَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ* تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ» «۱»

، والمطهّرون الذين شهد لهم القرآن بالطهارة وهم أهل آية التطهير «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً» «۲»

، وعرّفهم تعالى فى آية أُخرى حيث قال:

«بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِى صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ» «۳».

وهذه الآية تفسّر قوله تعالى المتقدّم: «وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَىْءٍ» «۴»

، حيث إنّ الآية الكريمة تصرح بأنّ الكتاب بجملته آيات بينات فى صدورهم، مع أنّ المصحف الشريف نعت بأنّ منه آيات محكمات وأُخر متشابهات، بينما وصف الكتاب الذى فى صدورهم بأنّه بتمامه آيات بينات.

وروى الكلينى بسند معتبر عن الحسن بن العبّاس بن الحريش، عن أبى جعفر الثانى عليه السلام، قال: «قال أبو عبد اللَّه عليه السلام: بينا أبى عليه السلام يطوف بالكعبة إذ رجل معتجر قد قيض له».

ثمّ ذكر مسائلة إلياس النبىّ للإمام الباقر عليه السلام عن حقيقة علم سيد الأنبياء وعلم أوصياءه، وحقيقة العلم المتنزّل ليلة القدر من أُمّ الكتاب والكتاب المبين، وأنّه يتنزّل على الوصىّ حجّة اللَّه فى أرضه، حيث قال الباقر عليه السلام: «أبى اللَّه عزّوجلّ بعد محمّد صلى الله عليه و آله أن يُترك العباد ولا حجّة عليهم، قال أبو عبد اللَّه عليه السلام: ثمّ وقف فقال:ها هنا يا ابن

رسول اللَّه بابٌ غامضٌ، أرأيت إن قالوا: حجّة اللَّه القرآن؟ أى المصحف قال: إذن أقول لهم إنّ القرآن ليس بناطق يأمر وينهى، ولكن للقرآن أهلٌ يأمرون وينهون، وأقول: قد عرضت لبعض أهل الأرض مصيبة ما هى فى السنّة والحكم الذى ليس فيه اختلاف وليست فى القرآن- أى المصحف- أبى اللَّه لعلمه بتلك الفتنة أن تظهر فى الأرض وليس فى حكمه رادّ لها ومفرّج عن أهلها، فقال:ها هنا تفلجون يا ابن رسول اللَّه الفتنة أن تظهر فى الأرض ... أشهد أنّ اللَّه عزّ ذكره قد علم بما يصيب الخلق من مصيبة أو فى أنفسهم من الدين أو غيره فوضع القرآن دليلًا قال فقال الرجل هل تدرى يا ابن رسول اللَّه دليل ما هو قال أبو جعفر عليه السلام نعم فيه جمل الحدود وتفسيرها عند الحكم فقال أبى اللَّه أن يصيب عبداً بمصيبة فى دينه أو فى نفسه أو فى ماله ليس فى أرضه من حكمه قاض بالصواب فى تلك المصيبة قال فقال الرجل أما فى هذا الباب فقد فلجتهم بحجة الا أن يفترى خصمكم على اللَّه فيقول ليس للَّهجلّ ذكره حجة» «۱».

فبين عليه السلام أنّ حجّية المعصوم الناطق مهيمنة رتبةً على حجّية المصحف.

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۸۷

على مَنْ يتنزّل الروح والملائكة فى ليلة القدر ...؟ ص: ۳۸۷

اشارة

لا ريب أنّ ليلة القدر كانت تتنزّل على خاتم الأنبياء، كما هو نصّ القرآن الكريم فى قوله تعالى: «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِی لَيْلَةِ الْقَدْرِ» «۱»

، أى أنزلنا القرآن، وكذا سورة الدخان من قوله تعالى: «حم* وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ* إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِی لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ» «۲»

، وقوله تعالى: «شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِی أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ» «۳»

، وهو النزول لجملة القرآن وحقيقته كما تقدّم بيانه، والذى هو الروح النازل ليلة القدر روح القدس، كما أنّه بمقتضى روايات الفريقين التى مرّ استعراضها كانت تتنزّل على الأنبياء السابقين منذ آدم عليه السلام إلى نبيّنا صلى الله عليه و آله، وهو مقتضى الأدلّة العقلية، حيث إنّ عالم ولوح القضاء والقدر وإمضائه فى عالم الدنيا ونشأة الأرض وعالم المادّة الغليظة لابدّ أن يطوى هذه المراحل، فهذه السلسلة التكوينية من العوالم كما هو محرّر فى مباحث الحكمة الإلهية لا يختصّ بزمان دون آخر، بل هو من السنن الإلهية فى عوالم الخلقة، فمقتضاها الاستمرار من بدء الخلقة البشرية إلى يوم القيامة، فهذا الدليل العقلى يقضىباستمرار وجود من تتنزّل عليه ليلة القدر إلى يوم القيامة بعد سيد الأنبياء، وهذا المعنى هو الذى

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۸۸

نشاهده بوضوح من دلالة النصّ والسور القرآنية العديدة كحقيقة قرآنية بيّنة، وكذلك فى روايات الفريقين كما مرّت الإشارة إلى ذلك.

أمّا الآيات القرآنية الدالّة على الاستمرار، فمضافاً إلى الضرورة بين المسلمين على استمرار ليلة القدر، يقع الكلام فى معرفة من تتنزّل ليلة القدر عليه بعد رسول اللّه صلى الله عليه و آله؟ فهنا جانبان من البحث:

الأوّل: فى استمرار ليلة القدر.

الثانى: على من تتنزّل ليلة القدر بعد رسول اللّه صلى الله عليه و آله؟

والآيات تفيد كلا الجانبين، كقوله تعالى: «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِی لَيْلَةِ الْقَدْرِ* وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ* لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ* تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ» «۱»

، فالتعبير بتنزّل- جملة فعلية بالفعل المضارع الدالّة على الاستمرار، وكذا قوله فى سورة الدخان: «فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ* أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ» «۲»

، بنفس التقريب المتقدّم، فإنّه قد وصف الليلة المباركة التى يتنزّل فيها بالجملة الفعلية بالفعل المضارع، وإنّ شأن هذه الليلة على الدوام أن يُفرق فيها كل أمر حكيم، وأن يُرسل فيها الروح إلى من يصطفيه اللّه من عباده فى الأرض.

نزول الروح وحىٌ ربانى ...: ص: ۳۸۸

وأمّا الثانى: كما أنّ نزول الروح والملائكة من كلّ أمر أى بكلّ أمر يقتضى وجود من تُرسل إليه تقادير الأُمور، إذ لا يعقل إرسال من دون مرسل إليه بعد تصريح سورة الدخان وغيرها بإنّه إرسال كما هو إنزال، وتصريحها بالمرسل به

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۸۹

والمرسل، فلابدّ من وجود مرسل إليه، مع أنّ الآيات الأخرى صرّحت بالمرسل إليه.

وبعبارة أُخرى: إنّ نزول الروح فى استعمال القرآن هو نمط من الوحى الإلهى فى القرآن الكريم ومصطلح قرآنى دالّ على الوحى، وإن كانت أقسام الوحى الإلهى فى القرآن الكريم غير منحصرة بالوحىّ النبوى، كما فى مورد مريم وأُمّ موسى وذى القرنين وطالوت وصاحب موسى الخضر- وغيرها من الموارد، ويشير إلى ذلك قوله تعالى: «وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ» «۱»

، فلم يخصّص التكليم الإلهى بالأنبياء والرُسل، بل عمّم إلى المصطفَين والحجج من البشر، كما هو الحال فى مريم وأُمّ موسى، وقد عبّر عن الوحى بنزول الروح فى قوله تعالى:

«قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ» «۲»

، وقوله تعالى: «نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ* عَلَى قَلْبِكَ» «۳»

، وإن كانت هذه الآية تشير إلى النزول الثانى للقرآن وهو تنزيل المعانى والألفاظ، لكنّه تعبير عن الوحى، وكذا قوله تعالى: «قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ» «۴»

، فنزول الروح اصطلاح قرآنى للوحى وإن لم يكن وحياً نبوياً.

وهذا يعنى أنّ فى ليلة القدر من كلّ عام يقع هذا الوحى الإلهى والنزول، ومن ثمّ عبّر تعالى فى سورة الدخان: «حم* وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ* إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ* فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ* أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ» «۵»

بالإرسال، أى أنّ هذا الروح الأمرى مرسل من قبله تعالى إلى مُرسَل إليه من

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۹۰

البشر، كما فى ذيل آية الشورى من قوله تعالى: «أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ» «۱»

، فسورة الدخان أيضاً تدلّ على أنّ فى ليلة القدر هناك وحى إلهى عبّرت عنه بالقول: «إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ»، وكذلك فى قوله تعالى فى سورة النحل: «يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَاإِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ» «۲»

، فصرّحت الآية الكريمة بأنّ نزول الروح هو على من يشاء اللَّه أى من يصطفيه لذلك من العباد من دون التقييد بالنبوّة.

فهذا النزول للروح هو وحى وهو نازل على من يشاء ويصطفيه من عباده، وكذا قوله تعالى فى سورة غافر: «ذُو الْعَرْشِ يُلْقِى الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ» «۳»

، وإلقاء الروح الأمرى عبارة عن نزوله وإرساله، نظير التعبير بقوله تعالى: «وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا» «۴»

وجعل فى الآية الملقى إليه الروح هو من يشاء ويصطفى من عباده من دون التقييد بعنوان النبوّة والرسالة والاصطفاء، فقد تعلّق بمريم، كما تعلّق بطالوت الإمام غير النبىّ فى سورة البقرة فى قوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ» «۵».

قوله تعالى: «وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِى مَا الْكِتَابُ وَلَا الإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِى بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا» «۶»

الضمير فى (جعلناه نوراً) الظاهر عوده إلى الروح الأمرى؛ إذ لو كان يعود إلى الروح الذى هو مبتدء الكلام فى الآية ويكون المراد أنّ الروح الأمرى يجعله اللَّه نوراً ويوحى ويهدى به من يشاء من عباده ويصطفيهم لذلك فيحصل لهم العلم ودراية الكتاب والإيمان.

والحاصل: أنّ تعميمه تعالى إلى من يوحى إليه الروح الأمرى غير النبىّ صلى الله عليه و آله

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۹۱

يدلّ على عموم ظرف الإيحاء للحجج المصطفين من العباد الإيحاء والوحى به، وقد قرّر فى روايات الفريقين كما هو ظاهر سورة القدر والدخان أنّ هذا الوحى غير مرتبط بوحى النبوّة والرسالة، وإنّما هو وحى إلهى مرتبط بتقدير الأُمور وقضائها وإبرامها الذى هو

من تأويل الكتاب، وقد عبّر فی سورة النحل بأنّ هذا النزول والوحی الإلهی غير النبویّ هو علی من يشاء من عباده، فعبّر بلفظ عباده ولم يؤت بلفظ أنبيائه أو رسله؛ للدلالة علی العموم عموم المصطفَين الذين اختارتهم المشيئة الإلهية لذلک.

ومقتضی ذلک وجود ثلّة فی هذه الأُمّة بعد رسول اللّه صلى الله عليه و آله تتنزّل عليهم الروح ليلة القدر، وقد أُشير إليهم فی سورة الواقعة والأحزاب حيث قال تعالی: «إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ* فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ* لَايَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ* تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ» «۱»

، فأخبر أنّ القرآن الذی فی الكنّ محفوظ كما فی سورة البروج من قوله تعالی: «بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ* فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ» «۲»

، فأخبر تعالی أنّ القرآن الذی فی اللوح المحفوظ والكتاب المكنون لا يمسّه ولا يصل إليه إلّاالمطهّرون، لا المتطهّرون بالوضوء والغسل بل المطهّرون من قبله تعالی بنصّ آية التطهير فی سورة الأحزاب: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرُكُمْ تَطْهِيراً» «۳».

فيتبيّن من ضمّ الآيات بعضها إلی بعض أنّ من يتنزّل عليه الروح الأمری من يشاء اللّه ويصطفيه من عباده كما فی سورة النحل وهم أهل آية التطهير، فإنّهم يمسّون الكتاب فی ليلة القدر فی الليلة المباركة.

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۹۲

نسب النبیّ صلى الله عليه و آله وأهل بيته هو سورة القدر ...: ص: ۳۹۲

حيث يتبيّن ممّا مضی أنّ روح القدس الذی هو القرآن الكريم كما هو ملتحم بروح النبیّ صلى الله عليه و آله كذلک ملتحم بروح أوصياء النبیّ صلى الله عليه و آله من بعده واحد بعد آخر، حيث يتنزّل عليهم الروح ليلة القدر، بل أنّ ظاهر سورة النحل عدم اختصاص التنزّل عليهم بليلة القدر، وقد أشارت إلی ذلک جملة من الروايات عنهم عليهم السلام، فهذا النزول والوحی بهذا الروح لهم هو المعرّف لهويتهم ونسبهم الروحی لشخصية ذواتهم ونسب مقام ذاتهم عليهم السلام.

فی صحيحة ابن أُذينة التی رواها الكافی عن أبی عبداللّه عليه السلام فی صلاة النبیّ صلى الله عليه و آله فی السماء فی حديث الإسراء، قال عليه السلام: «ثمّ أوحی اللّه عزّوجلّ إليه: إقرأ يا محمّد نسبة ربّک تبارک وتعالی: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ* أَللَّهُ الصَّمَدُ* لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ* وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ» «۱»

، وهذا فی الركعة الأُولی ... ثمّ أوحی اللّه عزّوجلّ إليه إقرأ بالحمد للّه، فقرأها مثل ما قرأ أوّلًا، ثمّ أوحی اللّه عزّوجلّ إليه إقرأ «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ» فإنّها نسبتک ونسبة أهل بيتک إلی يوم القيامة» «۲»

، وروی مثله فی علل الشرائع، وغيرها من الروايات.

فهذا التعريف لهوية النبیّ صلى الله عليه و آله وأهل بيته عليهم السلام هو نظير تعريف الإنسان بالنطق الذی هو الروح العاقل، أی تمييز وتعريف الشخص بالمراتب العالية الوجودية من ذاته، ونظير ذلک تعريف القرآن النبیّ عيسی عليه السلام بأنّه كلمة اللّه وأنّه آية، لكن لا يخفی أنّ فی آيات خلقة النور فی سورة النور و روايات خلق النور يظهر أن أُصول ذواتهم خلقا ما هو أرفع من روح القدس.

وفی رواية بصائر الدرجات عن محمّد بن سليمان الديلمی، عن أبيه، عن أبی

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۹۳

عبداللّه عليه السلام فی حديث عن ولادة الإمام عليه السلام وما يرافق ذلک من مراسم ملكوتية وأنّ الإمام عليه السلام يقول بعد ذلک: «شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَاإِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَاإِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» «۱»

، فإذا قالها أعطاه العلم الأوّل والعلم الآخر، واستحقّ زيادة الروح فی ليلة القدر «۲».

وروی عن الحسن بن عبّاس بن حريش، قال: «قال أبوعبداللّه عليه السلام: إنّ القلب الذی يعاين ما ينزل فی ليلة القدر لعظيم الشأن. قلت: وكيف ذاک يا أبا عبد اللّه؟ قال: يُشق واللّه بطن ذلک الرجل ثمّ يؤخذ ويكتب عليه بمداد النور ذلک العلم، ثمّ يكون القلب

مصحفاً للبصر، ويكون الأذن واعيةً للبصر، ويكون اللسان مترجماً للأذن، إذا أراد ذلك الرجل علم شىء نظر ببصره وقلبه فكأنّه ينظر فى كتاب».. الحديث «۳».

والمراد من شقّ البطن أى انفتاح نوافذ الروح، وقريب من ذلك ما روى فى معانى الأخبار بسنده إلى الأصبغ بن نباتة، قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله: «يا على، أتدرى ما معنى ليلة القدر؟ فقلت: لا يا رسول اللّه، فقال: إنّ اللّه تبارك وتعالى قدّر فيها ما هو كائن إلى يوم القيامة، وكان فيما قدّر عزّوجلّ ولايتك وولاية الأئمّة من ولدك إلى يوم القيامة» «۴»

. وروى مثلها بإسناده المتّصل عن المفضّل بن عمر عنه عليه السلام.

فكون الروح النازل وهو روح القدس وهو أحد أرواحهم عليهم السلام يبيّن هوية ولايتهم والتى هى الكتاب المبين، وقد تقدّم نعوت الكتاب المبين وآثار القدرة والولاية التكوينية له، ووصفه بالمجد فى سورة البروج والكرامة فى سورة الواقعة، إشارة إلى آثار القدرة لحقيقة الكتاب التى هى روح القدس.

وفى صحيحة جابر الجعفى، قال: قال أبوعبداللّه عليه السلام فى حديث عن أصناف

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۹۴

الخلق: «فالسابقون هم رسول اللّه وخاصّة اللّه من خلقه، جعل فيهم خمسة أرواح: أيدهم بروح القدس فبه عرفوا الأشياء، وأيدهم بروح الإيمان فبه خافوا اللّه عزّوجلّ، وأيدهم بروح القوّة فبه قدروا على طاعة اللّه، وأيدهم بروح الشهوة فبه اشتهوا طاعة اللّه عزّوجلّ وكرهوا معصيته، وجعل فيهم روح المدرج الذى به يذهب الناس ويجيئون» «۱».

وفى رواية أُخرى لجابر عن أبى عبداللّه عليه السلام، قال: «سألته عن علم العالم؟ فقال لى: يا جابر، إنّ فى الأنبياء والأوصياء خمسة أرواح: روح القدس وروح الإيمان وروح الحياة وروح القوة وروح الشهوة، فبروح القدس يا جابر عرفوا ما تحت العرش إلى ما تحت الثرى. ثمّ قال: يا جابر، إنّ هذه الأربعة أرواح يصيبها الحدثان إلّاروح القدس فإنّها لا تلهو ولا تلعب» «۲».

وفى رواية المفضّل بن عمر عن أبى عبداللّه عليه السلام: «سألته عن علم الإمام بما فى أقطار الأرض وهو فى بيته مرخى عليه ستره؟ فقال: يا مفضّل، إنّ اللّه تبارك وتعالى جعل فى النبىّ صلى الله عليه و آله خمسة أرواح ...: وروح القدس فبه حمل النبوّة فإذا قُبض النبىّ صلى الله عليه و آله انتقل روح القدس فصار إلى الإمام، وروح القدس لا ينام ولا يغفل ولا يلهو ولا يزهو والأربعة الأرواح تنام وتغفل وتزهو وتلهو، وروح القدس كان يُرى به» «۳».

وهذه النعوت لروح القدس المذكورة فيهم وهو النازل عليهم ليلة القدر، بل وفى غيرها أيضاً كما هو مقتضى سورة النحل «۴» وسورة غافر «۵»، حيث لم يقيّد إنزاله بوقت خاصّ، وروح القدس النازل الملتحم بأرواحهم المتّصل بها كما هو

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۹۵

معنى الوحى فى الحكمة والعلوم العقلية، قد عرّف وطوبق فى سورة الدخان بالكتاب المبين: «حم* وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ* إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ* فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ* أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ» «۱»

، فجُعل الكتاب المبين هو الروح النازل فى ليلة القدر.

وقد تقدّم وصف الكتاب المبين بأنّه يُستطرّ فيه كلّ شىء وكلّ غائبة فى السماوات والأرض وكلّ صغيرة وكبيرة، وهو القرآن الكريم فى الكتاب المكنون والقرآن المجيد فى اللوح المحفوظ، وهذا معنى قوله عليه السلام: «فبه حمل النبوة»، وقوله عليه السلام: «كان يُرى به»، أى ما فى أقطار الأرض وما فى عنان السماء وما دون العرش وما تحت الثرى، وقوله عليه السلام: «فبه عرفوا الأشياء».

روح القدس وراثتهم عليه السلام للكتاب وعلوم النبىّ صلى الله عليه و آله ...: ص: ۳۹۵

فقوله عليه السلام فى الرواية السابقة للمفضّل عن أبى عبداللّه عليه السلام: «إذا قُبض النبىّ صلى الله عليه و آله انتقل روح القدس

فصار إلى الإمام»، هو معنى وراثتهم عليهم السلام للكتاب أى لحقيقة الكتاب الذى هو مكنون ولوح محفوظ، لا للمصحف الشريف الذى هو الوجود المنقوش للقرآن الكريم، فقوله تعالى: «وَالَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْکَ مِنَ الْکِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ* ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْکِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِکَ هُوَ الْفَضْلُ الْکَبِيرُ» «۲»

يشير إلى الوراثة التكوينية لحقيقة الكتاب بوجوده الوحيانى فى عالم الوحى، لا الكتاب بوجوده المنقوش فى المصحف، من هنا فإنّ تخصيص الوراثة بالمصطفَين من العباد، فإنّ الإصطفاء هو الطهارة الروحية الخاصّة اللدنية

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۹۶

التى يتأهّل بها المصطفون من العباد للوحى الإلهى الأعمّ من الوحى النبوىّ وغيره، كما فى تأهّل مريم لمحادثة الملائكة لها ووحى اللّه لها مباشرة، كما فى سورة آل عمران.

ومن ثمّ ترى نسق التعبير والتركيب فى الآية الكريمة على نسق التعبير فى سورة النحل: «يُنَزِّلُ الْمَلَائِکَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ» «۱»

، فالتعبير فيها على من يشاء من عباده أى من يختار ويصطفى، فوراثة الكتاب نزول الروح وهى وحى حقيقة الكتاب، كما فى سورة الشورى: «وَکَذَلِکَ أَوْحَيْنَا إِلَيْکَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا کُنْتَ تَدْرِى مَا الْکِتَابُ» «۲»

، وكذلك يتناغم التعبير بين كلّ من آية فاطر وآية النحل وآية الدخان وآية غافر حيث ذكر مع نزول الكتاب المبين ونزول روح القدس فى ليلة القدر وغيرها حصول الإنذار والإرسال، وقد أسند فعل الإنذار إلى غير الأنبياء وغير الأوصياء ممّن يجوز عليهم الخطأ فى موارد من القرآن الكريم، كما فى آية التفقّه فى سورة البراءة «۳»، فكيف يستبعد إطلاقه على كلام الأوصياء.

فإرسال الروح وحصول الإنذار لا يختصّ بالوحى النبوىّ، بل يعمّ الوحى غير النبوىّ وراثة بعد الأنبياء، كما تعلّق البعث الإلهى بطالوت الإمام مع عدم كونه نبيّاً فى قوله تعالى على لسان نبىّ من بنى إسرائيل: «قَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَکُمْ طَالُوتَ مَلِکًا» «۴».

وأمّا التعبير بالآية: «فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ» «۵»

فالضمير ليس عائد إلى الذين اصطفينا بل إلى عبادنا، أى أنّ عبادنا بعضٌ ظالم

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۹۷

لنفسه وبعضٌ مقتصد وبعضٌ سابق بالخيرات، كما أنّ الذين اصطفيناهم بعضٌ من عبادنا، فلفظ (من) التى تكرّرت أربع مرّات فى الآية بمعنى بعض؛ وإلّا كيف يصطفى اللّه الظالم لنفسه؟

ومنه يُعرف أنّ المراد من السابق بالخيرات هم الذين اصطُفوا من العباد، وأنّهم الأئمّة، وأنّ الإمامة وهى وراثة الكتاب هى الفضل الكبير، والتعبير بالسابق بالخيرات بإذن اللّه يقرب من التعبير فى سورة الأنبياء فى قوله تعالى:

«وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ» «۱»

، فكما جعل فى آية فاطر السبق بإذن اللّه اصطفائى لدنى، فكذلك فى آية الأنبياء جعل إبراهيم وإسحاق ويعقوب أئمّة يهدون بأمر اللّه، وأنّ فعل الخيرات منهم بوحى تسديدى من اللّه، وأنّ هذا الأمر ليس أمراً إنشائياً بل هو أمر تكوينى الذى أُشير إليه فى سورة النحل بقوله تعالى: «يُنَزِّلُ الْمَلَائِکَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ» «۲».

وكذلك فى سورة القدر قوله تعالى: «تَنَزَّلُ الْمَلَائِکَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ کُلِّ أَمْرٍ» «۳»

وكذلك فى سورة الشورى قوله تعالى: «وَکَذَلِکَ أَوْحَيْنَا إِلَيْکَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا کُنْتَ تَدْرِى مَا الْکِتَابُ» «۴»

، وهذا ممّا يشير أنّ روح القدس من عالم الأمر الملكوتى الابداعى.

وقد ذُكر عالم الأمر فى قوله تعالى «أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَکَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ» «۵»

، وقوله تعالى: «إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ» «۶»

،

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۹۸

وقوله تعالى: «وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ» «۱»

، أى أنّه من عالم الإبداع لا الخلق التقديرى، ومن ثمّ ورد أنّ تقدير السماوات والأرض أى عالم الملك والمادة أى ما يشمل عالم الدنيا وعالم البرزخ- كلّ ذلك قد قُدّر فى ليلة القدر.

وقد مرّ فى الروايات أنّ تقدير ولاية أمير المؤمنين عليه السلام فى مقامها التكوينى قد قدّر فى ليلة القدر، فقد روى الصدوق فى معانى الأخبار بإسناده إلى المفضّل بن عمر، قال: «ذكر عند أبى عبد اللَّه عليه السلام إنا أنزلناه فى ليلة القدر، قال: ما أبين فضلها على السور. قال: قلت: وأى شىء فضلها؟ قال: نزلت ولاية أمير المؤمنين عليه السلام فيها. قلت: فى ليلة القدر التى نرتجيها؟ قال: نعم، هى ليلة قدّرت فيها السماوات والأرض، وقدّرت ولاية أمير المؤمنين عليه السلام فيها».

ولا يخفى التعريض فى كلامه عليه السلام بين تقدير السماوات والأرض وتقدير ولاية أمير المؤمنين من الناحية الكونية التكوينية، ودور روح القدس، وتناسب سجود الملائكة كلّهم أجمعين، أى طاعتهم لخليفة اللَّه فى الأرض كما فى سورة البقرة وغيرها من السور، سواء ملائكة الأرض أو ملائكة السماوات أو ملائكة الجنّة والنار.

وقد ورد أيضاً أنّ روح القدس أعظم خلقاً، ففى صحيح أبى بصير، قال:

«سألت أبا عبد اللَّه عليه السلام عن قول اللَّه تبارك وتعالى: «وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِى مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ» «۲»

؟ قال: خلق من خلق اللَّه عزّوجلّ أعظم من جبرئيل وميكائيل كان مع رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يخبره ويسدّده، وهو مع الأئمّة من بعده» «۳».

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۹۹

وفى صحيحه الآخر قال: «سألت أبا عبد اللَّه عليه السلام عن قول اللَّه عزّوجلّ «يَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى» «۱»

؟ قال: خلق أعظم من جبرئيل وميكائيل كان مع رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وهو مع الأئمّة وهو من الملكوت» «۲».

وفى معتبر أسباط بن سالم عنه عليه السلام: «منذ أنزل اللَّه عزّوجلّ ذلك الروح على محمّد صلى الله عليه و آله ما صعد إلى السماء وإنّه لفينا» «۳».

وفى صحيح سعد الإسكافى، قال: «أتى رجلٌ أميرَ المؤمنين عليه السلام يسأله عن الروح أليس هو جبرئيل؟ فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: جبرئيل عليه السلام من الملائكة والروح غير جبرئيل، فكرّر ذلك على الرجل، فقال له: لقد قلتَ عظيماً من القول ما أحد يزعم أنّ الروح غير جبرئيل، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: إنّك ضالّ تروى عن أهل الضلال، يقول اللَّه تعالى لنبيّه صلى الله عليه و آله: «أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ* يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ» «۴»

، والروح غير الملائكة صلوات اللَّه عليهم» «۵».

وحيث كانت ليلة القدر وراثة الكتاب بنزول روح القدس الذى هو حقيقة الكتاب، ورد عن أبى جعفر عليه السلام قال: «يا معشر الشيعة خاصموا بسورة «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ» تفلحوا؛ فواللَّه إنّها لحجّة اللَّه تبارك وتعالى على الخلق بعد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، وأنّها لسيدة دينكم وأنّها لغاية علمنا، يا معشر الشيعة خاصموا ب «حم* وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ* إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ» «۶»

، فإنّها لولاة الأمر خاصّة بعد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله» «۷».

ولا يخفى أنّ فى كلامه عليه السلام محطّات للتدبير والغور، منها: وصفه لسورة القدر

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۰۰

أنّها سيدة دينكم إىحقيقتها مرتبطة بالإمامة الالهية، وفيه إشارة لكون الامام الناطق ثقل أكبر مهيمن على حجّته المصحف.

ومنها: قوله (وأنّها لغاية علمناه) أى أنّ عمده ما ورثوه من العلم عن النبىّ صلى الله عليه و آله هو بتوسّط روح القدس، لاـ الطرق السماعية والرواية.

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۰۱

حاضر المعرفة

الفصل الثامن: معتقدات الإمامة والمهدى (عج ...) ص: ۴۰۱

اشارة

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۰۳

المقالة الاولى العلم اللدنى والولاية الشريعة بحسب الظاهر وسنن النظام الكونى ... ص: ۴۰۳

العلم اللدنى المقوّم لماهية الإمامة ...: ص: ۴۰۳

وقبل الخوض فى ذلك يجدر الإلفات إلى النقاط التالية:

۱- البحث يرتبط بصلة وثيقة بالفصول السابقة من الجزء الأوّل من كتاب الإمامة.

۲- غالب البحث سيكون ذا طابع قرآني، وذلك بعد التنبّه إلى نكات الظهور بتوسّط روايات أهل البيت عليهم السلام.

۳- تذكير بنقاط مستخلصة ممّا سبق:

أ- تعريف الإمامة: والذى تقدّم مفصّلًا فى الفصل الثالث من الجزء الأوّل- باختصار: إنّ ما ذكره باقتضاب واختزال المتكلّمون- حتّى الشيعة منهم فى تعريف الإمامة- موهم أنّ مقام الإمامة عبارة عن الزعامة والرئاسة الاعتبارية الاجتماعية فقط؛ لخلوّه من التنويه إلى ارتباط المعصوم بمقام الغيب، ومن ثمّ أوهم التعريف المزبور أنّ الإمام كأىّ عالم آخر، سوى أنّه فى درجة متقدّمة، ممّا أوقع الكثير فى شبهات حول الإمامة..

وذكرنا فى الفصول السابقة المفهوم الذى اخترناه لمعنى الإمامة، وأنّ ما ذكره المتكلّمون وبعض الحكماء من الإمامية فى تعريف الإمامة لا يستوعب جميع

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۰۴

جوانب الإمام. فالمتكلّمون اقتصروا على الرئاسة الدينية والدنيوية، وهذا قصر للإمامة على الزعامة السياسية والولاية التشريعية، بل إنّ البعض اقتصر على حفظ الدين، ومن الواضح أنّ هذا التعريف وأمثاله أهمل الإشارة إلى مقام الإمام ومنبع علمه هل هو القناة الحسيّة أم أُخرى غيبية يمتاز بها عن بقية البشر، وهذا الإهمال وقصر حقيقة الإمامة على الشأن الدنيوى هو الذى أوقع كثير من المتأخّرين فى العديد من الإشكالات التى لم يجدوا لها جواباً شافياً على هذا التفسير للإمامة.

ومن هنا حدّدنا فى الفصول السابقة الأركان والمحاور الأساسية التى تبتنى عليها حقيقة الإمامة وماهيتها، وهى:

۱- الهداية الإرائية: ويقصد بها التبليغ والتشريع وإراءة الطريق للمؤمنين، وهذه تعتمد على أنّ للإمام علم لدنى وقناة غيبية يستقى منها علومه، وهى ليست من سنخ النبوّة، بل هى وحى بالمعنى الأعمّ، كما ورد عنهم عليهم السلام فى الزيارات ما مضمونه: «إنّ الإمامة سفارة إلهية».

۲- الهداية الإيصالية: وهى حيثية ولائية مولوية وقدرة، وقد عرّفها العلّامة الطباطبائى فى الميزان فى ذيل آية «وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ» «۱»
، «وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا» «۲».

قيادة المعصوم للنفوس وإيصالها إلى المنازل المعنوية الكمالية، وهاتان النقطتان من المحاور الأساسية فى حقيقة الإمامة، وقد مثّلنا لهما بقوّة العقل النظرى والعملى فى الإنسان الصغير، وبمقتضى التطابق بين الإنسان الصغير والكبير يمكن معرفة كثير من خصائص الإمامة فى مقام الهداية الإرائية والإيصالية.

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۰۵

فالهداية الإرائية تتمّ عبر قناة التبليغ، وعبر قناة الاتّصال...

والهداية الإيصالية للمعصوم تتمّ كما فى قوّة العقل العملى «۱» من دون إلجاء وإجبار، حيث يشوّق ويحثّ ويجذب من دون قهر لقوى الإنسان الأخرى، فالهداية الإيصالية تتمّ من دون أن يكون هناك سلب للإرادة والاختيار.

۳- إنّ الأصل الاشتقاقى للإمامة هو من أمّ يؤمّ، وهى تتضمّن خاصّية المتابعة من المأموم للإمام، وهى تتضمّن استمرارية السير والحركة الشعورية الدائمة، وعدم التوقّف والجمود، فلا يكون صرف الإراءة محقّقاً للإئتمام، بل هى والإيصالية.

۴- لابدّ للسير والحركة من غاية، وبدون هذه الغاية لا تتحقّق ماهية الإمامة.

وكلّ هذا ممّا حدا بالمحدّثين والمفسّرين والفلاسفة لدفع الإيهام فى تعريف المتكلّمين بالإلفات إلى أنّ الإمامة سفارة إلهية..

ومن ثمّ ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: «أنا سفير السفراء» «۲»
، وكذا عبّر الإمام الهادى عليه السلام فى زيارته لجدّه أمير المؤمنين عليه السلام يوم الغدير: «يا أمين اللَّه فى أرضه

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۰۶

وسفيره فى خلقه»، وفى زيارته عليه السلام ليلة المبعث ويومه أوردها المفيد وابن طاووس والشهيد: «وعيبة علم اللَّه وسفير اللَّه فى خلقه»، وفى البحار: «سفير السفراء»، وفى زيارة الإمام الحسين عليه السلام الرجبية: «السلام عليك يا سفير اللَّه وابن سفيره»، رواه المفيد وابن طاووس والشهيد.

فإنّها عبارة عن: الهداية الإرائية والإيصالية.

ومنبع الإرائية: الوحى والغيب، ولكنّه بالمعنى الأعمّ، وليس على حدّ النبوّة..

ومنبع الإيصالية: القدرة والولاية، كما ذكر ذلك الطباطبائى فى ذيل آية: «إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا» «۱»
، و «وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً» «۲»
، أنّه: قيادة المعصوم للنفوس وإيصالها إلى المنازل المعنوية والكمالية..

علماً أنّه اقتصر على هذا البعد فى تعريفها، مع أنّ الصحيح أنّها هداية إرائية أيضاً؛ استناداً إلى مجموعة أدلّة سبقت الإشارة إليها.

وقال المحقّق الأصفهانى فى نهاية الدراية فى تعريف الإمامة: الرئاسة المعنوية الكبرى فى الدين والدنيا المنبعثة عن كمال نفسه المقدّسة التى من شؤونها الروحانية وساطتها للفيض وكونها مجرى الفيض النازل من سماء عالم الربوبية، وعليه ينطبق كمال الانطباق قولهم: «مجارى الأُمور بيد العلماء باللَّه» دون الفقيه الذى هو بما هو فقيه- عالم بأحكام اللَّه لا باللَّه «۳».

وجعل قدس سره هذا التعريف من الرئاسة المعنوية، أى الروحية والتكوينية فى قبال الرئاسة الاعتبارية المجعولة تشريعاً من اللَّه تعالى فى أُمور الدنيا والدين، وأنّها من المناصب المجعولة الاعتبارية «۴»، بخلاف المعنى الأوّل، فإنّه من المعانى

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۰۷

التكوينية. وجعل التقابل بين هذين المعنيين نظير التقابل بين معنى النبوّة، فإنّ المعنى التكوينى لها عبارة عن:

أوّلًا: إنّها من الصفات الواقعية ومرتبته عالية من الكمالات النفسانية، وهو تلقّى المعارف الإلهية والأحكام الدينية من المبادئ‌العالية بلا

توسّط بشر، وصيرورة نفسه المقدّسة مجلى المعارف والأحكام معنى بلوغها درجة النبوّة.

ثانياً: إنّها معنى إعتبارى من المناصب المجعولة، بمعنى جعله مخبراً ومبلّغاً عن اللّه تعالى وسفيراً تشريعاً- إلى خلقه «۱».

هذا ويلاحظ على تعريفه قدس سره إنّما جعله منشأ الرئاسة التكوينية، كمال نفسه المقدّسة ووساطته للفيض على النفوس والأرواح ومجارى الأُمور هو الأولى أن يجعل أصلًا فى التعريف، ويجعل رئاسته التكوينية وقدرة تصرّفه فى الخارج شأن من شؤون حقيقة الإمامة فضلًا عن الرئاسة الاعتبارية القانونية فى الدين والدنيا، كما أشار هو قدس سره إلى خطأ جعل الرئاسة الاعتبارية هى الأصل فى تعريف الإمامة. كما أنّ هناك فارقاً آخر بين الإمام المعصوم والفقيه مضافاً إلى ما ذكره من الفارق الأول هو أنّ الفقيه لا يحيط بأحكام اللّه تعالى فى اللوح المحفوظ بتمامها، كما أنّ علمه بأحكام اللّه هو من وراء حجاب عالم دلالات الألفاظ وبتوسط تركيب الدلالة وتناسباتها، ومن ثمّ قد يصيب فى تأليف الدلالة باستكشاف الواقع وقد يخطئ، بل فى جملة من المواضع يغيب عنه شطر واسع من النصوص اللفظية، فهو لا يحيط بالأحكام الظاهرية فضلًا عن منظومة الأحكام الواقعية، بل قد يكون ما قد توصّل إليه حكماً تخيّلياً لا ظاهرياً كما نبّه على ذلك علماء الأُصول فى مبحث الأجزاء، إلى غير ذلك من الفوارق.

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۰۸

هذا وسيأتى فى كلام البياضى فى (الصراط المستقيم) وهو من علماء القرن التاسع ما يظهر منه التفطّن إلى هذه الجهات فى تعريف الإمامة الإلهية.

وقد مثّلنا هاتين الهدايتين بالعقل النظرى والعلمى، فالإمام هو العقل النظرى للإنسان الكبير وعالم التكوين، وهو العقل العملى كذلك..

وكلّما تدبّرنا فى خصوصيات العقلين نجدها فى الإمام، بما فى ذلك أنّهما لا يقهران الإرادة ولا يسلبان الاختيار، كذلك الإمام لا يقهر الإرادة ولا يسلب الاختيار، وإنما يُعلّم ويشوّق فقط..

بل إنّ العقل مرتبط بالعلم الحصولى والإنسان يمتلك علماً آخر وهو العلم الحضورى، والذى ذكرت له مراتب تبدأ بالقلب فالسرّ والخفى والأخفى..

كذلك الإمام هو هادى فى رتبة العلم الحضورى أيضاً، علماً أنّ الهدايتين فى هذه المرتبة تندّكان بوجود واحد بسيط..

وعندما نرجع إلى اللغة حيث إنّ الأصل الاشتقاقى للإمامة هو من أمّ يأمُ نلاحظ أنّ الإمامة فى الوقت الذى تستبطن الخصوصيتين (الإراءة والإيصال)، تستبطن الحركة والسير والمتابعة للإمام نحو غاية ما عن شعور واختيار..

ومن ثمّ لم يكن صرف الإراءة محقّقاً للإئتمام، وصرف الإيصال كذلك؛ لأنّه سيكون لا عن شعور..

ب- البطون والتأويل فى تعريف جديد: إنّ السائد فى فهم البطون وتفسيره: أنّه التأويل الذى لا يمكن الوصول إليه عبر منصّة الظاهر ومن خلال موازين الظهور..

إلّا أنّ الاتّجاه المعاصر أخذ ينحو منحىً آخر فى فهم وتعريف البطون تبعاً للآيات وكثير من الروايات، وهو: المعنى الذى لا يمكن للذهن العادى غير المعصوم الوصول إليه بنفسه عبر منصّة الظهور.. أى أنّ البطون هو قسم من

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۰۹

الظهور لكن لا- يهتدى بغير المعصوم إلى تأليف موازين اللفظ والدلالة من مختلف القرائن والمناسبات ونضد المقدّمات الدقيقة لتحصيل مفاده من منصّة الظهور الأوّلى.

وهو يعنى أنّه ليس هناك باطن غير ظاهر، سوى أن استنطاقه من النصّ غير متاح لكلّ أحد، وإنّما هو خاصّ بالمعصوم..

وعلى ضوء هذا يفهم قول الصادق عليه السلام: «قد ولدنى رسول اللّه صلى الله عليه و آله وأنا أعلم كتاب اللّه وفيه بدء الخلق وما هو كائن إلى يوم القيامة وفيه خبر السماء وخبر الأرض وخبر الجنّة وخبر النار وخبر ما كان وخبر ما هو كائن أعلم ذلك كما أنظر إلى كفى ان اللّه يقول: «تِبْيانًا لِكُلِّ شَيْءٍ» «۱»» «۲».

ويفهم حثّه عليه السلام أصحابه كما في موثق أبي الجارود قال: قال أبو جعفر عليه السلام: «إذا حدّثتكم بشيء فاسألوني من كتاب اللّه، ثمّ قال في بعض حديثه: إنّ رسول اللّه صلى الله عليه و آله نهى عن القيل والقال وفساد المال وكثرة السؤال، فقيل له: يا ابن رسول اللّه أين هذا من كتاب اللّه؟ قال: إنّ اللّه عزّوجلّ يقول: «لَاخَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ» «۳»

وقال: «وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَاماً» «۴»

وقال: «لَاتَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ» «۵»

» الحديث «۶».

وهذا طبيعي بعد أن كان مصحف الكتاب العزيز نسخة من لوح التكوين وتنزيلًا له..

فيوجد تعريفان للباطن:

أحدهما: هو الذي يعتبر من التأويل الذي لا يمكن الوصول إليه عبر منصّة

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۱۰

الظاهر وموازينه، وهذا هو التعريف المشهور على ألسنة الكثير من المحقّقين.

والثاني: هو نحو من الظهور الذي لا يمكن للأذهان العادية الوصول إليه إلّا عبر تعليم المعصوم، فهو ليس في قبال الظاهر، بل هو قسم من الظاهر، وهو غير ممتنع على أحد بل هو مفتوح، إلّاأنّ الوصول إليه يتمّ عبر مناسبات وتأليف للمقدّمات الدقيقة العميقة التي لا تهتدي الأذهان العادية إلى الوصول إليها، وهذا لا يجعله خفياً بل يكون حاله حال علم الرياضيات الذي يعتمد على الأوّليات البديهية ومع ذلك ما زالت ما لا تحصى من المسائل الرياضية متعسّرٌ على الذهن العادي حلّها، وهو لا يخرجها عن حدود علم الرياضيات.

والذي نختاره هو المعنى الثاني؛ لأنّا نراه أقرب إلى مسلك الأئمّة عليهم السلام، حيث كانوا يحثّون أصحابهم على استنطاق القرآن الكريم بإرشادهم إلى أوجه الدلالة، وترغيبهم في السؤال عن مصدر الحكم، والإشارة إلى المناسبات المتعدّدة والقرائن التي تكون محفوفة بالآيات، وتجميع الآيات المتفرّقة بنحو برهاني، وما استدلال الإمام بالقرآن على روايات الطينة إلّامن هذا القبيل. وبناءً على هذا نقول:

أ- إنّ روايات الأئمّة عليهم السلام في ذيل الآيات لا- تكون أمراً مستقلّاً عن الآيات ومخالفة للظاهر، بل يجب اعتمادها كملاحق وتبصرات للأُصول القانونية ولأُسس المعارف، وهذا من الناحية العلمية له فوائد جمّة.

ب- إنّ التعامل مع الروايات الواردة في تفسير الآيات لا يكون على أساس مجرّد التعبّد فقط، بل يكون على أساس الإرشاد والإشارة أيضاً إلى كيفية سلوك موازين الظاهر، وإيجاد المناسبات للوصول إلى البطون. وهذا التفسير في كلّ آية لا يمكن للعقول الاهتداء إليه إلّابهداية المعصوم، ومن ثمّ التنبّه إلى إعمال الموازين الدلالية في الوصول إليه.

وهذه الطريقة هي التي يجب اتّباعها في استخلاص هذه البطون، وسوف

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۱۱

تكون مرتبة من مراتب الظهور، وسوف يكون هذا المنهج برهاناً دلالياً لمذهب أهل البيت عليهم السلام، وقد ورد عنهم عليهم السلام: «من أخذ دينه من كتاب اللّه وسنّة نبيّه صلى الله عليه و آله زالت الجبال قبل أن يزول» «۱».

د- إنّ الطريقة التي نريد تطبيقها في فهم الآيات القرآنية تعتمد على الظهورات الابتدائية للآيات، وتكون نقطة الانطلاق في أيّ فهم آخر.

ه- إنّ الإعتماد على القرائن العقلية يكون تامّاً بشرط أن تعتمد على العقل البيّن، وكلّما أمكن تقليل الاعتماد على العقل النظري يكون أجدر وأصحّ.

وهـذا لا ـ يعنى أنّه على التفسير الأوّل للباطن يتمّ التسليم بتهمـة الباطنيـة أو عـدم وجوب الإيمان به؛ لأنّه ليس من الظاهر؛ وذلك لأنّ الإيمـان بالظاهر دون البـاطن الـذى هو الغيب والتأويـل – كفر، والإيمان بالباطن دون الظاهر هو كفر أيضاً، بل يجب الإيمان بهما معاً. وعليه، فإنّ الـذى يقع مورد الثواب والعقاب هو الشـريعة الظاهرة ومـدى العمل بواجباتها ومحرّماتها، وعـدم الالتزام بها والالتفات إلى البـاطن فقط زيغ. ومن الجهـة الثانيـة أيضاً إن الاقتصار على الظاهر فقط يكون تركاً للتأويل الحقّ الـذى هو الباطن الخفى، ويصبح من الشاذّ والنادر مع مرور الزمن، فلذا يجب الالتزام بهما معاً، والدمج بينهما.

ومن ثمّ تجد أنّ المعصوم عليه السلام فى أخبار الطينة الغامضة يستنطقون فيها ألفاظ القرآن، وبالتأمّل نلحظ أنّ القرآن ظاهر فى ذلك لنكات كانت خفية علينا، لا أنّه من باب الجرى وذكر المصداق..

بل ظاهرة البطون أى المعانى الغامضة المعقّدة الخفية – ليست خاصّة بالمعارف الدينية، بل نجد ذلك فى مثل علم الرياضيات، فإنّه فى حين كونه

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۱۲

بـديهياً وتقـلّ إن لم تنعـدم – فيه الفرضيـات، إلّاأنّه مـا زالت هنـاك مجهولاـت لم يوفّق لحلّها كبار العلماء مع قبولهم وجود الحلّ فى داخل البـديهيات الرياضيـة، سوى أنّهم لم يتمكّنوا من التفطّن لكيفية تنظيم المعادلات بحيث يتوصّل بها لحلّ المجهول «۱»، وكذلك نجـدها فى مسابقـات الأدب، فإن مهرة الأدب يخوضون فى التحليل الأدبى إلى درجات عميقـة فى النصّ يعجز كثير من أبناء اللغـة بل بقيّة

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۱۳

الأدباء فى الوصول إليها، نظير ترسيم شخصّية صاحب النصّ وبيئته وخلفيته العلمية وخلقه وتاريخه، إلى غير ذلك من العوامل والبيئات التى ترتبط بصاحب النصّ، كلّ ذلك من خلال مقطوعـة لفظية يدرسـها ويحلّلها الأديب البارع. ولقد كانت المسابقات الأدبية معهودة عند عرب الجاهلية حيث كانوا يتعاطون فى سوق عكاظ حول القصائد الشعرية والمقطوعات النثرية عند من برز نجمه فى الأدب.

والنتيجة: أنّ الروايات التفسيرية ليست مجرّد تعبّدية إجمالية محضة، بل مدلّلة مُبيّنة على التفسير الثانى للبطون التأويلى الخفى لأنّ فيها إرشـاداً إلى كيفيـة الاسـتفادة من الظهور القرآنى، بخلافـه على المعنى الأوّل؛ فإنّها لا تعـدو التعبّـد بمعنى الـذى لا نعرف موازينه ولم نتعرّف عليها..

فى حين أنّها على الفهم الثانى للبطون سـتكون شـرحاً وتفصـيلًا للقرآن الذى هو بمثابة الدستور كما ذكر السيد البروجردى تبعاً لمنهج العلّامة المجلسى فى البحار.

وبهـذا الفهم يتمّ القضاء على الشبهـة الموجّهـة للشـيعة الإماميـة بأنّها فرقـة باطنيـة غنوصـيّة لا تعلن عن أفكارها ومتبنياتها؛ إذ عرفت أنّ الشيعة لا تعتقد ولا تتبنّى فكرة إلّاوهى ظاهرة مآلًا من القرآن والسنّة «۱».

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۱۴

وعلى أساس هذا الفهم يمكن الدعوة إلى تأسيس تفسير جديد يعتمد الكشف عن خفايا الظهور ومعادلاته وتناسباته بتوسّط روايات أهل البيت عليهم السلام بإضافة الاعتماد على العقل البديهى، وإن كانت نقطة الانطلاق هى من الظهورات الابتدائية للآيات.

وستظهر النتيجة فى واحدة من صورها بالشكل التالى: «من عرف حقّنا من الكتاب زالت الجبال ولم يزل إيمانه».

ج– وغايـة البحث فى هـذا الرافـد: أنّ القرآن ينوّه ويشـير إلى حجج غير الأنبيـاء والرسل، وأنّهم يقومون بـدورهم فى الأرض بتوسّـط وبركة العلم اللدنى كالأنبياء والرسل، مع بيان لحدود هذا العلم بحيث يفرزه عن علم النبوّة والرسالة.

د– (منهج البحث) خطوط البحث: سيتمّ الحديث فيما سيأتى ضمن التسلسل التالى: بعد التذكير أنّ سمة الحديث ستكون قرآنية:

۱– استعراض الآيات المستعرضة لنماذج الإمامة والأئمّة الذين قاموا بدورهم

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۱۵

الملقى على عاتقهم فى الأرض بعلمهم اللدنى.

۲- إرسال الرسول يؤدّى إلى ثمرة وهى الإمامة، وأنّ القرآن يثبت أنّ الغاية هى الإمامة الثابتة لجملة من الرسل وأبنائهم؛ فإنّ جملة من الأنبياء كانوا أئمّة أيضاً:

«وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ» «۱»

، وقوله تعالى:

«إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا..» «۲»

، وكذلك الحال فى سيد الرسل، بل هو صلى الله عليه و آله إمام الأئمّة.

۳- استعراض الآيات المبينة للسيرة النبويّة فى إمامة المجتمع البشرى، أو السيرة الإلهية التى أمر اللَّه تعالى نبيّه بها فى الحكم وقيادة الناس وأنّها تقتضى مقام الإمامة له صلى الله عليه و آله، وهو يغاير مقام النبوّة.

۴- الشرح القرآنى لماهيات المناصب الإلهية وأقسام الحجج الإلهية.

۵- بيان القرآن للمعاد والسير إلى اللَّه واستلزامه لوجود منصب الإمامة.

ه- (فوارق النبوّة والإمامة): قبل الدخول فى صلب البحث، لابدّ من الوقوف على حقيقة العلم اللدنى المقوّم لماهية الإمامة وما ينتج عن هذا من معرفة حقيقة الشريعة فى مقابل ظاهر الشريعة، وهو ما قد يعبّر عنه بالشريعة التكوينية والسنّة الإلهية الكونية، كما ذُكر فى قصّة الخضر عليه السلام مع موسى عليه السلام فى سورة الكهف، وكقضاء داود من غير بيّنة، وكحكومة سليمان وذى القرنين عليه السلام بتوسّط الأسباب اللدنية.

وقد يعبّر عن الشريعة التكوينية والسنّة الإلهية الكونية بالولاية الشاملة للطريقة والحقيقة، كما جاء فى تفسير قوله تعالى: «وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۱۶

مَاءً غَدَقًا» «۱»

بأنّ الطريقة هى ولاية أمير المؤمنين عليه السلام، وعن الشريعة الظاهرة بالنبوّة، وإن كان سيد الأنبياء صلى الله عليه و آله قد جمع أعظم مقامات الولاية والنبوّة.

ولابدّ من الالتفات إلى أنّ الشريعة واحدة حدوداً وموازيناً، إلّاأنّ الفرق هو آلة التطبيق، ولا يخفى أنّ البطون والباطن يطلق على عدّة معانٍ كالتأويل والغيب، وفى مقابل ذلك قد يطلق على التخليط والخبط والنزوع الروحى والنفسانى والإيحائى، أو الغرائب مع عدم التقيّد بالموازين والأدلّة والحجج ونحو ذلك. وقد يطلق على المعانى الغامضة الخفية أو الحقائق المستورة، والمراد فى المقام ما يقرب من المعنيين الأخيرين، والتفرقة بينه وبين العلم المقوّم لماهية النبوّة (الوحى)، وما ينتج عنه من الشريعة الظاهرة.. فوارق مع التنبيه على أنّ النبىّ صلى الله عليه و آله هو إمام الأئمّة أيضاً إلّاأنّ الكلام فى بيان الفارق بين مقامه من حيث النبوّة ومقامه من حيث الإمامة- فى تميّز المراد من العلم اللدنى.

من الأُمور المهمّة التى يجب تسليط الضوء عليها قبل الشروع فى بيان أصل البحث، هو المائز بين العلم اللدنى والعلم النبوّى، أو ما يمكن تسميته الفرق بين الشريعة الظاهرة والشريعة التكوينية (أى السنّة الإلهية الكونية)، ويمكن إيجاز الفرق فى أُمور:

۱- إنّ تطبيق وتنفيذ أحكام العلم النبوىّ هو من سنخ الاعتبارات الكلّية الإنشائية القانونية تُبنى على العلم الحصولى، بينما فى العلم اللدنى هى من سنخ تكوينى وتعتمد على العلم الحضورى.

ومن الأمثلة على ذلك: أنّ القرآن الكريم والروايات تثبت أنّ للملائكة أوامر

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۱۷

إلهية متوجّهة إليهم وهم لا يعصونه، وهذه الأوامر هى ليست من سنخ الاعتبارات والأحكام الظاهرية، فهى من سنخ آخر مع المحافظة على أنّها موجودات شاعرة مختارة، فهذه الأوامر إرادات إلهية تكوينية من سنخ الشريعة التكوينية والسنّة الإلهية الكونية، حيث إنّ الملك مزوّد بالعلم اللدنى، وتصوير الأوامر والإرادات التكوينية لا ينافى إختيارية الملك.

۲- إنّ الأحكام الواقعية فى الشريعة الظاهرة نابعة من أغراض وملاكات، وتحقيق الأحكام لهذه الأغراض يكون غالبياً لا دائمياً، أمّا فى العلم اللدنى فالإصابة تكون دائمية كلّية ولا تحتمل الخطأ.

۳- إنّ الشريعة الظاهرة لها موازين خاصّة بها، حيث إنّها تعتمد فى تطبيقها على العلم الحسّى الحصولى، بخلاف الشريعة التكوينية والسنّة الإلهية الكونية، فهى لها موازين خاصّة من حيث اعتمادها على علم القضاء والقدر.

ويجب التنبّه إلى عدم الخلط بين الموازين، فاستخدام موازين الشريعة التكوينية والسنن الإلهية الكونية فى الشريعة الظاهرة قد تؤدّى إلى الخروج عن الدين، أو العكس بأن يستخدم موازين الشريعة الظاهرة فى الشريعة التكوينية والسنّة الإلهية الكونية، وكثير من الإشكالات والشبهات تنشأ من الجهل والغفلة بين هذه الموازين، حيث يستخدم موازين الظاهر فى فهم مفادات هى من سنخ الشريعة والسنّة الإلهية الكونية.

ولهذا السبب وبسبب الغفلة والخلط نشأت الفرق المنحرفة عن خطّ أهل البيت، فهى من هذا القبيل، حيث إنّهم أَسْرَوا وعمّموا أحكام الشريعة والسنّة الإلهية الكونية التى اطّلعوا عليها على الشريعة الظاهرة التى هم مخاطبون بها أيضاً، فيجب التنبّه إلى وضع هذا الحاجز بين الموازين فى كلا الدرجتين من الشريعة، درجة الظاهر ودرجة السنّة الإلهية الكونية.

ومن صور الخلط الذى يحصل: إلغاء الشريعة الظاهرة بحجّة الوصول إلى

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۱۸

أهداف وأغراض الشريعة بدعوى السفارة والنيابة، الأخبار والرواية عنه مع انقطاع الطريق الرسمى بيننا وبينه (عج).

وإحدى التفسيرات لما ورد من أنّ صاحب الأمر عليه السلام عند ظهوره سوف يأتى بدين جديد أنّه سوف تقترن موازين الشريعة الظاهرة بالسنن الإلهية الكونية، وهو ليس من باب النسخ، بل هو من باب أنّ الشريعة هى الظاهرة إلّاأنّ تطبيقها سوف يكون بموازين الشريعة والسنّة الإلهية الكونية.

وليتنبّه إلى أنّ عموم الناس غير مكلّفين إلّابالشريعة الظاهرة، ولا يمكن لهم العمل بالدرجة الخفية، كما أنّه ليس هناك شريعتان، بل شريعة واحدة لا تختلف وإنّما تطبيقها تارةً بموازين الظاهر وأُخرى بآليات تصيب الواقع ولا تخطئه، وهى موازين خفية باطنة، وسيأتى بيان حقيقة الشريعة بحسب السنن الإلهية الكونية.

ومن هنا نعرف كيف يتمّ الملائمة بين معرفة الإمام بأنّه سوف يُقتل على يد ابن ملجم، وأنّ الإمام الحسين عليه السلام يعلم أنّه مقتول لا محالة، وذلك عن طريق العلم اللدنى طبقاً لموازين الشريعة والسنّة الكونية، لا بتوسّط العلم من الأسباب العادية طبقاً لموازين الشريعة بحسب الدرجة الظاهرة. بل إنّ موازين الظاهر فى باب التزاحمات تطبّق على الأحكام الفعلية، أمّا فى الشريعة والسنّة الإلهية الكونية فإنّها تلاحظ بما لها من لوازم ومصالح حتّى فى الحقب التاريخية التالية، فلا يقصر الحدث على أهمّيته فى حقبة زمنية معينة، بل يلاحظ عموم التاريخ، ومن هنا فإنّ أثر شهادة الحسين عليه السلام على حفظ الدين والشريعة والتزام الناس على مرّ الزمان، وعدم الرضوخ للظلم والطغيان، وسنّ هذه السنّة هى إحدى الملاكات التى نشأت من شهادته عليه السلام، والتى ما كان لها أن تظهر لو قصرنا النظر فى حادثة الاستشهاد على الفترة الزمنية الخاصّة.

ويمكن بيان الفوارق كالتالى:

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۱۹

الفارق الأوّل: إنّ النبوّة لإبلاغ الأحكام الإعتبارية الإنشائية القانونية، بما يشمل الآداب والعلوم الحصولية كالمعارف، فى حين أنّ نفس تلك الشريعة للإمام من سنخ تكوينى لا ـ اعتبارى ومعلومة حضوراً لا حصولًا، وشاملة كالأولى، ومن الأمثلة على ذلك أنّ القرآن الكريم والروايات تثبت أنّ للملائكة أوامر إلهية متوجّهة إليهم وهم لا يعصونه.

الفارق الثانى: إنّ إصابة الشريعة الظاهرة أى الأحكام الاعتبارية القانونية الواقعية للواقع أى الملاكات والمصالح والمفاسد وللأغراض- غالبية لا كلّية دائمية، نظير الحكم الظاهرى الأُصولى بالنسبة للحكم الواقعى، وإن كان بين النسبتين فرق جلى، كما أنّ هناك فرق فى المعنى بين الشريعة الظاهرة والحكم الظاهرى، بينما الإصابة فى الشريعة بحسب الدرجة الواقعية والسنّة الكونية دائمية كلّية.

الفارق الثالث: إنّ تطبيق الشريعة الظاهرة يرتكز على العلم الحسّى وموازين هذه النشأة، نشأة الظاهر «يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا»

«۱»

، وتطبيق الشريعة بحسب السنّة الكونية الإلهية يرتكز على علم القضاء والقدر والمشيئة والإرادة وآثار الأفعال بحسب النشآت الأُخروية.

علماً بأنّ الكثير من الخلط والشبهات والجهالات نشأت نتيجة الخلط بين نحوين من مفادات القرآن والسنّة، حيث إنّ قسماً منها مفاده الأوّل، والآخر الثانى.

وواحدة من عوامل الانحراف فى هذا المضمار: وزن الظاهر بموازين السنن الكونية أو العكس، فالخطابية والمغيرية حكّمت موازين السنن الإلهية الكونية على الظاهر، وقد مرّ أن إحدى التفسيرات لما ورد من أنّ صاحب الأمر المهدى

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۲۰

(عج) يأتى بدين جديد أنّه سوف تقترن موازين الشريعة بحسب الدرجة الظاهرة بالسنّة الكونية، وهو ليس من باب النسخ، بل هو من باب تطبيق الشريعة الظاهرة بموازين الشريعة التكوينية «۱».

فالتساؤل المتوهّم حول الشجاعة فى مبيت علىّ عليه السلام فى فراش النبىّ صلى الله عليه و آله، هل هى مع علمه أنّه لا ـ يقتل؟ ثمّ كيفية كونها منقبة عظيمة مدحه بها القرآن المجيد، وكيف يقدم الإمام عليه السلام على الصلاة فى جامع الكوفة أو دخول الإمام الحسين عليه السلام فى معركة كربلاء مع علمه بقتله؟ يرجع التساؤل إلى معالجة التكوين بموازين الظاهر، بل إنّ موازين الظاهر فى باب التزاحمات تطبّق على الأحكام الفعلية، أمّا فى الشريعة بحسب السنّة الكونية الإلهية- فإنّها تلاحظ بما لها من لوازم ومصالح

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۲۱

حتّى فى الحقب التاريخية التالية، فلا يقصر الحدث على أهميته فى حقبة زمنية معينة، بل يلاحظ بحسب عموم التاريخ.

ومن هنا فإنّ أثر شهادة الحسين عليه السلام على حفظ الدين والشريعة إلتزام الناس على مرّ الزمان وعدم الرضوخ للظلم والطغيان، وقد سنّ (صلوات اللَّه عليه) هذه السنّة فى الدين التى هى إحدى الملاكات المتولّدة من شهادته عليه السلام، والتى ما كان لها أن تظهر لو قصرنا النظر على زمن الحادثة والاستشهاد فى تلك الفترة الزمنية الخاصّة، وكذلك الحال فى جملة سيرة الرسول صلى الله عليه و آله وسيرة أمير المؤمنين عليه السلام.

الفارق الرابع: النسخ فى الشريعة بحسب الدرجة الظاهرة اعتبارى، علاوة على وجود مرتبة الظاهر الكاشف عن الدرجة الظاهرة التى هى واقعية بحسبها، وظاهرة التقييد بالمعنى العام من تخصيص وحكومة وورود- وتقييد الأدلّة والدلالة على الشريعة الظاهرة لا فى متنها.. بينما النسخ فى الولاية والشريعة بحسب السنن والنظام الكونى تكوينى وهو المعروف بالبداء، وبمعرفة الناسخ تتفاوت مراتب الأولياء والحجج..

الفارق الخامس: لم يُستثن أحد من التكليف بالشريعة الظاهرة، فالتدين بها فى عهدة الجميع من جنّ وإنس بما فى ذلك الأولياء والحجج، أمّا فى الشريعة الكونية فهى وظيفة خاصّة بحجج اللَّه وملائكته.

ومن ثمّ ينبثق سؤال: إنّ ما عدا المذكورين- وهم غير المعصوم- قد يصلون بالرياضات الشرعية إلى مقامات عالية حيث تتفتّح قلوبهم

على عوالم الغيب، فلم لا يكونون مكلّفين بالولاية وبالشريعة الكونية الإلهية بعد أن تمّ وصولهم إلى أسافل تلك المنازل؟

الجواب: إنّ رقيهم هذا محمود حيث يزيد من علمهم وإيمانهم، ولكنّهم لم يُكلّفوا إلّابالشريعة الظاهرة؛ لعدم حجّية ما يتلقّونه بقنواتهم الروحية لعدم

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۲۲

عصمتهم.

الفارق السادس: (حقيقة الشريعة الإلهية الكونية). إنّ أحكام الشريعة الكونية بحسب الدرجة الواقعية والتكوينية لا تعدو كونها إلّاتطبيقاً للشريعة الظاهرة وسوى أنّه تطبيق بعلم لدنى لا بوسيلة الحسّ والعلم الحصولى؛ لأنّ الشريعة واحدة لا تختلف بحسب الظاهر الواقعى ولا ـ الكونى ولا ـ حدودها وأحكامها، كما استعرض القرآن الكريم لنا قصّة الخضر مع موسى التى كانت يُتراءى فيها فى بادئ الأمر الخلاف، ثمّ آل الأمر إلى الوفاق بعد وضوح رجوع التأويل إلى تطبيق خفى لظاهر الشارع، وهذا التعريف أضبط وأصلح التعريفات للشريعة الإلهية فى النظام الكونى.

وتوضيح ذلك يتمّ بالالتفات إلى هذه الزاوية: أشرنا فى الفصول السابقة إلى أنّ أصل الولاية للَّهتعالى «إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ» «۱»

و «هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ» «۲»

أعمّ من التشريع والحكم القضائى والحكم التنفيذى، وعندما نطالع القرآن نجد أنّه يلفت إلى الأصل المذكور وتفاصيله، بل فى الآيات المرتبطة بالمسائل العامّة الحكومية كآيات الجهاد والأنفال وأمثالها، هى تشريعية بلحاظ تنظيرها الكلّى، وحكم تنفيذى ولوى بلحاظ مواردها التطبيقية الجزئية، وهذه قراءة ثانية لأسباب النزول، لا يقرّ بها ولا يتفطّن إليها أهل سنّة الخلافة وجماعة السلطان، لعدم تصويرهم لولاية اللَّه تعالى السياسية فى الأحكام التنفيذية الجزئية زيادة على ولايته تعالى فى التشريع الكلّى.

وكذلك فى القضاء كما يلحظ ذلك بوضوح فى حكومة الرسول صلى الله عليه و آله التى يستعرض لنا القرآن الكريم سيرتها، فإنّ فى المنعطفات الخطيرة فى الأحداث

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۲۳

السياسية أو القضائية أو العسكرية والمالية نرى فى الآيات أنّ الحاكم الأوّل هو البارى تعالى فى تلك الأحداث، والحاكم الثانى هو الرسول صلى الله عليه و آله، وأهل سنّة الخلافة وجماعة السلطان يخشون هذا التصوير لحاكمية اللَّه تعالى السياسية على البشر؛ لأنّهم لا يمكنهم تصوير ذلك بعد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله على ما ذهبوا إليه من انقطاع الاتّصال بالغيب وعدم إمكان إستعلام الإرادة الإلهية الجزئية فى الأحداث.

ومن ثمّ فالولاية فى هذا المضمار للرسول صلى الله عليه و آله ومن بعده للمعصومين عليهم السلام هى فى طول ولاية اللَّه تعالى وبإذنه، وليست مستقلّة، خلافاً لإطروحة المعتزلة وغيرهم من المذاهب الأُخرى، ومن قبل اليهود حيث قصروا ولاية اللَّه تعالى على التشريع دون مباشرة القضاء وسلطة التنفيذ حينما قالوا: «يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ..» «۱»

.فالرئيس والحاكم السياسى الأوّل والمشرّع الأصلى والقاضى الفعلى هو اللَّه سبحانه وتعالى، ومَن ثبتت له الولاية وهو الرسول صلى الله عليه و آله والإمام، فهى فى ظلّ تلك الدولة والولاية المباشرة للَّهتعالى لا بالاستقلال عنها، فكلّ ما يصدر عنهم فهو يصدر عن اللَّه حقيقة.

بل تلك الحاكمية تجلّت بوضوح فى القرآن الكريم بمعنى الحكم المسند إليه تعالى خاصّة من دون نسبته إلى الرسول صلى الله عليه و آله أو الإمام «۲» على صعيد التنفيذ والفصل القضائى والحكم التنفيذى، وبالتالى يصحّ القول بأنّ حكم وحاكمية اللَّه تعالى ليست بالقوّة فى عهد حكومة المعصومين عليهم السلام، بل هى حكومة فعلية للَّه تعالى فى الجوانب الثلاثة. أمّا أمثلة التشريع الصادرة مباشرة منه تعالى فكثيرة، وهكذا فى القضاء فينشئ تعالى حكماً فاصلًا للنزاع كما فى قصّة البقرة فى بنى

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۲۴

إسرائيل، وموارد أُخرى استعرضها القرآن الكريم في الحكم الولوي (التنفيذي)، نظير أوامر الجهاد النازلة في موارد معينة وإن استفيد منها تشريعاً كلّياً أيضاً، وكحكمه تعالى بزواج النبيّ صلى الله عليه و آله من زينب وزواج عليّ عليه السلام من فاطمة عليها السلام، إذ حكمه تعالى الولوي شامل للوظائف العامّة للدولة والأُمور الخاصّة للبشر.

وهذا النمط ثابت طولًا للمعصومين عليهم السلام، وهذا أحد تفاسير قوله تعالى: «.. أَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ..» «۱»

، وهذا معنى كون حكومة المعصوم إلهية أي لا- يقتصر في أحكامها وتشريعاتها على كلّيات الأحكام في الدين، بل إنّ الحاكمية بالفعل في الجوانب الثلاثة هي للّهسبحانه، وهذا غير متوفّر في غير حكومة المعصوم وإن كانت بالرسم الديني، وسيأتي توضيحه مبسوطاً في سيرة الرسول على صعيد الدولة في القرآن الكريم.

وبضمّ هذا الفرض إلى ما ذكرناه في الأُصول والفصول السابقة من أنّ الحكم التنفيذي تطبيق للحكم التشريعي فهو حكم جزئي وذلك كلّي يتبلور: أنّ أحكام الشريعة الكونية الإلهية بحسب الدرجة الواقعية التكوينية ليست إلّاأحكاماً تطبيقية للشريعة الظاهرة بعلم لدني على حدّ الحكم الولوي «۲»، وأنّ الولاية إقامة وتحقيق وإنجاز لأغراض النبوّة.

الفارق السابع: إنّ منظومة إقامة أحكام الشريعة بحسب المنظومة الظاهرة تخضع للأسباب الطبيعية الظاهرية، وفي باب ومقام الولاية والواقع الخفي الباطن، وشريعة السنّة الإلهية الكونية تخضع للّهتعالى وتتسلسل تبياناً وبلاغاً

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۲۵

وتطبيقاً وتنفيذاً وإقامةً وتشييداً إلى الأوصياء والملائكة، وقد يستعان بغير المعصوم بشكل قسري لا جبري.

ويمكن بيان الفوارق الأخيرة بصياغة أُخرى:

*- إنّ العلم اللدني والشريعة الكونية خاصّة بأولياء اللّه- حججه وملائكته- وليست هي وظيفة عموم البشر الآخرين مهما بلغوا من العلم، وحتّى لو استطاعوا الوصول إلى نفحة ورشحة يسيرة من بحار محيطات العلوم والشريعة.

*- يوجد في الشريعة الظاهرة نسخ هو نسخ اعتباري وهو المبحوث عنه في الأُصول، بينما في الشريعة الكونية الإلهية يوجد نسخ تكويني وهو البداء المعروف، وتختلف مراتب أصحاب العلم اللدني في ذلك، فبعضهم له علم بالمنسوخ فقط وبعضهم له علم بالناسخ والمنسوخ.

*- ذكرنا في الفصل الثاني أنّ الولاية المطلقة للّهسبحانه وتعالى، ومنها تتفرّع إلى النبيّ الخاتم ومن ثمّ للمعصومين من ولده، فولايتهم في التشريع والقضاء والتنفيذ هي متشعّبة عنه جلّ وعلا، إلّاأنّ هذا لا يعني عدم تدخله المباشر في صياغة كلّ منها في بعض الأحيان. وبالتالي لابدّ من القول إنّ حكومة اللّه ليست بالقوّة الشأنية في زمن حكومة المعصومين، بل هي حكومة فعلية للّهتعالى، فهو يكون مشرّعاً ويكون حاكماً، ويكون مصدراً للحكم الولوي (التنفيذي) في زمن حكومة المعصومين، وهذا يجعل حكومته فعلية.

ومن أمثلة التشريع كثير، إذ في كثير من الأحيان يصدر التشريع منه مباشرة، ولا يكون الاعتبار صادراً من الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله، وهكذا في القضاء إذ يحكم هو كما في قصّة البقرة. وموارد أُخرى يكون الحكم والفصل فيها للّهسبحانه، وفي الحكم الولوي كذلك كما في آيات الجهاد، وزواج النبيّ من زينب وزواج عليّ من الزهراء سلام اللّه عليهما، ويفترق الحكم الولوي هنا عن غيره بأنّه ليس في

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۲۶

وظائف الدولة العامّة بل في الأُمور الخاصّة، وهذا النمط ثابت للّهوالمعصومين دون النوّاب من الفقهاء.

فالحقّ تعالى يتصرّف مباشرةً في التطبيق بموازين العلم الإلهي، أي تطبيق الشريعة الظاهرية بما له من موازين العلم الإلهي، ولن يكون التطبيق بموازين ظنّية حسّية، والعلم اللدني يختلف درجاته، وبالنسبة للّهالمحيط له أعلى الدرجات، فهو: «أَصْدَقُ قِيلًا»، وهو «أَحْكَمِ

الْحَاكِمِينَ»، فعندما يقال إنّ حكومة المعصوم إلهية لا يعنى أنّ أحكامها وتشريعاتها دينية فقط، بل يعنى أنّ الحاكمية هى للّهسبحانه بالفعل، وهذا غير متوفّر فى حكومة غيرهم وإن كانت دينية. وبناءً عليه نقول: إنّ الشريعة الكونية الإلهية هى عبارة عن تطبيق للشريعة الظاهرة بعلم لدنى، فتطبيق اللّه تعالى دوماً يكون بالعلم اللدنى، أمّا فى تطبيق المعصوم فهو فى الجملة لا بالجملة بحسب الوظيفة المأمور بها.

أمّا الشريعة الظاهرة فهى التنظير فى الأُمور الكلّية، والتطبيق يكون بالشريعة الكونية «۱».

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۲۷

*- إنّ منظومة الشريعة الظاهرة والارتباطات بين حلقاتها خاضع لآليات النشأة الدنيوية أى الأسباب الظاهرية، أمّا فى منظومة الشريعة الباطنة من اللّه عزّوجلّ والنبىّ والرسل والأوصياء، فهم مزودون بالعلم اللدنى، وقد يستعان بغير المعصوم كما فى تسخير الآخرين ويكون الفاعل بالقسر والفاعل بالجبر، وآلياته تكون غير ظاهرية، وقد تكون ظاهرية.

بعد استعراض هذه المقدّمات ندخل فى صلب البحث وذلك باستعراض مجموعة من النماذج القرآنية:

۱- استعراض الآيات المرتبطة بالحجج الذين قاموا بدورهم الملقى على عاتقهم فى الأرض بالعلم اللدنى.

۲- بيان غاية إرسال الرسل، وسنرى أنّ القرآن يثبت أنّ الغاية هى الإمامة.

۳- استعراض الآيات المبينة للسيرة النبويّة، أو السيرة الإلهية التى أمر اللّه تعالى بها.

۴- الشرح القرآنى لماهيات المناصب الإلهية.

۵- بيان القرآن للمعاد والسير إلى اللّه.

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۲۹

الأمر الأول استعراض نماذج الإمامة فى القرآن ... ص: ۴۲۹

اشارة

ونستعرض فيها قائمة لأولياء اللّه الحجج، وكيفية توفّرهم على العلم اللدنى وتصرّفهم على طبقه، ومنه سوف ينكشف لنا جوانب هذا العلم.

النموذج الأوّل: قصّة الخضر وموسى ... ص: ۴۲۹

والتى تناولها القرآن الكريم فى سورة الكهف من الآية ۶۰ وحتّى الآية ۸۲.

وقبل استعراض الآيات يجب أن نلقى الضوء على الجوّ العامّ الحاكم على سورة الكهف، فالآيات التى ابتدأت بها السورة تستعرض حرص الرسول الكريم صلى الله عليه و آله على قومه لعدم استجابتهم وأسفه عليهم لعنادهم، حيث قال تعالى:

«فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا» «۱»

، فنزلت هذه السورة لتسلية فؤاده صلى الله عليه و آله من خلال استعراض ثلاث وقائع هى: أصحاب الكهف، الخضر وموسى، ذو القرنين، وكأنّها تسلّى قلب النبىّ الخاتم صلى الله عليه و آله بأنّ الإرادة الإلهية لا تتخلّف، وأنّ الهداية الإيصالية تتحقّق، وأنّ هناك منظومة من رجال الغيب الذين يقومون بحماية الشريعة من الانحراف والأخذ بيد الناس فى أحلك الظروف والمحن بتدبير النظام العامّ

بنحوٍ خفى.

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۳۰

استعراض تفصيلى للآيات ...: ص: ۴۳۰

اشارة

«وَإِذْ قَالَ مُوسَى» «... ۱»

أى واذكر أيضاً قصّة موسى، ممّا يدلّل على ما ذكرناه من أنّ القصص الثلاث أتت فى سياق واحد ومن أجل هدف واحد.

وفى أسباب النزول: أنّ موسى عندما أنزل اللّه عليه الألواح رجع إلى بنى إسرائيل وصعد المنبر وأخبرهم أنّ اللّه قد أنزل عليه التوراة وكلّمه، فقال فى نفسه:

ما خلق اللّه خلقاً أعلم منّى، فأوحى اللّه إلى جبرئيل أدرك موسى فقد هلك، واعلمه أنّ عند ملتقى البحرين عند الصخرة رجلًا أعلم منك، فسر إليه وتعلّم منه.

أى أنّ للخضر علم مغاير لعلم موسى، وهذا مع التسالم على أنّ موسى أفضل من جميع من سواه فى عصره.

«لَاأَبْرَحُ» «... ۲»

ظاهر فى وجود أمر بالمجىء إلى هذا المكان وبالتالى وجوده فيه ضرورة.

«ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ» «۳»

يدلّ على تحديد المكان بالعلامة. والآيات اللاحقة تبين أنّ موسى قد لقى الخضر نائماً ولم يلتفت إلى أنّه هو الذى يجب أن يتبعه فسار قليلًا، فارتدّا على آثارهما بعد أن التفتا إلى ذلك.

«فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا» «۴»

، وهذه الآية تبين لنا صفات الخضر:

أ- الإضافة التشريفية للّه‌جلّ وعلا، حيث عبّر عنه أنّه من عبادنا، ممّا يدلّ على الحظوة والانتساب.

ب- إنّ التتبع فى استخدامات (عبادنا) يفيد أنّه لم يُستخدم إلّافى الأنبياء

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۳۱

والمرسلين والأولياء، ولم يستخدم هذا التعبير لجميع العباد.

ج- إنّه مشمول بالرحمة الخاصّة.

د- إنّه متّصل بالغيب من خلال العلم الذى أوتى من الذات المقدّسة، وإنّ هذا العلم من لدن العليم الخبير، ففيه إشارة إلى عدم كون علمه كسبياً بل إفاضياً، وأنّه علم يفاض من لدن الذات.

«قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا» «۱»

، يذكر الشهيد الثانى فى منية المريد جملة دلالات فى هذه الفقرة على التواضع، إنّ فى هذه الجملة الوجيزة اثنى عشر فائدة من فوائد الآداب، منها: التواضع فى الطلب، فقوله: (هل) تفيد الاستيذان منه قبل الالتحاق به، والتعبير ب (أتّبعك) ولم يقل أرافقك أو أماشيك، ممّا يفيد معنى التبعية وما فيه من معنى المتابعة المطلقة، وهى الإتيان بمثل فعل الغير لأنّه فعله، لا لوجه آخر، ولا يخفى ما فيها من الخضوع للخضر، وهو فى هذه المتابعة مأمور بالكون معه، وفى هذه كمال التواضع والتفخيم للخضر، والتعبير (على أن تعلّمنى) أى لا يشترط أن تعلّمنى، فيدلّ على الرجاء، والتعبير بتعلّمنى ولم يقل أعلم، والتعبير (ممّا علمت)، أى ليس هو كلّ ما عُلّمت

وهو تفخيم ودليل أنّه تعليم إلهى.

وهذا خضوع وتواضع من قبل النبىّ موسى للخضر عليه السلام مع أنّه من أولى العزم ومن الأئمّة، حيث إنّ بعض الأنبياء من غير أولى العزم وصفوا بأنّهم أئمّة، فكيف بأولى العزم، مضافاً إلى أنّه كان حاكماً على بنى إسرائيل، والحكومة من شؤون الإمامة لا من شؤون النبوّة، لكنّ الإمامة لها درجات مختلفة فى الكمال والفضيلة الكونية كاختلاف النبوّة فى الدرجات.

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۳۲

كما أنّ هذا التواضع ليس من باب الخلق الحسن، بل هو من باب ما يقتضيه حقيقة العلم الذى يمتلكه الخضر والذى امتاز به عن النبىّ موسى.

الواضح من هذه الآيات أنّ العلم الذى كان لدى الخضر هو من الشريعة الكونية والسنن الإلهية فى نظام التكوين؛ وذلك لأنّه لو كانت من الظاهرة لعلم بها موسى، وإنّما سميت شريعة لأنّ فيها أوامر وإرادة إلهية كونية، وعدم تزويد موسى بها دليل على أنّها خاصّة بالبعض.

والعامّة لجمودهم وابتعادهم عن بيت الوحى والعصمة تراهم وقعوا فى حيص وبيص فى كيفية تصوير اختلاف العلم الذى لدى الخضر مع العلم الذى لدى نبىّ اللّه، وهل هو من سنخ النبوّة أم غير ذلك؟ وما ذلك إلّاأنّهم لم يذعنوا بالإمامة والعلم اللدنى ولم يعترفوا بمقام الولاية الذى يطّلع على المشيئة الإلهية والإرادات الإلهية، والذى يعرّف الشريعة بحسب السنن الإلهية التكوينية، وجمدوا على منصّة الشريعة الظاهرة.

«قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا» «۱»

، دلالة على أنّ الصبر يتصوّر مع العلم، وأنّ العلم التشريعى والنبوّة لم يُحيطا إحاطة تامّة، وأنّه لابدّ أن يزوّد الحجّة بالعلم اللدنى والشريعة الكونية وهى الولاية؛ إذ لو كانت ظاهرة لما افتقدها موسى عليه السلام وشريعته عامّة، وهو وإن كان إماماً أيضاً إلّاأنّ الإمامة درجات، وكذلك اختلاف العلم اللدنى الذى يزوّد به الإمام.

ويدلّ هذا المقطع على اختصاص الشريعة بحسب الدرجة الواقعية الكونية بالأولياء المصطفين المعصومين، حيث لم يزوّد بها بتمامها حتّى موسى عليه السلام فضلًا عن عموم المكلّفين.

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۳۳

«قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا» «۱»

، إشارة إلى نظير وما فعلته عن أمرى، الدالّ على أنّه أمر إلهى وارادة كونية، إلّاأنّه ليس من الشريعة الظاهرة، وهو إشارة إلى ما يأتى من قول الخضر.

«قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا» «۲»

ففيه أيضاً- إشارة إلى تأدّب الخضر مع النبىّ، فلم يأمره بالاتّباع بل علّقه على مشيئته وإرادته، كما أنّ الاستعلام العلمى عن حكمة فعل من الأفعال لا ينافى الائتمام؛ وذلك لأنّ التبعية ليست معلّلة أو موقوفة على حكمة الفعل.

إنّ هذه الآداب بين الحجج تشير إلى مطلب مهم وهو اعتقادهم بالمناصب الإلهية لكلّ منهما، وقد ورد فى حديث المعراج: أنّ النبىّ فى أحد المواقف تقدّم على الأنبياء وأمّهم للصلاة، ولم يكن لديه خشية وخوف مع إذعان جميع الأنبياء لهذا التقدّم.

وقد أثار علماء المعارف مدى الارتباط بين الفروع والعقائد، وأنّ الأفعال لها مناشئ وعلل خلقية، ففى قوس النزول نرى أنّ العقيدة تولّد صفات وهى تكون مصدراً لعدد من الأفعال، بينما فى قوس الصعود الأفعال تولّد صفات وهى تولّد ملكات جوهرية أى عقائد.

كما يدلّ هذا المقطع على أنّ المأموم تابع لإمامه إمامةً تعبّدية، فلا يحقّ له تعليق تبعيته على معرفة الحكمة والمصلحة فى أوامر إمامه، نعم، له الحقّ أن يسأل إمامه عن وجه الحكمة، ولكن كما ذكرنا أنّ منشأ المتابعة ليس معرفة الحكمة وإنّما الإمامة، فالآداب المتبادلة

بين الخضر وموسى ذات منشأ وبذر عقائدى.

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۳۴

«لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا» «۱»

، اعتراض من موسى بحسب الشريعة الظاهرة؛ لأنّ خرق السفينة تصرّف فى ملك الغير.

«قَالَ لَاتُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا» «۲»

، ليس المقصود من النسيان المعنى المصطلح وهو المنفى عن مقام العصمة للنبىّ، كما سيتّضح ذلك فى الآيات القادمة، بل إنّ عدم اعتراض موسى سوف يكون نقصاناً فى علمه النبوىّ، وإنّ من الكمال لموسى هو الاعتراض، فالمعنى المراد من النسيان هاهنا ضرب من المعنى لا ينافى العصمة، نظير المعنى المجازى فى قوله تعالى: «نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ» «۳»

، إذ النسيان هو بحسب مقام الولاية الذى كان عند الخضر المطّلع على الشريعة بحسب الواقع الكونى، وهو لا ينافى عصمة موسى بحسب الشريعة الظاهرة، كيف والنسيان ليس أسوأ من عدم علمه بما يعلمه الخضر، ومع ذلك لم ينافِ عصمته.

والمفاد المطابقى لكلام النبىّ موسى عليه السلام ليس كلاماً واستفهاماً وإنّما هو اعتراض بمقتضى الشريعة الظاهرة واستنكار للفعل. نعم، يقتضى بالتلازم العقلى الدفاع والجواب من الخضر، فمحور التجاذب فى الكلام هو عمّا لم يطلع عليه موسى، ومن ثمّ كانت إجابة الخضر: «قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّکَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا» «۴»

، وهو يشير إلى ما قاله لموسى فى بدء لقائهما: «وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا» «۵»

، أى ما لم تعلمه، ومن ثمّ لم يقل له إنّك لم تفِ بما تعهّدت به، فالموازين بحسب الشريعة الظاهرة هى السبب فى اعتراضه الموجب لترك الشرط فيما بينهما، إذ الشرط لا يغير الحكم الأوّلى عمّا هو عليه.

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۳۵

«فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِى السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا» «۱»

، وهذه هى الحادثة الأولى، والتى رأى فيها موسى تصرّفاً فى ملك الغير وتعريض الآخرين للغرق، كما يُلاحظ أنّ موسى استخدم تعبير (إمراً) أى مستقبح، بينما فى قتل الغلام كما سترى- يستخدم نكراً وهى أشدّ من الأولى؛ لشدّة قباحة الفعل ظاهراً.

«فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا» «۲»

، وهو قتل الخضر للطفل الصغير الذى لم يبلغ الحلم، وفى هذا تعدّيان فى نظر موسى: أحدهما هو القتل من دون سبب مجوّز له، والآخر أنّه ما زال صغيراً ولا يؤاخذ بما يفعل فضلًا عمّا لم يأت به.

«فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا» «۳»

، فالفعل هنا ليس كسابقه؛ إذ ليس فيه تعدّى، بل عمل تبرّعى محض لمصلحة الآخرين، كما يظهر أنّ إقامة الجدار قام بها الخضر بنفسه من دون موسى، وأنّه كان دفعياً بنحو التصرّف التكوينى لا تدريجياً، لذا كان اعتراض موسى عليه بعد انتهاء العمل.

«قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِکَ سَأُنَبِّئُکَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا» «۴».

إنّ هذه الآية الكريمة توضّح لنا أنّ للخضر نوع من العلم الذى ليس لدى النبىّ موسى؛ وذلك لأنّ العلم النبوىّ هو العلم بإرادات اللَّه التشريعية، وهذا بخلاف العلم اللدنى الذى يكون لدى أولياء اللَّه الحجج، ونحن فى نفس الوقت نثبت أنّ كلّ نبىّ من حيث نبوّته قد يكون مطّلعاً على العلم اللدنى من بعض جوانبه.

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۳۶

ومن امتيازات الشريعة فى تطبيقها بدرجتها فى سنن نظام الكون والعلم اللدنى، أنّ الواجبات والأحكام يمكن تطبيقها فى دائرة واسعة

زمنية، أی یقع التزاحم بین الفعلی والمستقبلی حیث یعلم به، وکذا تشخّص الأهمّیة فی الملاک بعد ملاحظة تداعیاته وما یترتّب علیه. وهذا هو سرّ الفرق بین حکومة المعصوم علیه السلام وحاکمیته بتوسّط ما یتنزّل علیه کلّ عام فی لیلة القدر من مقدّرات کلّ شیء، وبین حکومة غیر المعصوم وحاکمیته حیث یجهل کلّ ذلک، بل فی حکومة المعصوم یُتفادی ذات التزاحم نفسه، لما فیه من التفریط ببعض المصالح الشرعیة، بخلاف حکومة غیر المعصوم فإنّه لعدم إحاطته بتداعیات الأحداث والحوادث یفرط وینفرط علیه زمام الحفظ للملاکات والحدود الشرعیة، ویقع فی سلسة من التفویت للأغراض الشرعیة تحت ضغط ظروف التزاحم المفاجئ والتدافع التی تفرض علیه بسبب عدم قدرته علی الإحاطة بخفایا الأُمور الراهنة والمستقبلیة.

وعلی ضوء ذلک تتبلور فظاعة الطغیان والکفر، کما فی مَن أحیا نفساً فقد أحیا الناس جمیعاً، کما ورد عن الصادق علیه السلام:

«ذلک تأویلها الأعظم» «۱»

الإحیاء بالمعرفة..

وهو قد ینطبق ویلتئم مع تداعیات الفعل فی سلسلة ممتدّة، کما فی إعزاء کلّ ذنوب الأُمّة إلی الأوّل والثانی.

وهناک مقولة تقول: إنّ الفقه بمعنی الکلمة- مَنْ یتوصّل إلی أغراض الشرع بدون تزاحم، ومن بعد الدرجة اللاحقة مَنْ یصل إلیها بالتزاحم، ولا تصل النوبة إلی التعارض، ومن بعد مَنْ یتوصّل إلیها بالجمع العرفی، فالتعارض هو الخیار الأخیر لمن یعجز عن الإحاطة بالدرجات السابقة.

الامامة الالهیة(۵)، ج۳، ص: ۴۳۷

وهذه المقولة تؤشّر علی أنّ کثیراً من التزاحمات المتصوّرة هی وهم تزاحم لا حقیقة، ومع تحقّقه فلا طریق إلّاالتعامل مع الملاک بشکل مقطعی، وهذا لیس إلّا لفقدان الوسیلة، لا لاختلاف التزاحم بین الشریعة بحسب درجة تطبیقها فی النظام الکونی والظاهرة.

نعم، لا یحیط غیر المعصوم بالإرادات الکلّیة حضوراً، وإنّما هو مختصّ بمن له الهدایة فی الإراءة، کما أنّه لا قیاس ولا مقارنة بین علم المعصوم بالشریعة الظاهرة وما یتوصّل إلیه الفقیه بالظنّ القاصر عن الإحاطة بکلّ الشریعة الظاهرة، بل القاصر عن الوصول إلی متن الشریعة، بل من وراء حجاب دلالة الألفاظ مع عدم إحاطته أیضاً بکلّ الدلالة ولا بکلّ تناسباتها، فمن ثمّ یقع الخطأ حتّی فی هذا المقدار المحدود من النزر الیسیر، فضلًا عن عدم إحاطته بتنزّلات الإرادات الکلّیة ومنظوماتها.

وبالجملة لا محلّ لقیاس الثری من الثریا والتراب من فلک عالم الإمکان، وقد روی العیاشی عن إسحاق بن عمّار، عن أبی عبد اللَّه علیه السلام، قال: «إنّما مثل علیّ علیه السلام ومثلنا من بعده من هذه الأُمّة کمثل موسی علیه السلام والعالم حین لقیه واستنطقه وسأله الصحبة، فکان من أمرهما ما اقتصّه اللَّه لنبیّه صلی الله علیه و آله فی کتابه، وذلک أنّ اللَّه قال لموسی: «إِنِّی اصْطَفَیْتُکَ عَلَی النَّاسِ بِرِسَالَاتِی وَبِکَلَامِی فَخُذْ مَا آتَیْتُکَ وَکُنْ مِنَ الشَّاکِرِینَ» «۱»

، ثمّ قال: «وَکَتَبْنَا لَهُ فِی الْأَلْوَاحِ مِنْ کُلِّ شَیْءٍ» «۲»

، وقد کان عند العالم علم لم یُکتب لموسی فی الألواح وکان موسی یظنّ أن جمیع الأشیاء التی یحتاج إلیها فی تابوته وجمیع العلم قد کتب له فی الألواح، کما یظنّ هؤلاء الذین یدّعون أنّهم فقهاء وعلماء وأنّهم قد أثبتوا جمیع العلم والفقه فی الدین ممّا تحتاج هذه الأُمّة إلیه وصحّ

الامامة الالهیة(۵)، ج۳، ص: ۴۳۸

لهم عن رسول اللَّه صلی الله علیه و آله وعلموه وحفظوه، ولیس کلّ علم رسول اللَّه صلی الله علیه و آله علموه ولا صار إلیهم عن رسول اللَّه صلی الله علیه و آله ولا عرفوه، وذلک أنّ الشیء من الحلال والحرام والأحکام یرد علیهم فیُسألون عنه ولا یکون عندهم فیه أثر عن رسول اللَّه صلی الله علیه و آله، ویستحیون أن ینسبهم الناس إلی الجهل، ویکرهون أن یُسألوا فلا یجیبوا فیطلب الناس العلم من معدنه، فلذلک استعملوا الرأی والقیاس فی دین اللَّه، وترکوا الآثار ودانوا اللَّه بالبدع وقد قال رسول اللَّه صلی الله علیه و آله: کلّ

بدعة ضلالة.

فلو أنّهم إذا سُئلوا عن شيء من دين اللّه فلم يكن عندهم منه أثر عن رسول اللّه ردّوه إلى اللّه وإلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم من آل محمّد صلى الله عليه و آله، والذى منعهم من طلب العلم منّا العداوة والحسد لنا، لا واللّه ما حسد موسى عليه السلام العالم وموسى نبىّ اللّه يوحى اللّه إليه، حيث لقيه واستنطقه وعرفه بالعلم، ولم يحسده كما حسدتنا هذه الأُمّة بعد رسول اللّه صلى الله عليه و آله على ما علمنا وما ورثنا عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله، ولم يرغبوا إلينا فى علمنا كما رغب موسى عليه السلام إلى العالم وسأله الصحبة ليتعلّم منه ويرشده، فلمّا أن سأل العالم ذلك علم العالم أنّ موسى عليه السلام لا يستطيع صحبته ولا يحتمل علمه ولا يصبر معه، فعند ذلك قال العالم: «وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا» «۱»

، فقال موسى عليه السلام له وهو خاضع له يستعطفه على نفسه كى يقبله: «سَتَجِدُنِى إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِى لَكَ أَمْرًا» «۲».

وقد كان العالم يعلم أنّ موسى عليه السلام لا ـ يصبر على علمه فكذلك ـ واللّه يا إسحاق بن عمار ـ حال قضاة هؤلاء وفقهائهم وجماعتهم اليوم لا ـ يحتملون واللّه ـ علمنا ولا يقبلونه ولا يطيقونه ولا يأخذون به ولا يصبرون عليه، كما لم يصبر موسى عليه السلام على علم العالم حين صحبه ورأى ما رأى من علمه وكان ذلك عند موسى عليه السلام مكروهاً وكان عند

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۳۹

اللّه رضاً وهو الحقّ، وكذلك علمنا عند الجهلة مكروه ولا يؤخذ وهو عند اللّه الحقّ» «۱».

والهداية الإيصالية شىء وراء الوساطة فى الفيض فى قوس الصعود أو هى، ومع كونها هى هل هى مختصّة بالمؤمن أو تعمّ الكافر حيث إنّ الوساطة لم يُستثن منها أحد؟

بل هى مع خصوصيات تذكر فى محلّها، والوساطة لم يُستثن منها أحد سوى أنّ الكافر لا فيض إليه وإنّما حرمان، فالوساطة وساطة فى الحرمان من تحصيله على كمالات، والواسطة فى مثل هؤلاء أئمّة الشرّ والضلال كإبليس والجبت والطاغوت.

وباختصار: إنّ السورة المباركة (الكهف) فى صدد بيان قصّة الإمامة، وإنّها ظاهرة مستمرّة لا تنقطع، وإنّ إكمال الدين ليس بالنبوّة المجرّدة عن الولاية والإمامة، فإنّها ليست الغرض الأقصى، وإنّما التمام بالهداية الإيصالية، والمتمثّلة بإمام له الولاية وإدارة جماعة خفية مهمّتهم حفظ أغراض الشريعة الظاهرة بتحقيقها سواء المرتبطة بنظام المجتمع أم المرتبطة بالفرد.

ثمّ إنّ الظاهر أفضلية موسى على الخضر من بعض الجهات؛ بقرينة تبعية الثانى لشريعة الأوّل، المستفاد من بيانه لشرعية أفعاله بموازين شريعة التوراة، وإن كان يمتاز على موسى بالعلم اللدنى للوصول إلى أغراض الشريعة.

وبيانه بشكل مفصّل يعتمد الالتفات إلى هاتين النقطتين:

النقطة الأولى: يذكر فى علم أصول الفقه أنّ القضية الشرعية الحقيقية التى ينشأها الشارع ويعتبرها، لها بعد تكوينى وهو الإرادة التشريعية، وحقيقة هذه الإرادة تكوينية تتعلّق باعتبار الحكم الذى هو فعل الشارع.

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۴۰

والإرادة التكوينية هذه كلّية من جهة أنّ متعلّقها هو الاعتبار الكلّى. بل العراقى ومن قبل النهاوندى افترضا أنّ حقيقة الحكم هى هذه الإرادات والإنشاء والاعتبار مجرّد وسيلة تخبر عن حكم اللّه الذى هو الإرادة.

ومن ثمّ سواء قلنا إنّ حقيقة الحكم الاعتبار والإرادة مبدأه كما هو الحقّ، أم قلنا إنّ حقيقته الإرادة والاعتبار مبرز وكاشف ومخبر، فالنتيجة المتوخاة واحدة، وهى أنّ التكوين ذو صلة بالاعتبار، وأنّ غطاء الاعتبار أو محكيه هو الإرادات الإلهية التكوينية الكلّية، وهذه الإرادات بحكم نظام الوسائط تتنزّل حتّى تنتهى بنفس الوحى ومن قبل النبىّ.

هذا ويذكر فى علم الأُصول أيضاً أنّ الحكم الكلّى ينحلّ عقلًا إلى أحكام جزئية شرعية اعتبارية، وكذا الإرادات الكلّية تنحلّ إلى إرادات جزئية تكوينية، وقد نبّه إلى ذلك العرفاء أيضاً، وهو الحقّ.

النقطـة الثانيـة: إنّ تنزّل الأمر والشأن منه تعالى على عالم مثل الـدنيا يتمّ عبر مراحل ولوائـح تكوينية ونشآت متعدّدة، وكلّما كان العالم والنشأة أكثر علوية كلّما كانت المتنزّلات أكثر بساطة، وكلّما توغّل فى التنزّل كلّما كان أكثر تقديراً ومحدودية وتضيّقاً.

وعلى هـذا الأسـاس نقول: إنّ النبىّ الحامل لشـريعة الظاهر تتلقّى نفسه الشـريفة التشـريع فى لوائـح عاليـة فى النشآت الغيبيـة، فهو يعلم بالاعتبارات وموجبها وهى الإرادات الكلّية التكوينية.

وأمّا حامل الولاية والشريعة فى السنن الكونية فيتلقّى الإرادات الإلهية التكوينية الجزئية فى نشآتها النازلة، كما يتلقّى الإحاطة بالإرادات الكلّيـة عن المقام الروحى للنبىّ عن مقامه الغيبى ومن ذلك يظهر اسـتحالة النبوّة مجرّدة عن الولاية كاسـتحالة تجرّد الحكم الاعتبارى الشرعى وانفكاكه عن الإرادة الشرعية،

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۴۱

فكما أنّ الحكم الشـرعى من دون إرادة إلهية مستبطنة خلفه محال، فكذلك استحالة النبوّة والرسالة من دون تعقّبها بما يليها فى المقام الغيبى وهى الولاية والإمامة.

ومنه يتّضح أنّ الشريعة لو اقتصر فيها على سطح العلم الظاهر من فقه المعارف والأحكام وهو العلم الحصولى الكسبى بالشريعة الظاهرة من دون عمق العلم اللدنى بالحقائق والإرادات الإلهية التكوينية وهو الولاية والإمامة الإلهية، لكان ذلك من قيام الاعتبار من دون نشأة الحقيقة التكوينية، وكان خيال وسراب محض، ولكن مثل الخضر عليه السلام من أقسام الولى الحجّة، وكذا مريم عليها السلام.

كما تقـدّم له الهداية الإرائية فهو محيط بالإرادات الكلّية حضوراً فكيف كان موسـى أفضل منه؟ فهو باعتبار أنّ الولى الحجّة مع النبىّ صلى الله عليه و آله المتبوع له يتلقّى فى القنوات الروحيـة عن ذلـك النبىّ يتبعه، فـالزهراء عليهـا السـلام تتلقّى فى البـاطن الروحى عن المقام الروحى لسيد الأنبياء صلى الله عليه و آله. وعلى أساس هذا الفرق يتبين أكملية النبىّ حامل الشريعة الظاهرة على التابع له الولى الحجّة الحامل للولاية وللشريعة بحسب الدرجة فى النظام الكونى.

ثمّ إنّنـا نلحظ فى قضـية الخضر أدبـاً إلهياً بعـد الالتفات إلى أنّه أسـند الأفعال تارةً إلى نفسه فى: «أَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا» لا إلى اللّه تعالى، وأُخرى إلى اللّه فى: «فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا» «۱»

، وسرّ الاختلاف كما تبينه الروايـة عن الصادق عليه السـلام أنّ فى القول الأوّل حيث كان الفعل معبّراً عن نقص فلم ينسب إليه تعالى تأدّباً، بخلاف الثانى، فلمّا لم يكن إلّاأمراً خيرياً نسب إلى اللّه تعالى.

وبهذا يمكن أن نفهم الفرق بين موسى والخضر وأكملية الأوّل على الثانى من

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۴۲

بعض الجهات.

كمـا يمكن على هـذا الأسـاس أن نسـجّل تعريفـاً دقيقـاً لكلّ من شـريعة الظاهر ونظام التكوين، فالأُولى هى الإرادات الكلّيـة التكوينية الإلهيـة المتعلّقة بأفعـال المختـار بتوسّـط تعلّقها بفعل الشارع، وهو الأمر والإنشاء والاعتبار، والثانيـة هى الإرادات الجزئيـة المنحلّـة من الإرادات الكلّية.

وهـذه القصّـة فى واقعهـا أحـد أوجه الفرق بين العلم النبوىّ والعلم اللـدنى والتى سـبق أن أشـرنا إليها، وهى أنّ العلم اللـدنى له مجال أوسع؛ إذ يشـمل أولياء اللّه الحجج وهو نوع من الاصـطفاء، ويكون مقاماً أعمّ من الإمامة وأعمّ من النبوّة، فيشـمل الزهراء عليها السلام ومريم عليها السـلام التى لها نوع من الولايـة، وبقيـة أولياء اللّه الحجج التى تشـير إليهم الآيات القرآنيـة، لـذا فهو يشـمل النبىّ والإمام والحجّة الولى.

أمّا العلم النبوىّ فإنّه يختصّ بالأنبياء، وهـذا لا يعنى التقاطع بينهما، بل إنّ النبوّة تلازم وجود شـعبة من العلم اللدنى للنبىّ دون العكس، ومن هنـا قيـل إنّ كـلّ نـبىّ ولىّ وليس كـلّ ولىّ نـبىّ؛ إذ لا- يمكن للنبىّ أن يصـل لنبوّته من دون أن تكون له شـعبة من شـعب العلم

اللدنى، ومن هنا قيل إنّ ولاية النبىّ أرفع من نبوّة نفس ذلك النبىّ، ويدلّلون فى علوم المعارف أنّ الولاية هى غيبية دائماً وتكوينية، والنبوّة وإن لم تكن ظاهرية تماماً، إلّاأنّها بالإضافة إلى ولاية ذلك النبىّ تعتبر ظاهراً.

وبتعبير آخر: أنّ النبىّ بولايته يتلقّى من البارى ويعلم بالإرادات التكوينية ثمّ فى تنزّلها تكون ظاهراً ورسالة، وهذا العلم اللدنى هو المنشأ للظاهر ولا يشمل كلّ الإرادات التكوينية، كما يأتى الإشارة مفصّلًا فى حقيقة التشريع.

أمّا التأويل الوارد ذكره فى الآية الكريمة؛ فإنّ التأويل عموماً ورد فى القرآن بعدّة استعمالات:

۱- فى سورة يوسف، تأويل الأحاديث والرؤيا، وأنّه لديه علم التأويل، وهذا

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۴۳

لا يخصّ الرؤيا كما قد يبدو لأوّل وهلة، بل يعمّ كلّ ما يرتبط بالنشأة ما قبل الدنيا.

۲- فى قوله تعالى: «يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُ» «۱»

بلحاظ نفس الوجود الخارجى لحقيقة القرآن.

۳- التأويل بلحاظ الوجودات والنشآت المختلفة، ومنه ما ورد أنّ الآخرة تأويل للدنيا.

۴- التأويل الوارد فى آية المحكم والمتشابه.

۵- التأويل الوارد فى هذه السورة، وهو تأويل ببيان الشريعة بحسب السنن الكونية الإلهية.

والتأويل مأخوذ من الأول والأوب وهو الرجوع والانتهاء، والغاية تأويل المغيا، وغاية الغاية تأويل الغاية، وهذا هو المعنى الجامع بين هذه المعانى، وهو ما يعنى تعاقب النشآت لبعضها البعض وجعل التالية غاية للسابقة، فما قبل النشأة الدنيا غايتها النشأة الدنيوية، والبرزخ والآخرة هى غاية للدنيا، وعليه لا تكون التأويلات محصورة بل تتعدّد بتعدّد النشآت، وقد يحظى الأولياء الحجج ببعض أو كلّ هذه التأويلات حسب مقاماتهم.

فى تفسير الخضر أفعاله لموسى، وقبل ذلك نعرض لنقطتين:

النقطة الأولى: على صعيد التعليلات التى ذكرها الخضر لموسى يجب التوجّه إلى:

أ- إنّ مقام التعليل الغرض منه هو إقناع الطرف الآخر، ولذا يجب أن يذكر فيه علّة مشتركة على مبنى المتكلّم والسامع.

ب- إنّ فعل الخضر كان على أساس مقام الولاية من الشريعة بحسب السنن

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۴۴

الإلهية الكونية، واعتراض موسى كان على أساس الشريعة الظاهرة من مقام النبوّة، ممّا يعنى وجود مشترك بين درجتى الشريعة بحسب الظاهر ونظام التكوين؛ وإلّا لما كان تعليل الخضر مفهوماً لموسى، مع أنّا نلحظ أنّ موسى اقتنع بل انجلى له فظاعة ما تقدّم.

ج- يستنتج من هاتين النقطتين أنّ ما علّل به الخضر هو القاسم المشترك بين الشريعة الظاهرة والشريعة فى السنّة الإلهية الكونية.

د- إنّ موسى اقتنع بما ذكر له الخضر وانجلى له صحّة الأفعال التى قام بها الخضر حتّى على مستوى الشريعة الظاهرة.

ه- ومن هنا نستنتج حقيقة مهمّة فى النسبة بين درجتى الشريعة، وهى أنّ السنّة الإلهية الكونية تطبيق للظاهرة، وأنّ النظام الكونى لا يلغى الظاهر بل هما متلاحمان، وأنّ الولاية إنجاز لأغراض النبوّة.

ومن هذه النتيجة يمكن أن نؤشّر على ظواهر انحرافية هى تلك التى ألغت الظاهر بالنظام الكونى الإلهى، أو افترضت أنّ السنن الكونية لا تفهم بالظاهر أبداً ولو بتوسّط المعصوم، أو أنكرت العلاقة بينهما وأنّها مفترضة أجنبية ومغايرة، بل ناسخية الشريعة الكونية للظاهرة، وأنّ الولاية فى الإمامة ناسخة للنبوّة بتوهّم أنّها نبوّة أُخرى، وأنّ كلّ مقام غيبى فهو نبوّة.

النقطة الثانية: من القواعد المهمّة التى تحكم الشريعة الظاهرة والتى تحتاج من الفقيه إلى تدبّر وتمعّن فى الموازنة بين الأحكام الظاهرية، هى حالة التصادم بين الأحكام المختلفة وأى حكم يجب تقديمه فى هذا المقام، وهو المعروف بين الفقهاء بالتزاحم، وقد

ذكرنا مفصّلًا فى بحث علم أصول الفقه التزاحم فى الملاكات وفى مقام الامتثال والضوابط التى يجب مراعاتها فى تقديم أى الملاكين، وقد أشرنا هناك إلى أنّ ما ذهب إليه العامّة من بحث المصالح المرسلة

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۴۵

وسدّ الذرائع ما هو إلّانوع من التطبيق لمبدأ التزاحم، واختلافنا معهم فى كيفية استكشاف الملاكات وفى طريقة التقديم، فهم قد اكتفوا بالملاكات الظنّية والتقديم الظنّى أو جعلوا ذلك ضابطة للتشريع الثابت.

وسوف نلاحظ أنّ الأفعال التى قام بها الخضر هى من باب التزاحم والسعى إلى حفظ الملاكات الواقعية التى خفيت عن النبىّ موسى، والتى لو كان قد علم بها لما اعترض عليه:

أوّلًا: خرق السفينة ... ص: ۴۴۵

وهاهنا سؤالان:

الأول: كيف ينسجم التعليل مع موازين الظاهر؟

الثانى: مع الانسجام ما هو الواقع فى السنن الإلهية الكونية الذى اختصّ به الخضر؟

ففى هذا الفعل كان هناك ملاكاً مهمّاً سعى الخضر إلى المحافظة عليه؛ وهو حفظ مال المساكين من سطوة الحاكم الظالم، وهذا لم يكن موسى على علم به، ثمّ فى مقام التطبيق كان الأمر يدور بين عطب السفينة وبين تعييبها؛ إذ فى كلاهما يتحقّق الغرض، ومن الواضح أنّ المحافظة على الكلّ أولى من المحافظة على البعض، فالخضر عمل بقاعدة التزاحم وهذا من موازين الظاهر أيضاً، لكنّه اختصّ بعلم وجود مصاديق التزاحم من اغتصاب الملك الظالم لكلّ سفينة.

ثمّ فى كيفية التصرّف الذى قام به الخضر من دون إذن أصحابها، فيمكن القول فيه: إنّ التصرّف العقدى يحتاج إلى إذن صريح ورضا بالإنشاء، أمّا التصرّف المجرّد غير العقدى كالأكل والشرب- فلا يحتاج إلى ذلك بل يكتفى فيه بالعلم بطيب النفس وإن لم يكن المالك ملتفتاً، ومن هنا تظهر النكتة فى أنّ إذن الفحوى

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۴۶

لا يحتاج إلى إبراز إنشائى، ومن الواضح أنّ المالك لو خير بين تلف العين أو صفة العين فإنّه سوف يختار الثانى.

فنلاحظ أنّ الخضر بالعلم اللدنى علم أنّ الملك سوف يأخذ كلّ سفينة غصباً، فهو إعمال للعلم اللدنى فى تطبيق الشريعة الظاهرة، وهذا هو الحدّ الذى تعطيه الآية فى العلقة بين الشريعتين، أو بتعبير أدق بين درجتى الشريعة، أى أنّ الشريعة بحسب السنّة الإلهية الكونية ومقام الولاية تسعى إلى التحفّظ على الملاكات فى الشريعة الظاهرة ومقام النبوّة بنحوٍ لا يقبل الخطأ، وتكون مصيبة دائماً.

ثانياً: قتل الغلام ... ص: ۴۴۶

والإشكال فيه كما ذكرنا سابقاً من جهة الاقتصاص قبل الجريمة، وكونه غلاماً لم يبلغ الحلم.

والجواب عنه نقضاً وحلّاً:

أمّا النقض فبوجود موارد يوجد فيها جواز للقتل من دون جرم، كما فى حالات تترّس الكفّار بالمسلمين فى الحرب فيجوز عند استهداف الكفّار للقتل حينئذٍ قتل المسلمين. وكما فى حالات الدوران- على بعض الأقوال الفقهية وإن لم يكن تامّاً عند المشهور المنصور من الرأى الفقهى- بين حفظ النفس ونفس أُخرى أهمّ ملاكاً من الأُولى، فيرفع اليد عن وجوب حفظ أحد النفسين، ويحافظ على النفس الأهمّ.

أمّا الحلّ: إنّ قوانين التزاحم التى تحكم الشريعة الظاهرة هى مختصّة فى الحكمين الفعليين، أمّا فى شريعة السنن الإلهية الكونية فإنّ

التزاحم يطبّق حتّى فى موارد الشىء الفعلى والآخر المستقبلى، وهذا ما يحدث فى العلم اللدنى حيث يرى أنّ الملاک الأهمّ بمراتب وإن كان ليس بفعلى يتصادم مع الملاک

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۴۷

الفعلى، وهذا وإن لم يكن ميزاناً فى ظاهر الشريعة لعدم حصول العلم بالشىء المستقبلى لاسيما إذا كان متمادياً فى طول الزمان.

والروايات تشير إلى أنّ اللّه أبدلهما ببنت تزوّج منها نبىّ من أنبياء اللّه وتسلسل منه سبعون نبيّاً، فلو بقى هذا الغلام لكان سبباً فى كفر الأب، وبالتالى انقطاع النسل النبوىّ، وهذا لا يمكن استعلامه بالشريعة الظاهرة، بل يتمكن منه من أُوتى العلم اللدنى.

ثالثاً: الجدار ... ص: ۴۴۷

إنّ إشكال موسى هنا لم يكن فى مؤاخذة إلزامية، بل كان لترک ما هو الأولى والأرجح.

ويلاحظ من التعليل الوارد فى هذه الآية الشريفة أمران:

أ- إنّ الإرادة الإلهية ليست من سنخ إرادة اللّه (كن فيكون)، بل إرادة فى واقعها تتحقّق بالاختيار البشرى، وبتوسّط البشر لا بتوسّط الملک أو مخلوقات أُخرى.

ب- إنّ الملاک الأهمّ الذى أراد اللّه عزّوجلّ حفظه هو ملاک ندبى، وهو كون أبيهما صالحاً، فأراد الحقّ تعالى إكراماً لهذا الأب الصالح أن يحفظ بصلاحه ذرّيته.

وهنا ننتقل للقول بأنّ الإرادة الإلهية كان لها هذا الدور من خلال هذه المنظومة فى حفظ هذه الأغراض التى ليس لها تلک الأهمّية الإلزامية وتتّصف بالشخصية، فكيف بتلک الأغراض الجادّة المهمّة التى تؤدّى إلى انعطافات مهمّة فى الدين والشريعة، فهذا يدلّنا على وجود مجموعة من الأولياء ورجال الغيب الذين لهم تلک الخصوصية من الاطلاع على العلم اللدنى وتكون وظائفهم حفظ الأغراض التى يوليها الشارع تلک العناية، وأنّ الحقّ تعالى لا يوكل الأمر إلى مجموع

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۴۸

الاختيار البشرى، بل إنّ هذه المجموعة هى التى تسعى بالمجموع للوصول إلى مقاصد الشريعة.

والأمر المهمّ الذى نستفيده من هذه التعليلات أنّ الشريعة الكونية والسنن الإلهية التكوينية تطبيق للشريعة الظاهرة، وأنّ الهداية الإيصالية فى الشريعة الكونية هى إقامة خفية للشريعة الظاهرية، فلا يُكتفى بالهداية الإرائية، بل تكون إلى جنبها الهداية الإيصالية، وأن لا تترک الأُمور إلى الصدف، بل تكون هناک يد غيبية لأجل المحافظة على تحقيق الأهداف والأغراض.

وقوله تعالى «عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا»، يؤكّد أنّ الخضر ليس وحيد سنخه، وإنّما هنالک منظومة من الأبدال والأوتاد والأولياء قد زوّدوا بالعلم اللدنى، وأنّ من جملة وظائفهم تحقيق الأغراض التى هى الملاكات وغايات الشريعة الظاهرة.

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۴۹

فوائدالفائدة الأُولى: حقيقة التشريع ... ص: ۴۴۹

اشارة

إنّ قضية الخضر مع النبىّ موسى وما اختصّ به كلّ منهما من الكمالات يستدعى التعمّق قليلًا فى بيان حقيقة التشريع السماوى الذى أوتيه النبىّ موسى عليه السلام وحقيقة العلم الذى أوتيه الخضر، وأنّ هذه القصّة لا تدلّ على أفضلية الخضر على النبىّ موسى من كلّ

جهة، بل هو تابع له فى شريعته السماوية.

لقد سعى الأصوليون خلال سنين متعدّدة إلى تركيز النظر فى حقيقة الحكم الشرعى والمراحل التى يمرّ بها، وإذا كان تسليط الضوء على أحكامه فى الفترة التى تعقب صدوره من الناحية المقدّسة عن طريق الرسول صلى الله عليه و آله، فإنّ المراحل التى تسبق مرحلة الإنشاء كانت أيضاً محلّ بحث وتأمّل بين العلماء، وكان السؤال الذى دار فى أذهانهم ما هو الارتباط بين عالم الاعتبار وعالم التكوين؟ وهل هما منفصلان بعد المفروغية من أنّ الاعتبار يستتبعه التكوين والفعل الخارجى لكنّ الكلام فى المرحلة السابقة؟

* فذهب جمهرة من الأصوليين إلى أنّ الإرادة الإلهية التكوينية هى الأساس لهذا التشريع والاعتبار، بمعنى أنّ وراء الاعتبار إرادات تكوينية متعلّقها ليس الفعل الخارجى، بل متعلّقها إنشاء الحكم واعتباره، وهى بالتأكيد تسبق الاعتبار والحكم التشريعى، وكلّيتها متعلّقها هو الاعتبار والإنشاء أو جعل حكم كلّى.

وذهب المحقّق النهاوندى فى تشريح الأصول إلى أنّ الأحكام الشرعية ليست

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۵۰

أحكاماً اعتبارية، بل هى إرادات تكوينية تشريعية، ومتعلّقة بفعل المكلّف، وتبعه المحقّق العراقى. وأنّ الأحكام الشرعية التكليفية إرادات تكوينية سابقة على النشأة الأرضية، والإنشاء مجرّد وسيلة تخبر عن حكم اللَّه الذى هو الإرادة.

وعلى كلّ حال، فسواء جعلنا الإرادة التكوينية هى منشأ الشريعة الظاهرة أو أنّها هى، فإنّ هذه الإرادات ليست حالة فى الذات، بل هذه الإرادات بحكم نظام الوسائط تتنزّل من اللوح والقلم. حتّى تصل إلى نفس النبىّ أو الوصىّ أو الولىّ الحجّة، وأن إراداتهم هى إرادة اللَّه ومشيئاتهم مشيئات اللَّه.

* نبّه الأصوليون إلى أنّ الأحكام قسمان: الشرعية الاعتبارية والأحكام التكوينية. فالأُولى تكون على صيغة القضايا الحقيقية، وهى تنحلّ إلى قضايا جزئية فى موارد عديدة، وبالمقابل فى الأحكام التكوينية، أى أنّ الأحكام التكوينية الكلّية تنحلّ إلى أحكام تكوينية جزئية تكون وراء كلّ حكم شرعى جزئى، وقد نبّه أهل المعرفة على ذلك.

* وقد أشارت الروايات وفسّرها أهل المعرفة والحكمة- إلى أنّ الأمر والشأن من اللَّه فى تنزّله إلى العوالم السفلية يتمّ عبر مراحل، ويعبّرون أنّها تتمّ عبر لوائح تكوينية وأقلام تكوينية، وكلّما كانت النشأة أكثر علوية كانت الإرادات الإلهية فيها كلّية، وكلّما تنزّلت هذه الأوامر الإلهية فى اللوائح النازلة كلّما ضيّقت وقدّر وصارت ليلة القدر أى ليلة التحديد.

* إذا التفتنا إلى النكات السابقة نستطيع معرفة الفارق المحورى بين الشريعة فى الدرجة الظاهرة والكونية ونظام التكوين، وبين مقام صاحب الشريعة بالدرجة الظاهرة، وبين مقام صاحب شريعة السنن الكونية الإلهية.

فإنّ النفس النبويّة تتلقّى الإرادات الكلّية التشريعية الإلهية فى لوائح ونشآت عالية، ويكون لها علم بتلك الإرادات التكوينية الكلّية، أمّا صاحب النفس الولوية

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۵۱

والشريعة الكونية فإنّه يتلقّى الإرادات الإلهية الجزئية التكوينية فى اللوائح والنشآت النازلة.

وبناءً عليه نرى أنّ الذى يطّلع على تلك الإرادات الكلّية يكون أفضل مقاماً من الذى يطّلع على الإرادات الجزئية فقط، ولا يكون له اطّلاع على تلك الكلّيات إلّا من خلال الإرادات التشريعية الواردة عن طريق النفس النبويّة، ومن هنا نقول إنّ هؤلاء الأولياء الحجج يكونون تابعين لصاحب الشريعة النبىّ الذى فى زمانهم؛ وذلك لأنّ تلك الإرادات الكلّية تكون عن طريق تلك النفس النبويّة فى عهده.

ومن ثمّ إنّ النبىّ الخاتم صلى الله عليه و آله يكون واسطة فى تلقّى الأئمّة عن طريق الملكوت والأرواح التى هى مرتبطة بعالم الأمر والملكوت، لا عن طريق الحسّ والظاهر.

وبتفاوت النبوات وأفضليتها تتفاوت مقامات التابعين والأولياء، ويمكن أن نفهم الفرق بين موسى والخضر وأكملية الأوّل على الثانى، مع عدم علم موسى ببعض ما عند الخضر.

كما يظهر تعريف آخر للشريعة الظاهرة: أنّها الإرادات الكلّية الإلهية ومتعلّقها أفعال المكلّفين المختارين بتوسّط تعلّقها بفعل الشارع وهو الأمر والإنشاء والاعتبار. والشريعة فى السنن الإلهية الكونية: أنّها الإرادات الجزئية المنحلّة من تلك الإرادات الكلّية «۱».

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۵۲

كما يعلم الحال فى غير المعصومين وأنّ فقهاء الشريعة إنّما يصلون إلى الحكم الظاهرى فى الشريعة الظاهرة عن طريق الطرق والإمارات الشرعية، بينما النبىّ يكون له اطّلاع مباشر على الإرادات التكوينية الكلّية، أمّا الفقيه فلا يحيط بذلك فضلًا عن الاطّلاع على الإرادات الجزئية، ويفهم من ذلك أنّ مجرّد الحصول على الملكة الكسبية لا يعنى الاطّلاع والوصول إلى تلك الإرادات الكلّية ولا الجزئية، فلابدّ أن يكون تابعاً إلى صاحب الولاية.

الفائدة الثانية ...: ص: ۴۵۲

وتتضمّن تحليل أدبى لغوى فلسفى لأدب من الآداب الإلهية، أشار إليه الإمام الصادق عليه السلام فى رواية ذكرها صاحب نور الثقلين، وهى تتعلّق بملاحظة طريقة تفسير الخضر لأفعاله واختلاف نسبة الأفعال فى الوقائع الثلاث، ففى قصّة السفينة قال: «فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا»، وفى قضية القتل قال: «فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا* فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا» «۱»

، وفى واقعة الجدار قال: «فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا»....

فنلاحظ أنّه تارةً يسنده إلى نفسه، وتارةً للمجموع، وثالثةً للّهعزّوجلّ، والملاحظ أنّه فى الأفعال الخيرة يسند الفعل للّهعزّوجلّ، وفى الأفعال التى ظاهرها النقص يسندها إلى نفسه أو إلى من هو مثله. فالإعابة والقتل والخشية من أفعال الآدميين، والإرادة والإبدال هى من أفعال اللّه عزّوجلّ، فمع أنّ الكلّ من عند اللّه عزّوجلّ إلّاأنّه فى مقام التأدّب معه تعالى لا يسند ما ظاهره النقص له

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۵۳

تعالى.

أمّا المجموع فى (فخشينا) فلا يمكن أن يريد الخضر نفسه، والجمع بلحاظ التفخيم؛ وذلك لأنّ الخضر لا يفخّم نفسه فى قبال اللّه تعالى، ولا أيضاً فى قبال موسى، مضافاً إلى أنّه فى الشريعة للسنن الكونية الإلهية يُراعى دقّة الحقائق لا المجازات، وإذا أخذنا فى عين الاعتبار ما ورد فى صدر القصّة من عبادنا، فنعلم أنّ المراد من الخشية هنا هو مجموع رجال الغيب، وهى مجموعة تسالمت المذاهب المختلفة على وجودها وإن اختلفت تسميتها من الأبدال والأوتاد والسياح والأركان، وأنّ هذا العلم لا يختصّ بالخضر بل إنّ تلك العلوم يزوّد بها رجال هذه المنظومة، فهم وإن كانوا غير موكّلين كلّهم بهذه المهمّة إلّاأنّ العلم بهذا العلم يولد خشية لدى الجميع، وإن كان التنفيذ مختصّاً بواحد منهم، وكأنّه ينوب عنهم فى تأدية هذا الفعل.

إنّ هذا الأدب الإلهى الذى أشرنا إليه فيما مضى أيضاً فى طلب موسى من الخضر وإجابة الخضر له، إنّما يدلّ على جذر عقائدى يدعم ويولّد تلك المعرفة التى يكون تلفّظ الإنسان بها وخطابه مع الذات المقدسة بما يتلاءم مع مقام الذات وتنزّهها عن المعايب والنواقص، وقد أشار علماء المعرفة إلى هذه النكتة فى موارد عدّة، مثلًا فى صفة الكرم يرجعونها إلى أنّ الاعتقاد بحسب الفطرة بأنّ فيض وجود اللّه عزّوجلّ وكمالاته غير متناهية، فالرزق والعطاء لا يكون محدوداً، ومنه ينشأ صفة الكرم.

وهكذا صفة الشجاعة فهى تعود إلى مقام توحيدى بالاعتقاد بأنّ القدرة الحقيقية كلّها ترجع إليه سبحانه، وبالتالى لا يكون هناك أحد مالكاً للقدرة إلّا بإقدار منه، فينشأ من هذا الاعتقاد عدم خشية الإنسان من أحد، وإذا شاهدنا أمثال هذه الصفات من أحد فإنّها تنمّ عن

مقدار من التوحید بنحو الإجمال البسیط فی

الامامة الالهیة(۵)، ج۳، ص: ۴۵۴

فطرته، بل ما ورد فی سورة البلد یدلّ علی أنّ الصفات الحمیدة دالّة علی الإیمان:

«فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ* وَمَا أَدْرَاکَ مَا الْعَقَبَةُ* فَکُّ رَقَبَةٍ* أَوْ إِطْعَامٌ فِی یَوْمٍ ذِی مَسْغَبَةٍ* یَتِیمًا ذَا مَقْرَبَةٍ* أَوْ مِسْکِینًا ذَا مَتْرَبَةٍ* ثُمَّ کَانَ مِنَ الَّذِینَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ» «۱».

ولا یخفی أنّ هذا الأدب لیس مجرّد مجاملات شکلیة، وإنّما یعتمد أساساً علی قاعدة تمّ مراعاتها من قبل الخضر، وهو ما أشار إلیه القرآن من نسبة السیئة إلی العبد ونسبة الحسنة إلی اللَّه مع کون کلّ منهما من عند اللَّه.

الامامة الالهیة(۵)، ج۳، ص: ۴۵۵

المقالة الثانیة التصدّی الفعلی الخفیّ للإمام فی عصر الغیبة لإدارة وتدبیر النظام الاجتماعی البشری ... ص: ۴۵۵

اشارة

وهذا التصدّی الفعلی الخفی السریّ المستتر لیس خاصّاً بعصر الغیبة ولیس خاصّاً بالإمام المهدی (عج)، بل هو من لدن إمامة آدم علیه السلام وأوصیائه، وإمامة نوح وإبراهیم إلی إمامة سید الأنبیاء صلی الله علیه و آله قبل بعثته وأثناء حکومته الظاهریة، وأمیر المؤمنین علیه السلام قبل حکومته الظاهریة وأثناءها أیضاً، وکلّ الأئمّة علیهم السلام إلی عهد إمامة المهدی (عج) فی عصر غیبته، ونلحظ هذه الحقیقة فی شؤون الإمامة الإلهیة من خلال نموذج الخضر.

فنلحظ أنّ الخضر قد نسب ثالثة الفعل إلی المجموع فی قوله (فخشینا، فأردنا)، وهو ینسجم مع قوله: «عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا» الظاهر فی أنّ الخضر واحد من مجموعة قد زوّدوا بالعلم اللدنی وکُلّفوا للمحافظة علی أغراض الشریعة الظاهرة بتطبیقها، فالخشیة هی خشیة المجموع، وإرادة الجمیع تدلّ علی أنّ ما قام به الخضر واجب کفائی قد انبری الخضر لأدائه.

بعد کلّ هذا. یمکن أن یسجل هذا السؤال معترضاً علی فکرة الولایة و (النزعة الملکوتیة والخفاء) فی الإمامة، وفکرة الجماعة المزوّدة بالعلم اللدنی الموظّفة بما ذکرناه والتی یدیرها الإمام علیه السلام، وفکرة أنّ قوام الإمامة المقوّم لها هو الهدایة الإیصالیة.

الامامة الالهیة(۵)، ج۳، ص: ۴۵۶

والسؤال: إنّ ما ذکر لا یظهر من الکتاب والسنّة المستفیضة، وهو لا یعدو تنظیر الصوفیة، والذی خلاصته: تشابک الأرواح والنفوس علی شکل منظومة هرمیة تستبطن عدة خلایا ترتبط جمیعها بالإمام، والذی اختلفت تعبیراتهم عنه بین القطب والغوث والإمام.

وقد جاء ما یوازی هذا الفهم فی تعبیر الفلاسفة والذی برهنوه عقلًا- بسلسلة الارتباط العلی الوجودی.

ومعه لا یمکن أن تأخذ هذه الأُطروحة مجالها فی الفکر الشیعی ما لم تصبغ بصبغة دینیة وتکون ذات غطاء قرآنی روائی، وهو مفقود.

ومن ثمّ لابدّ من الاقتصار علی أنّ الإمامة منصب إلهی یعنی المرجعیة الدینیة (الهدایة الإرائیة) والزعامة السیاسیة، مع قبول ارتباطه بالغیب وتزویده بالعلم اللدنی؛ فإنّ هذا القدر هو الظاهر من القرآن والسنّة.

والجواب: إنّ الموجود عند الصوفیة لا- یتجاوز بذوره ومبدأ نشأته القرن الثالث، بل بلورته کنظریة جاءت فی أواخر القرن السابع وبدایات القرن الثامن، مع أنّ الروایات فی هذا المجال أسبق بکثیر من هذا التاریخ فضلًا عما فی القرآن وکلمات الرسول صلی الله علیه و آله والأمیر علیه السلام وبقیة الأئمّة علیهم السلام بل إنّ معظم ما لدی الفرق الصوفیة والعرفاء هو طفیل وولید عن فرق الغلاة الشیعیة التی ظهرت فی النصف الثانی من القرن الأوّل وفی القرن الثانی والثالث الهجری، بینما فرق الصوفیة متأخّرة زمناً عن فرق الغلاة، بل إنّ

سلسلة مشايخ الصوفية جلّها تنتهى إلى غلاة الشيعة وجملة من هؤلاء الغلاة لا كلّهم- كانوا أصحاب سرّ فى المعارف لدى أئمّة أهل البيت عليهم السلام- غاية الأمر لم يحالفهم الحظ أن يبقوا على الاستقامة، كما حصل مع بلعم بن باعورا حيث آتاه البارى تعالى بعض حروف الاسم الأعظم: «آتَيْنَاهُ

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۵۷

آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا» «۱».

فلم يكن خلاف الحكمة الإلهية إعطاءه الآيات من الاسم الأعظم مع علم البارى فى الغابر أنّه لن يستقيم، ولكن الإعطاء الغيبى من البارى لبلعم بن باعورا حجّة عليه بعد استحقاقه فى ظرف الاستقامة للعطية الغيبية الإلهية، وفى ذلك حكم أُخرى منه تعالى، مثل تنبيه البشر على أنّ من يتّق اللّه يجعل له فرقاناً، واتّقوا اللّه يعلمكم، أى تنبيههم على وجود علوم غيبية ليست فى متناولهم.

وأنّ نشأة الغيب نشأة لا تنزف ولا تنفذ كما ورد فى الحديث القدسى:

«لأعطين الحكمة من زهد فى الدنيا، فأمّا المؤمن فهى حجّة له، وأمّا الكافر فهى حجّة عليه» «۲».

هذا وغيره هو وجه الحكمة فى تربية أهل البيت عليهم السلام بعض أصحاب السرّ أيام الاستقامة مع علمهم بما سيؤول حال أُولئك الأصحاب، هذا مع أنّ جملة كثيرة أُخرى من أصحاب السرّ بقوا على الاستقامة، كسلمان الفارسى وكميل بن زياد النخعى وميثم التمّار ورشيد الهجرى وحبيب بن مظاهر وجابر بن يزيد الجعفى ويونس بن عبد الرحمن وذريح المحاربى، وغيرهم.

وعلى أى تقدير، فما عند الصوفية من سمن إذا فصل عن الغثّ، أو صواب أسرار المعرفة فإنّما تلقوا وأخذوا جذوره من فرق الشيعة، ومن ثمّ قالت أهل سنّة الخلافة وجماعة السلطان عن الصوفية والتصوّف إنّه قنطرة التشيع.

وبالإضافة إلى أنّ الصوفية لا يعدون ذلك من مبتدعاتهم أو ما ثبت لهم بالمكاشفة فقط، وإنّما ينسبون ذلك إلى أمير المؤمنين عليه السلام.

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۵۸

وبالتالى فما ذكرناه لا يمثّل اختراقات الفكر الصوفى السنّى للفكر الشيعى، وإنّما هو تأثيرات الفكر الشيعى على الفكر السنّى المتمثّل بهذه الطبقة.

ومن ثمّ نفهم الحسّاسية البالغة عند فقهاء السنّة ومحدّثيهم من صوفيتهم، حيث تجرّ أطروحة الصوفيين الفكر السنّى إلى الفكر الشيعى، وتجعل من مبدأ الإمامة الشيعى ضرورة، فحاولوا الطعن عليهم بأنّهم متأثّرون بالاتّجاه الباطنى وهو الشيعة، مستهدفين بذلك تجريد الأُطروحة من الدليل والشرعية.

فقد جاءت الباطنية فى كلماتهم فى سياق الذمّ وأنّها منقصة، ومن ثمّ نسبوها إلى أئمّة أهل البيت، حتّى قال بعضهم: إنّ نسبة الباطنية إلى علىّ عليه السلام لها وجه، وأمّا نسبتها إلى جعفر بن محمّد فلا ريب فيها.

وقد غفل هؤلاء عن أنّ ما ذكر مديح للأمامية بأنّهم يؤمنون بالغيب، وأنّ فكرة الباطنية بمعنى الاعتقاد بعالم ونشأة الغيب والارتباط به واشرافه على عالم الشهادة من دون التنكّر لعالم الغيب، كما هو مذاق المادّيين الحسّيين، هى أطروحة الشيعة لا من مستورداتهم، سوى أنّ هذه الفكرة قبلتها الشيعة بالشكل الذى مرّ، وهو حفظ التوازن بين البطون والظهور وعدم تغليب أحدهما على حساب الآخر، وبين التأويل كحقيقة قرآنية بيد الراسخين فى العلم وهم أهل آية التطهير وبين ظهور الكتاب وبين تنزيل الكتاب فى المصحف الشريف بين الدفّتين وبين القرآن المجيد فى نشأة اللوح المحفوظ والكتاب المكنون الذى لا يمسّه إلّا المطهّرون والكتاب المبين الذى يستطرّ فيه كلّ شىء الذى هو حقيقة قرآنية يجب الإيمان بها على حدّ الإيمان بالمصحف بين الدفّتين، وإلّا لكان من الإيمان ببعض الكتاب والكفر بالبعض الآخر.

فالباطن والبطون هو الغيب الذى ليس منالًا لكلّ أحد كما يدّعيه الصوفية، بل هو فى موقعه القطبى المركزى خاصّ بعترة النبىّ

المطهّرة، فالإيمان بالظاهر دون الباطن كالإيمان بعالم الشهادة والكفر بعالم الغيب ومن الإيمان بالحسّ والإنكار

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۵۹

بما وراء الحسّ كما يصنع أصحاب مدرسة الحسّ والمادّة، غاية الأمر أنّ البطون وورود هذه العوالم الغيبية لا تتسنّى إلّالمن شهد له القرآن بالقدرة على ذلک، وهم المطهّرون أهل آية التطهير، وأمّا غيرهم فلابدّ من إقامة البرهان وميزان الدلالة فى الوصول إلى بعض المعانى المحدودة اليسيرة من التأويل.

وأمّا دلالة الكتاب والسنّة على ما ذكر من معنى الإمامة الإلهية مضافاً إلى ما تقدم فى الفصل الثالث من الجزء الأوّل من شواهد قرآنية من الكتاب والسنّة القطعية والأدلّة العقلية والفطرية، نشير إلى شواهد أُخرى على هذا التوسّع والإضافة فى معنى الإمامة الإلهية الذى نحن بصدده فى هذا الفصل.

الشاهد الأوّل: قوله تعالى: «وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَآءَ»... «۱»

، فإنّ الخليفة عنوان من عناوين الإمام المدبّر المتصرّف فى الأرض وبجعل تكوينى إلهى، كما تقدّم فى الفصل الثالث شرح هذه الآيات مبسوطاً. وموضع الاستشهاد فى المقام يتبين عبر النقاط التالية:

الأولى: هو أنّ أوّل تعريف ذكره البارى للخليفة هو ذكر اعتراض الملائكة (الافساد فى الأرض، وسفك الدماء) بمثابة الجنس والفصل لتعريف الخليفة، فما هى الصلة الوثيقة بين تعريف الخليفة والإمام فى الأرض وبين هذين الاعتراضين؟ فلابدّ ثمّة من ارتباط وثيق بينهما أراد أن يتبّه البارى تعالى عليه حيث إنّ القرآن الكريم فى مقام تعريف الخليفة والإمام.

الثانية: إنّ اعتراض الملائكة بالإفساد فى الأرض وسفك الدماء لابدّ أن يراد منه المقدار الغالب من الافساد وسفك الدماء بمقدار أكثرى؛ وذلک لأنّ الفساد الأقلّ

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۶۰

فى مقابل الإصلاح والصلاح الأكثر ليس مذموماً بل راجح، كما أنّ سفک الدماء القليل بالقياس إلى مجموع عدد البشرية الكبير وبنحو مانع عن انقراض النسل ليس قبيحاً، بل حسن، فلابدّ أن يكون مصب الاعتراض هو بالفساد الكثير وسفک الدماء الأكثر، أى الشرّ الكثير فى مقابل الخير القليل، لا الاعتراض بالشرور القليلة فى مقابل الخيرات الكثيرة، فهذا المعنى هو الذى اعترض به الملائكة على جعل الخليفة.

الثالثة: إنّ من الواضح أنّ المجىء بالاعتراض الملائكى والمحذور الذى تخوّف منه الملائكة فى أصل سياق تعريف خليفة اللّه فى الأرض هو لبيان أنّ هذا الخليفة من أبرز خواصه ومهامه وآثاره أنّه بوجوده دارئ ممانع عن وقوع هذا المحذور، وذلک عبر عملية استخلافه وتصرّفه من قبل اللّه أى قيامه بالتدبير فيما استخلف فيه، فبتدبيره وتصرّفه فى الأُمور يحول دون انفراط النظام الفطرى الإلهى للنظام الاجتماعى البشرى، وبذلک يحول دون وقوع الفساد والإفساد فى الأرض فى كلّ المجالات، سواء البيئى والصحّى والزراعى والاقتصادى والأخلاقى والأمنى والعسكرى والتجارى، وكذلک يحول دون وقوع سفک الدماء الغالب المبيد للنسل البشرى.

فهو بتدبيره فى النظام العام يقوم بمهمّة الاستخلاف وهى حكومة النظام العالمى البشرى فى ضمن حكومة موحّدة تدفع بالنظم البشرية فى البلدان إلى تقارب نظام عالمى موحّد على أساس الفطرة البشرية والرعاية الإلهية والعناية السماوية، ومن ذلک يظهر سرّ نزول كلّ ملفّات التقدير والقضاء سنوياً فى ليلة القدر على صاحب الأمر، والذى قد تقدّم مفصّلًا بيانه فى الرافد الخامس، فإنّ هذا الكم المعلوماتى الهائل عن وضع البشرية السنوى فى كل عام الذى لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلّاأحصاها فى جدول إحصائى لسياسات الحكومة الإلهية يقوم

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۶۱

برئاستها ولى الأمر فى ليلة القدر.

من ذلك يتّضح أنّ الملف القرآنى لليلة القدر بمجموع السور والآيات المتعرّضة لحدث ليلة القدر فى كلّ عام وما يتنزّل فيها هو دليل مستقلّ برأسه على هـذه المهمّة الخطيرة الموكلة لولىّ الأمر الإمام المعصوم عبر الاستخلاف الإلهى، إذ إرسال هذا الحجم الخطير من المعلومات الحسّاسة عن الوضع البشرى فى كلّ شؤونه لكلّ سنة مستقبلة فى ليلة القدر هو عمل من الاستراتيجيات الأوّلية فى الحكم والحكومة للنظام البشرى، وبنية ضرورية أساسية من أركان الحكومة فى منظومة الاجتماع البشرى.

وبتوسّط ذلك الملف من المعلومات وعبر المنظومة الخفية لجهاز الحكم يتمّ إنجاز وإنفاذ السياسات الإلهية فى حكم والحكومة على النظام البشرى بحيث يحول دون وقوع الفساد والإفساد الغالب فى شتّى مجالات النظم البشرية.

وربما يُطرح فى المقام تساؤلان:

الأوّل: إنّنا نرى ونشاهـد فى طيلـة التاريخ البشـرى مظاهر وأنظمة من الفساد والافساد فى الأرض وأنواع الظلم العاتى والحروب المبيدة للنسل البشـرى، وفى عصـرنا الراهن البشـرية فى شتّى البلـدان قابعـة تحت أنظمـة الظلم والجور والعـدوان، إضافـة إلى تحريف الأديان وابتداع المذاهب والسنن الباطلة، وتفشّى الزيغ والأهواء، فأين هذا الحائل، وأين الطامس لآثار الزيغ والعدوان وأين المبيد للظلمة وأين صاحب راية الهدى؟

الثانى: إنّه على ضوء وجود مثل هـذا التصـدّى من قبله (عـج) لتدبير أُمور البشـرية فما الفرق بين التدبير الخفى فى الغيبة وبين حكومته المباركة بعد الظهور، لاسيما أنّ ظهوره بعد أن تُملئ الأرض ظلماً وجوراً، وذلك يعنى وقوع المحذور الذى تخوّفت منه الملائكة ولو فى برهة من الزمن؟ كما أنّه مع وجود هذا التدبير

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۶۲

الخفى من قبل جميع الأئمّـة عليهم السلام فأى معنى لإزوائهم عن سدّة الحكم والتصـرّف فى الأُمور؟ ولماذا لم يستطيعوا بهذا التدبير الخفى إرجاع الأُمور إلى نصابها؟

والجواب: إنّما يُلاحظ فى تاريخ البشـرية إلى عصـرنا الحاضـر رغم كلّ سلسلة الطغيان وسفك الدماء والعدوان والجور فى المجالات العديدة والبقاع المختلفة، إلّا أنّه لم يكن بطابع الحالة المستمرّة، بل نرى الإصلاح ينقض عليه وإن كان نسبياً فلا يبقيه، كما لا يدع له مجالًا لأن يكون غالباً، وكذلك الحروب التى اصطلت بها البشرية ما كانت تتمادى لتفنى النسل البشرى.

بل إنّ سلسلـة وقافلة ومسار الرقى الفطرى البشرى وحاكمية القيم الفطرية على العقل والوعى البشرى آخذة فى الازدياد جيلًا بعد جيل، وإن كانت ممارسة أصحاب القدرة والحكومات الوضعية يزداد بها المارد الشيطانى عتوّاً وفساداً ويعيثون فى الأرض عدواناً وفجوراً، وبـذلك نلحظ أنّ الفسـاد ليس هو الأـغلب؛ فقـد مرّت البشـرية فى عصور مظلمـة مدلهمـة لكن لاـ يتمّ لها الإصـلاح والتطوّر الشامل الكامل والمدينـة الفاضلـة المثاليـة إلّابتسلّم خليفـة اللّه فى أرضه زمام كافّة مقاليد القدرة والإدارة فى كلّ مراتبها وشؤونها ولا تقتصـر على المرتبة الخفية، وستأتى الإشارة فى الروايات المروية من الفريقين إلى ذلك وتتمّة إيضاح لهذا الأمر.

الشاهد الثانى: مجموع السور والآيات التى سبق استعراضها فى الفصل السابق حول ما ينزل فى ليلة القدر، والتى ينزل فيها ملفّات تدبير للنظام البشـرى وصـلة ذلك فى التدبير الخفى لولى الأمر فى النظام البشرى الذى تتنزل عليه الروح والملائكة كلّ عام، كما ألمحنا إلى ذلك فى الشاهد الأوّل.

الشاهد الثالث: قوله تعالى للنبىّ إبراهيم عليه السلام: «وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۶۳

فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا» «۱»

، وصـريح الآيـة هو أنّ الجعـل فعلى منه تعـالى للإمامـة الفعليـة لإبـراهيم، مع أنّه فى الظاهر المعلن من التاريـخ لم يتقلّـد النبى إبراهيم

حكومة معلنة وسلطة رسمية في بلد من البلدان، فهذه الإمامة للبشر لابدّ أن يكون تدبيرها الفعلي للنظام البشري لا يقتصر على السلطة الرسمية المعلنة، بل يشمل التدبير السياسي الاجتماعي الخفي، مضافاً إلى هداية الأرواح والنفوس لإيصالها إلى المنازل المعنوية في الكمال، وكذلك قوله تعالى: «وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ* وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكوةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ» «۲»

، وقوله تعالى: «وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ» «۳».

فهذا الوصف للجعل الإلهي الفعلي لإمامتهم بالفعل إمامة إسحاق ويعقوب- مع أنّهم لم يتقلّدوا زمام أي سلطة رسمية في التاريخ، وقد ورد في روايات الفريقين حول حياة النبيّ إبراهيم من لقائه أولياء اللَّه في شتّى أقطار الأرض، وأنّه كان على اتّصال وارتباط معهم.

هذا مضافاً إلى النقلة الحضارية التي أحدثها النبيّ إبراهيم في الخطّ الأدياني والقانوني للبشر في العراق وبلاد الشام وأرض الحجاز ومصر، كما هو الحال في دور أئمّة أهل البيت عليهم السلام في إرساء رحى عقائد الإيمان ومعالم الدين وما نشروه

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۶۴

وشيدوه من معارف وأحكام الدين والتي كانت مجهولة لدى المسلمين في عصر النبيّ صلى الله عليه و آله، حيث لم يتلقّها عن النبيّ إلّاالعترة بالعلم اللدني لا مجرّد السماع الحسي.

الشاهد الرابع: قصّة الخضر في سورة الكهف والتي تقدّم بيان جملة من شؤونها، وتأتي تتمّة ذلك.

الشاهد الخامس: جملة النماذج القرآنية الأُخر التي سيتمّ استعراضها لاحقاً، وموضع الاستشهاد فيها من إحدى زواياها المبينة لنحو التدبير الخفي لنماذج الإمامة في النظام البشري وتأثيرهم في المنعطفات الحضارية في المسار البشري.

أمّا الشواهد الروائية فنذكر نبذة من الروايات يتفطّن منها المتتبع للوقوف على جملة وافرة متكاثرة متضمّنة لنفس المعنى:

منها: ما ورد في دعاء رجب الذي رواه الشيخ الطوسي، من التوقيع من الناحية المقدّسة على يد الشيخ الكبير أبي جعفر محمّد بن عثمان أبي سعيد (رضوان اللَّه تعالى عليه)، حيث فيه: «صلّى على محمّد وآله وعبادك المنتجبين وبشرك المحتَجِبين وملائكتك المقرّبين والبهم الصافين الحافين..» «۱»

، فوصف أنّ هناك جماعة من البشر مُحتَجبين ومستترين عن الأنظار، بمعنى أنّ الناس لا تعرفهم.

ومنها: ما رواه الشيخ في المصباح في دعاء أُمّ داود: «صلّ على الأبدال والأوتاد والسياح والعباد والمخلَصين» «۲».

ومنها: ما ورد في زيارته (عج) في سرداب الغيبة: «اللّهمّ صلّى عليه وعلى خدّامه وأعوانه على غيبته، ونأيه واستره ستراً عزيزاً، واجعل له معقلًا حريزاً» «۳».

ومنها: ما ورد في دعاء زيارة العسكريين عليهما السلام في زيارة الإمام أبي محمّد الحسن العسكري في الدعاء عقبها، حيث فيه: «وأتوسّل إليك يا ربي بإمامنا ومحقّق

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۶۵

زماننا اليوم الموعود والشاهد المشهود والنور الأزهر والضياء الأنور المنصور بالرعب والمظفر بالسعادة ... اللّهمّ واحشرنا في زمرته واحفظنا على طاعته واحرسنا بدولته وأتحفنا بولايته وانصرنا على أعدائنا بعزّته» «۱».

فيشير الدعاء إلى طلب الحراسة الفعلية منه تعالى من قبل كلّ مؤمن وذلك بتوسّط الدولة الفعلية الخفية له (عج)، وطلب النصرة على الأعداء بتوسّط عزّته، أي بطلب قدرته الفعلية.

ومنها: الدعاء المعروف للحجّة (عج): «اللّهمّ كن لوليك الحجّة بن الحسن العسكري صلواتك عليه وعلى آبائه في هذه الساعة وفي كلّ ساعة، وليّاً وحافظاً وقائداً وناصراً ودليلًا وعيناً، حتّى تسكنه أرضك طوعاً وتمكّنه فيها طويلًا» «۲»

. فإنّ الدعاء بالنصرة في هذه الساعة الفعلية وطوال فترة الغيبة حتّى الظهور يقضي بوجود كيان فعلي يتجاذب مع القوى الراهنة في

الأنظمة البشرية، وكذلك الدعاء بالقيادة الإلهية يقضى بوجود حركة فعلية تحتاج إلى الدلالة الإلهية.

ومنها: ما رواه المجلسى فى البحار عن مؤلّفات أصحابنا، بسنده عن المفضل بن عمر فى حديث قال: قال الصادق عليه السلام: «أحسنت يا مفضل فمن أين قلت برجعتنا؟

ومقصرة شيعتنا تقول معنى الرجعة أن يردّ اللّه إلينا ملك الدنيا وأن يجعله للمهدى (عج)، ويحهم متى سُلبنا الملك حتّى يردّ علينا.

قال المفضل: لا واللّه وما سلبتموه ولا تسلبونه لأنّه ملك النبوّة والرسالة والوصية والإمامة» «۳».

ومنها: ما رواه فى البحار من زيارة طويلة لأئمّة البقيع وفيها: «اللهمّ صلِّ على

الإمام الوصىّ والسيد الرضى والعابد الأمين، علىّ بن الحسين زين العابدين إمام المؤمنين ووارث علم النبيين، اللهم اخصصه بما خصصت به أوليائك ... وسلك بالأُمّة طريق هداك، وقضى ما كان عليه من حقّك فى دولته، وأدّى ما وجب عليه فى ولايته، حتّى انقضت أيّامه وكان لشيعته رؤوفاً وبرعيته رحيماً» «۱».

ومنها: ما رواه الصدوق فى الفقيه فى استحباب الجماع ليلة الجمعة من الحديث النبوىّ: «وإن جامعتها فى ليلة الجمعة بعد العشاء الآخرة فإنّه يرجى أن يكون الولد من الأبدال إن شاء اللّه تعالى» «۲».

ومنها: ما رواه الصدوق فى عيون أخبار الرضا بسنده عن عمر بن واقد فى حديث استشهاد الإمام موسى بن جعفر عليه السلام ووصيته للمسيب بن زهير ومجىء الإمام الرضا عليه السلام لتغسيل والده من المدينة إلى بغداد بطىّ الأرض، قال: «فواللّه لقد رأيتهم بعينى وهم يظنّون أنّهم يغسلونه أى السندى بن شاهك وجماعته من جلاوزة النظام العباسى- فلا تصل أيديهم إليه، ويظنّون أنّهم يحنّطونه ويكفّنونه وأراهم لا يصنعون به شيئاً، ورأيت ذلك الشخص أى الإمام الرضا عليه السلام- يتولّى غسله وتكفينه وتحنيطه وهو يظهر المعاونة لهم وهم لا يعرفونه، فلمّا فرغ من أمره قال لى ذلك الشخص: يا مسيب مهما شككت فيه فلا تشكنّ فىّ؛ فإنّى إمامك ومولاك وحجّة اللّه عليك بعد أبى، يا مسيب مثلى مثل يوسف الصديق عليه السلام ومثلهم مثل أخوته حين دخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون. ثم حُمِل عليه السلام حتّى دفن فى مقابر قريش» «۳».

ونظير ذلك ورد فى الإمام المهدى (عج) أنّه يقوم بدوره فى تدبير الأُمّة

والبشرية كما كان يقوم يوسف عليه السلام بذلك من حيث لا يعرفونه، ممّا يدلّل على وجود التدبير الخفى عند الأئمّة عليهم السلام، وأنّ هذا التدبير مصيرى فى بقاء نظام الملّة والدين والأُمّة، فقد روى النعمانى بسند قريب من الاعتبار عن سدير الصيرفى، قال: سمعت أبا عبد اللّه الصادق عليه السلام يقول: «إنّ فى صاحب هذا الأمر لشبهاً من يوسف ۷. فقلت: إنّك لتخبرنا بغيبة أو حيرة؟ فقال: ما ينكر هذا الخلق الملعون أشباه الخنازير من ذلك أنّ أُخوة يوسف كانوا عقلاء ألبّاء أسباط أولاد أنبياء، دخلوا عليه فكلّموه وخاطبوه وتاجروه وراودوه، وكانوا أخوته وهو أخوهم لم يعرفوه حتّى عرّفهم نفسه وقال لهم: أنا يوسف، فعرفوه حينئذٍ.

فما تنكر هذه الأُمّة المتحيرة أن يكون اللّه جلّ وعزّ يريد فى وقت من الأوقات أن يستر حجّته عنهم؟ لقد كان يوسف إليه ملك مصر وكان بينه وبين أبيه مسير ثمانية عشر يوماً، فلو أراد أن يعلّمه بمكانه لقدر على ذلك، واللّه لقد سار يعقوب وولده عند البشارة تسعة أيام من بدوهم إلى مصر، فما تنكر هذه الأُمّة أن يكون اللّه يفعل بحجّته ما فعل بيوسف، وأن يكون صاحبكم المظلوم المجحود حقّه صاحب هذا الأمر يتردّد بينهم ويمشى فى أسواقهم ويطأ فرشهم ولا يعرفونه حتّى يأذن اللّه له أن يعرّفهم نفسه، كما أذن ليوسف حين قال له أخوته: إنّك لآت يوسف؟ قال: أنا يوسف» «۱».

ومنها: ما روى فى قصّة شقيق البلخى المعروفة مع الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، حيث شاهد منه العجائب فلمّا رأى منه ذلك قال: «إنّ هذا الفتى لمن الأبدال، لقد تكلّم على سرّى مرّتين» «۲».

وهذا يدلّل على أنّ مقولة الأبدال والأوتاد حقيقة مسلّمة فى أذهان المسلمين،

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۶۸

مصدرها الأحاديث النبويّة، وقد أطلق عنوان الأبدال والأوتاد فى الروايات على الأئمّة المعصومين عليهم السلام، ولكن الإطلاق بمعنى آخر، بمعنى أنّهم عليهم السلام بدل الأنبياء إذ رفع الأنبياء وختمهم محمّد صلى الله عليه و آله، كما جاء فى الحديث عن الرضا عليه السلام، روى فى الاحتجاج عن خالد بن الهيثم الفارسى، قال: «قلت لأبى الحسن الرضا عليه السلام: إنّ الناس يزعمون أنّ فى الأرض أبدال، فمن هم هؤلاء الأبدال؟ قال: صدقوا، الأبدال هم الأوصياء جعلهم اللّه فى الأرض بدل الأنبياء، إذ رفع الأنبياء وختمهم محمّد صلى الله عليه و آله» «۱».

وعلّق عليها المجلسى رحمه اللّه بأنّه يظهر من دعاء أُمّ داود فى النصف من رجب مغايرة الأبدال للأئمّة عليهم السلام، وقال: ليس بصريح فيها فيمكن حمله على التأكيد، ويحتمل أن يكون المراد به فى الدعاء خواصّ أصحاب الأئمّة عليهم السلام، والظاهر من الخبر نفى ما تفتريه الصوفية من العامّة كما لا يخفى على المتتبع العارف بمقاصدهم عليهم السلام «۲».

ويشير قدس سره إلى اقتباس الصوفية هذا المعنى ممّا ورد فى أئمّة أهل البيت عليهم السلام وزعمهم هذه المقامات لأنفسهم، كيف لا وهم متأخّرين عن أهل البيت عليهم السلام ورواياتهم بقرون.

ومنها: قال الشيخ الكفعمى رحمه اللّه فى هامش جنّته عند ذكر دعاء أُمّ داود:

قيل إنّ الأرض لا- يخلو من القطب وأربعة أوتاد وأربعين أبدالًا وسبعين نجيباً وثلاثمائة وستّين صالحاً. فالقطب هو المهدىّ عليه السلام، ولا يكون الأوتاد أقلّ من أربعة؛ لأنّ الدنيا كالخيمة والمهدى كالعمود وتلك الأربعة أطنابها، وقد يكون الأوتاد أكثر من أربعة والأبدال أكثر من أربعين والنجباء أكثر من سبعين والصلحاء أكثر من ثلاثمائة وستّين، والظاهر أنّ الخضر والياس من الأوتاد؛ فهما ملاصقان

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۶۹

لدائرة القطب.

وأمّا صفة الأوتاد فهم قوم لا يغفلون عن ربّهم طرفة عين، ولا يجمعون من الدنيا إلّاالبلوغ، ولا تصدر منهم هفوات الشرّ، ولا يشترط فيهم العصمة من السهو والنسيان بل فى فعل القبيح، ويشترط ذلك فى القطب، وأمّا الأبدال فدون هؤلاء من المراقبة، وقد تصدر منهم الغفلة فيتداركونها بالتذكّر، ولا يتعمّدون ذنباً.

وأمّا النجباء فهم دون الأبدال، وأمّا الصلحاء فهم المتّقون الموفون بالعدالة، وقد يصدر منهم الذنب فيتداركونه بالاستغفار والندم، قال اللّه تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذا مَسَّهُمْ طائِفٌ مِنَ الشَّيْطانِ تَذَكَّرُوا فَإِذا هُمْ مُبْصِرُونَ» «۱»

، جعلنا اللّه من القسم الأخير؛ لأنّا لسنا من الأقسام الأُول، لكن ندين اللّه بحبّهم وولايتهم، ومن أحبّ قوماً حشر معهم.

وقيل: إذا نقص أحد من الأوتاد الأربعة وضع بدله من الأربعين، وإذا نقص أحد من الأربعين وضع بدله من السبعين، وإذا نقص أحد من السبعين وضع بدله من الثلاثمائة وستّين، وإذا نقص أحد من الثلاثمائة وستّين وضع بدله من سائر الناس «۲».

ومنها: ما رواه ابن شهرآشوب فى المناقب بسند عن على بن أبى حمزة، قال:

كان يتقدّم الرشيد إلى خدمه إذا خرج موسى بن جعفر من عنده أن يقتلوه، فكانوا يهمّون به فيتداخلهم من الهيبة والزمّع «۳». فلمّا طال ذلك أمر بتمثال من خشب وجعل له وجهاً مثل وجه موسى بن جعفر، وكانوا إذا سكروا أمرهم أن يذبحوها بالسكاكين، وكانوا يفعلون ذلك أبداً، فلمّا كان فى الأيام جمعهم فى الموضع وهم

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۷۰

سكارى وأخرج سيدى إليهم، فلمّا بصروا به همّوا به على رسم الصورة، فلمّا علم منهم ما يريدون كلّمهم بالخزرية والتركية، فرموا من

أيديهم السكاكين ووثبوا إلى قدميه فقبّلوهما وتضرّعوا إليه وتبعوه إلى أن شيّعوه إلى المنزل الذى كان ينزل فيه، فسألهم الترجمان عن حالهم، فقالوا: إنّ هذا الرجل يصير إلينا فى كلّ عام فيقضى أحكامنا ويرضى بعضنا من بعض ونستسقى به إذا قحط بلدنا وإذا نزلت بنا نازلة فزعنا إليه، فعاهدهم أنّه لا يأمرهم بذلك فرجعوا «۱».

ومنها: ما رواه العامّة بطرق مستفيضة أو متواترة، وهو الحديث النبوىّ قوله صلى الله عليه و آله: «لا يزال هذا الدين عزيزاً منيعاً إلى اثنى عشر خليفة كلّهم من قريش وفى ألفاظ الحديث الأُخرى- لا يزال هذا الأمر عزيزاً، يُنصَرون على من ناواه ... وفى الأحاديث: لا يزال أمر أُمّتى قائماً حتّى يمضى اثنا عشر خليفة كلّهم من قريش ... وفى البعض الآخر: لا يزال هذه الأُمّة مستقيماً أمرها ظاهرة على عدوّها حتّى يمضى منهم اثنى عشر خليفة كلّهم من قريش ... وفى بعضها: لا يزال أمر الناس ماضياً. وبعضها: لا يضرّهم عداوة من عاداهم» «۲».

والملاحظ فى هذا الحديث النبوىّ المتواتر أنّه مضافاً إلى تحديد خلافته صلى الله عليه و آله بالاثنى عشر وأنّهم كلّهم من قريش بل فى بعضها من بنى هاشم، ولا ينطبق إلّا على العترة المطهّرة، فإنّ فى دلالتها مقطع آخر هامّ جدّاً وهو آثار خلافة هؤلاء الاثنى العشر، فقد ذكر فى الحديث بطرقه المختلفة والظاهر تكرّره من النبىّ صلى الله عليه و آله فى مواضع شتّى بتعدّد الرواة والمشاهد:

الأوّل: إنّ دين الإسلام والذى هو ميراث جميع الأنبياء والمرسلين لاسيما

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۷۱

سيدهم خاتم النبيّين صلى الله عليه و آله لا يتمّ حفظه عن الاندراس والزوال والصيانة عن التحريف إلّابهؤلاء الاثنى عشر ومن الواضح أنّ هذا الحفظ لا يتمّ إلّابأسباب علمية وعملية، أمّا العلمية فلكون علمهم لدنيا كما مرّ- لا ينزف، يحيطون باللوح المحفوظ والكتاب المبين والكتاب المكنون، وأمّا الأسباب العملية فلا ريب أنّه بتوسّط الأسباب والمسببات سواء من عالم الملك والملكوت وهو يستبطن التدبير الخفى.

الثانى: إنّ عزّة الأُمّة الإسلامية بتوسّط خلافة الاثنى عشر، أى قيادتهم وإمامتهم لنظام الأُمّة، ومن الواضح أنّ ذلك لم يكن إلّابالإدارة الخفية بتوسّط منظومات بشرية متسترّة، وإن كان حفظ العزّة لهذه الأُمّة أمر نسبى لا يصل إلى كماله إلّابظهور المهدى وقيام دوله الرجعة للأئمّة عليهم السلام.

الثالث: حفظ أمر نظام عموم الناس والبشرية بهم عليهم السلام وهو أيضاً لا يتمّ إلّا بالتدبير والإدارة الخفية بتوسّط مجموعات بشرية مخترقة للأنظمة المعلنة الظاهرية، ومفاد ألفاظ الحديث يقارب ما استظهرناه من قوله تعالى: «إِنِّى جَاعِلٌ فِى الْأَرْضِ خَلِيفَةً» «۱» كما مرّ، ولفظ الحديث «أمر الناس»، وليس (أمر الأُمّة) ممّا يقتضى التعميم ويعضد إرادة العموم ما تكرّر فى الأحاديث أن لولا الاثنى عشر لكان الهرج والمرج، وهو عامّ فى جميع البشرية؛ إذ هو اصطلاح فى الحديث مِن قبيل قيام الساعة لجميع أهل الأرض.

والحاصل: إنّ هذا الحديث النبوىّ المتواتر دالّ بالتدبّر والتأمّل على آثار وجود الخلفاء الاثنى عشر، وهى لا تتحقّق إلّابتصرّفهم عليه السلام من مقام صلاحية خلافتهم فى الأرض، وتدبيرهم بما أوتوا من أسباب لدنية وعلوماً من لدنه تعالى. روى

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۷۲

الشيخ الطوسى بسنده إلى جابر الجعفى، قال: قال أبوجعفر عليه السلام: «يبايع القائم بين الركن والمقام ثلاثمائة ونيف عدّة أهل بدر، فيهم النجباء من أهل مصر، والأبدال من أهل الشام، والأخيار من أهل العراق، فيقيم ما شاء اللَّه أن يقيم» «۱»

، ورواه فى الاختصاص، إلّا أنّ فيه و (عصائب العراق) «۲».

وروى الشيخ المفيد بسنده إلى محمّد بن سويد إلى جعفر بن محمّد عليه السلام، قال له: «كيف الحديث الذى حدّثتنى عن أبى الطفيل- رحمه اللَّه- فى الأبدال؟ فقال فطر «۳»:

سمعت أبا الطفيل يقول: سمعت علياً أمير المؤمنين عليه السلام يقول: الأبدال من أهل الشام والنجباء من أهل الكوفة يجمعهم اللَّه لشرّ

يوم لعدوّنا» «۴».

فى النهاية لابن الأثير فى مادّة (بدل).. فى حديث عليّ رضى الله عنه: «الأبدال بالشام هم الأولياء والعباد، الواحد بدل كحمل وأحمال، وبدل كجمل، سُمّوا بذلك لأنّهم كلمّا مات واحد أُبدِل بآخر» «۵».

وروى ابن الفتّال فى روضة الواعظين عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله قال: «إنّ اللَّه تبارك وتعالى اختار من كلّ شىء أربعة... واختار من أُمّة محمّد أربعة أصناف: العلماء والزهّاد والأبدال والغزاة» «۶».

وقال البياضى فى الصراط المستقيم: (غاية طعن المنكرين لولادته متعلّقة بنفى مشاهدته. قلنا قد أسلفنا مشاهدة قوم من أوليائه، على أنّ نفى رؤيته لا يدلّ على نفى وجوده، ولا يقدح فيه قول المنحرف عنه بجحوده، إذ ليس طرق العلم محصورة فى المشاهدة، فإذا دلّت البراهين على إمامته ووجوده لم تكن غيبته عن الأبصار مانعة عن تولّده، وأكثر المواليد إنّما تثبت بالشياع وهى حاصلة هنا من

الشيعة، وكيف ينكر وجوده لعدم مشاهدته؟ والأبدال موجودون ولا يشاهدون.

قال [ابن] ميثم فى شرحه للنهج: قد نقل أنّهم سبعون رجلًا، منهم أربعون بالشام وثلاثون فى سائر البلاد. وفى الحديث عن عليّ عليه السلام: الأبدال بالشام والنجباء بمصر والعصائب بالعراق يجتمعون فيكون بينهم حرب..) «۱».

ومنها: ما روى فى التفسير المنسوب للإمام العسكرى عليه السلام، عن أبى محمّد الحسن بن عليّ عليه السلام فى حديث عن فتح مكّة «۲» «.. فلما حُتم قضاء اللَّه بفتح مكّة واستوسقت له- [أى للنبيّ]- أمّر عليهم عتاب بن أسيد، فلمّا اتّصل بهم خبره قالوا: إنّ محمّداً لا يزال يستخف بنا حتّى ولّى علينا غلاماً حدث السنّ بن ثمانى عشرة سنة، ونحن مشايخ ذوى الأسنان وجيران حرم اللَّه الآمن وخير بقعة على وجه الأرض.

وكتب رسول اللَّه صلى الله عليه و آله لعتاب بن أسيد عهداً على مكّة، وكتب فى أوّله: من محمّد رسول اللَّه إلى جيران بيت اللَّه الحرام وسكّان حرم اللَّه، أمّا بعد، فمن كان منكم باللَّه مؤمن وبمحمّد رسوله فى أقواله مصدّقاً وفى أفعاله مصوّباً ولعليّ أخى محمّد رسوله نبيه، صفيّه ووصيّه وخير خلق اللَّه بعده موالياً، فهو منّا وإلينا. ومن كان لذلك أو لشىء منه مخالفاً فسحقاً وبعداً لأصحاب السعير، لا يقبل اللَّه شيئاً من أعماله وإن عظم وكبر، يصليه نار جهنّم خالداً مخلّداً أبداً.

وقد قلّد محمّد رسول عتّاب بن أسيد أحكامكم ومصالحكم، وقد فوّض إليه تنبيه غافلكم وتعليم جاهلكم وتقويم أود مضطربكم وتأديب من زال عن أدب اللَّه منكم؛ لما علم من فضله عليكم من موالات محمّد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله ومن رجحانه فى التعصّب لعليّ وليّ اللَّه، فهو لنا خادم وفى اللَّه أخ ولأوليائنا موالياً ولأعدائنا معادٍ، وهو لكم سماء

ظليلة وأرض زكية وشمس مضيئة، قد فضّله اللَّه على كافّتكم بفضل موالاته ومحبّته لمحمّد وعليّ والطيبين من آلهما، وحكّمه عليكم يعمل بما يريد اللَّه فلم يخلّيه من توفيقه، كما أكمل من موالاة محمّد وعليّ شرفه وحظّه، لا يؤامر رسول اللَّه ولا يطالعه بل هو السديد الأمين، فليطمع المطيع منكم بحسن معاملته شريف الجزاء وعظيم الحياء، وليتوقّ المخالف له شديد العذاب وغضب الملك العزيز الغلّاب، ولا يحتجّ محتجّ منكم فى مخالفته بصغر سنّه؛ فليس الأكبر هو الأفضل، بل الأفضل هو الأكبر، وهو الأكبر فى موالاتنا وموالاة أوليائنا ومعادات أعدائنا، فلذلك جعلناه الأمير عليكم والرئيس عليكم، فمن أطاعه فمرحباً به، ومن خالفه فلا يبعد اللَّه غيره.

قال: فلمّا وصل إليهم عتاب وقرأ عهده ووقف فيهم موقفاً ظاهراً نادى فى جماعتهم حتّى حضروه، وقال لهم: معاشر أهل مكّة، إنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله رمانى بكم شهاباً محرقاً لمنافقكم، ورحمة وبركة على مؤمنكم، وإنّى أعلم الناس بكم وبمنافقكم.. ففعل واللَّه كما قال وأعدل وأنصف وأنفذ الأحكام مهتدياً بهدى اللَّه غير محتاج إلى مؤامرة ولا مراجعة» «۱».

وفى الرواية مواضع للإستشهاد:

قوله صلی الله علیه و آله: «یعمل بما یرید اللَّه فلم یخلّیه من توفیقه، کما أکمل من موالاة محمّد صلی الله علیه و آله وعلی علیه السلام شرفه وحظّه، لاـ یؤامر رسول اللَّه ولاـ یطالعه بل هو السدید الأمین»، فإنّه دالّ علی أنّ تصرّفات عتاب بن أسید لم تکن عن طریق توصیات ووصایا قولیة وأوامر لفظیة من رسول اللَّه صلی الله علیه و آله، بل کانت عبر تسدید الإلهام من النبیّ صلی الله علیه و آله، کما هو الحال فی الأبدال والأوتاد، وکما ورد نظیر ذلک فی النوّاب الأربعة فی الغیبة

الامامة الالهیة(۵)، ج۳، ص: ۴۷۵

الصغری، حیث إنّهم کانوا سفراء لا رواة، وکما ورد نظیر ذلک فی أصحاب الإمام المهدی الثلاثمائة والثلاثة عشر فی کیفیة تلقّیهم برامج وأنشطة الحکم الذی یزاولونه.

ویعضد هذا المفاد قوله فی آخر الروایة: «ففعل واللَّه کما قال وأعدل وأنصف وأنفذ الأحکام مهتدیاً بهدی اللَّه غیر محتاج إلی مؤامرة ولا مراجعة»، وهذا تکرار فی التصریح أنّ إنفاذه للأحکام لم یکن بأوامر لفظیة ولا مراجعة قولیة سماعیة، وهذا من خواصّ منظومة الحکومة الخفیة، حکومة الأبدال والأوتاد والنقباء والأرکان، وقد بیّن صلی الله علیه و آله أنّ وصول عتاب لهذا المقام هو بسبب الدرجة الخاصّة التی وصل إلیها من موالاة ومحبّة النبیّ ووصیّه وآلهما علیهم السلام، ومعادات أعدائهم، وأنّه فاق فی ذلک کلّ أهل مکّة آنذاک، ومن ثمّ حظی بهذا المقام الخاصّ کما ورد نظیره فی النواب الأربعة. وعتاب مع صغر سنّه خاطب أهل مکّة کما حکی علیه السلام قوله تقریراً له: «وأنّی أعلم الناس بکم وبمنافقکم».

ونموذج عتاب بن أسید یدلّل علی أنّ الحکومة الخفیة السرّیة تظلّ قائمة موجودة فی ضمن الحکومة المعلنة، بل إنّ عتاب بقی أمیراً علی مکّة فی عهد خلافة أبی بکر، ممّا یشیر إلی اختراق الحکومة الخفیة للأنظمة الأُخری.

ومنها: ما رواه الصدوق فی الأمالی بسنده عن الأعمش، عن الصادق علیه السلام، قال:

«لم تخل الأرض منذ خلق اللَّه آدم من حجّة للَّهفیها، ظاهر مشهور أو غائب مستور، ولا تخلو إلی أن تقوم الساعة من حجّة للَّهفیها، ولولا ذلک لم یُعبد اللَّه.

قال سلیمان: فقلت للصادق علیه السلام: فکیف ینتفع الناس بالحجّة الغائب المستور؟ قال:

کما ینتفعون بالشمس إذا سترها السحاب» «۱».

الامامة الالهیة(۵)، ج۳، ص: ۴۷۶

ولا یخفی دلالة الروایة علی أنّ الغیبة بمعنی التستّر والخفاء والسرّیة، لا الزوال والذهاب والابتعاد والإقصاء، کما أنّ التشبیه بالشمس إذا سترها السحاب صریح فی ذلک فی أنّه یقوم بکلّ أدواره إلّاأنّه بنحو متستّر خفی.

ونظیر هذه الروایة ما رواه الصدوق فی إکمال الدین، والطبرسی فی الاحتجاج عن الکلینی عن إسحاق بن یعقوب أنّه ورد من الناحیة المقدّسة علی ید محمّد بن عثمان: «.. وأمّا وجه الانتفاع بی فی غیبتی فکالانتفاع بالشمس إذا غیّبها عن الأبصار السحاب..» «۱».

ونظیر ما رواه الصدوق فی إکمال الدین أیضاً بإسناده عن جابر بن عبداللَّه الأنصاری، عن النبیّ صلی الله علیه و آله فی حدیث عن الأئمّة الاثنی عشر علیهم السلام وأنّ آخرهم المهدی ویغیب عن شیعته وأولیاءه: «.. قال جابر یا رسول اللَّه فهل ینتفع الشیعة به فی غیبته؟ فقال صلی الله علیه و آله: ای والذی بعثنی بالنبوّة أنّهم یستضیئون بنوره وینتفعون بولایته فی غیبته کانتفاع الناس بالشمس وإن جلّلها السحاب» «۲».

ومنها: ما ورد فی التوقیع الشریف من الناحیة المقدّسة للشیخ المفید الذی رواه الطبرسی فی الاحتجاج: «.. فإنّا نحیط علماً بأنبائکم ولا یعزب عنّا شیء من أخبارکم، ومعرفتنا بالذلّ (بالزلل) (بالإذلال) الذی أصابکم مذ جنح کثیر منکم إلی ما کان السلف الصالح عنه شاسعاً، ونبذوا العهد المأخوذ منهم وراء ظهورهم، کأنّهم لا یعلمون.

إنّا غیر مهملین لمراعاتکم ولا ناسین لذکرکم، ولولا ذلک لنزل بکم اللأواء واصطلمکم الأعداء، فاتّقوا اللَّه جلّ جلاله وظاهرونا علی

انتياشكم من فتنة قد أنافت

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۷۷

عليكم، يهلك فيها من حمّ أجله، ويُحمى عنها من أدرك أمله، وهى إمارة لأزوف حركتنا ومباثّتكم بأمرنا ونهينا، واللّه متمّ نوره ولو كره المشركون، اعتصموا بالتقية..» «۱»

ثمّ ذكر الحجّة (عج) سلسلة من الأحداث المستقبلية وكيفية التدبير فيها.

ومفاد التوقيع الشريف ناصّ على تصدّيه (عج) لتدبير الأُمور بنحو خفى، وتمام مراقبته للأحداث صغيرها وكبيرها والبرامج المتّخذة فيها، وأنّه لولا هذه الإدارة والتدبير الخفى لاستأصل الأعداء كيان المؤمنين.

وفى التوقيع الثانى ابتدأ نسخته: «من عبد اللّه المرابط فى سبيله إلى مُلهَم الحقّ ودليله»، وقد تضمّن قوله (عج): «.. ويأتيك نبأ منّا بما يتجدّد لنا من حال، فتعرف بذلك ما نعتمده من الزلفة إلينا..»، ثمّ ذكر (عج) جملة من الحوادث وكيفية التدبير فيها، وقال: «وآية حركتنا من هذه اللوثة حادث بالحرم المعظّم من رجس منافق مذمّم مستحلّ للدم المحرّم، يعمد بكيده أهل الإيمان ولا يبلغ بذلك غرضه من الظلم لهم والعدوان؛ لأنّنا من وراء حفظهم بالدعاء الذى لا يحجب عن ملك الأرض والسماء، فليطمئنّ بذلك من أوليائنا القلوب، وليثقوا بالكفاية منه وإن راعتهم بهم الخطوب، والعاقبة بجميل صنع اللّه سبحانه تكون حميدة لهم ما اجتنبوا المنهى عنه من الذنوب.. ولو أنّ أشياعنا وفّقهم اللّه لطاعته على اجتماع من القلوب فى الوفاء بالعهد عليهم لما تأخّر عنهم اليمن بلقائنا» «۲».

ومفاد التوقيع الشريف نظير سابقه فى رصده (عج) للأحداث وتدبيرها قبل وقوعها، ولا سيما صدر التوقيع حيث عبّر (عج) عن نفسه الشريفة بالمرابط فى سبيل اللّه الدالّ على قيامه (عج) الشريف فى رأس الهرم للتصدّى لتدبير

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۷۸

الأحداث، إذ الرباط هو الجهاد فى سبيل اللّه لحفظ الثغور عن أن ينفذ منها الأعداء.

وفى حديث رواه النعمانى فى غيبته بسنده عن أبى جعفر محمّد بن على، عن أبيه علىّ بن الحسين عليهم السلام فى تفسير هذه الآية:

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا» «۱»

، قال عليه السلام: «سيكون ذلك ذرّية من نسلنا المرابط..» الحديث «۲».

ومنها: صحيحة معاوية بن وهب، قال: «سمعت أبا عبداللّه عليه السلام يقول: قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله: إنّ عند كلّ بدعة تكون من بعدى يكاد بها الإيمان ولياً من أهل بيتى موكّلًا به يذبّ عنه، ينطق بإلهام من اللّه ويعلن الحقّ وينوّره، ويردّ كيد الكائدين، يُعبّر عن الضعفاء، فاعتبروا يا أولى الأبصار، وتوكّلوا على اللّه» «۳».

ومنها: ما ذكره الوحيد البهبهانى فى تعليقته على منهج المقال فى ترجمة على بن المسيب عن بعض الكتب المعتمدة، أنّه أُخذ من المدينة مع الكاظم عليه السلام وحبس معه فى بغداد وبعد ما طال حبسه واشتدّ شوقه إلى عياله قال عليه السلام له:

«اغتسل فاغتسل، فقال: غمّض فغمّض، فقال: افتح ففتح فرآه عند قبر الحسين عليه السلام فصلّيا عنده وزارا، ثمّ قال: غمّض وقال افتح فرآه معه عند قبر الرسول صلى الله عليه و آله، فقال: هذا بيتك فاذهب إلى عيالك وجدّد العهد وارجع إلىّ، ففعل فقال: غمّض وافتح، قال فرآه معه فوق جبل قاف وكان هناك من أولياء اللّه أربعون رجلًا، فصلّى وصلّوا مقتدين به، ثمّ قال غمّض وقال افتح، ففتح فرآه معه فى السجن» «۴»

. وهذه الرواية تشير وتعزّز أنّ الحكومة الخفية كانت لدى جميع المعصومين يديرونها.

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۷۹

وهناك إشكال أثارته العديد من مدارس المعرفة الحديثة ضدّ أبناء الإمامية حول تعريف الإمامة الإلهية، وهو يوجّه إلى وجود مثل هذه المنظومات الغيبية التى تقوم بالهداية الإيصالية فى مراتبها المختلفة، وحاصله أنّ هذا البيان لحقيقة الإمامة ولهذه المنظومة يقترب

من عقائد الصوفية والعرفاء، حيث إنّهم يعتقدون بوجود سلسلة من المراتب المترتّبة على هيئة هرم له مركز فى الأعلى هو القطب، وقد يقال له الغوث أو الإمام، وإنّ عالم الأرواح والنفوس متشابك ومترابط وجوداً على هذه الهيئة الهرمية.

وبعبارة أُخرى: يهدف المستشكل إلى القول بأنّ هذا الاعتقاد بحقيقة الإمامة هو من تأثير الصوفية.

والجواب: إنّ الموجود عن الصوفية لا يتجاوز بذوره عن القرن الثالث، بل إنّ بلورته كنظرية جاءت فى أواخر القرن السابع وبدايات القرن الثامن، والروايات الواردة فى ما نذكره بل الآيات فى هذا المجال أسبق بكثير من هذا التأريخ، وقد أشرنا إلى أنّ حقيقة الإمامة إنّما نهتدى إليها من الآيات والروايات، فلا يكون من التأثير الصوفى على الفكر الشيعى، بل هو من تأثير الحكمة الشيعية على الفكر الصوفى كما تقدّم.

هذا وعندما نتأمّل فى كتاب الإحياء للغزالى الذى تأثّر به كثيراً ابن عربى، نلاحظ ذلك أنّه بالروايات المنقولة عن أهل البيت عليهم السلام من مصادر الحديثية للشيعة، وأنّ فى جملة المباحث يحاول أن يستقى ويبنى نظرياته على ضوء ما يستظهره من تلك الروايات المفصلية فى بحوثهم، هى روايات أهل البيت، وأنّهم على أساس هذا خالفوا الجمهور فى الكثير من متبنياتهم الكلامية..

بالإضافة إلى كلّ ما تقدّم: وجود الروايات المتواترة وبألسنة متعدّدة وطوائف متنوّعة- كما ذكر العلّامة فى مقالات تأسيسية- تثبت الهداية الإيصالية

الامامة الالهية(٥)، ج٣، ص: ٤٨٠

للإمام عليه السلام، من قبيل ما ورد فى ذيل آية: «فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ» «١».

ومن ثمّ نفهم الحسّاسية البالغة عند فقهاء السنّة ومحدّثيهم من صوفيتهم حيث تجرّ أُطروحاتهم إلى الفكر الشيعى وتقترب منه، وتجعل من مبدأ الإمامة الشيعى ضرورة، فحاولوا الطعن عليهم بأنّهم متأثّرون بالاتّجاه الباطنى وهو الشيعة، مستهدفين بذلك تجريد الأُطروحة من الدليل والشرعية.

فقد جاءت الباطنية فى كلماتهم فى سياق الذمّ وأنّها منقصة، ومن ثمّ نسبوها إلى الأئمّة، حتّى قال بعضهم: إنّ نسبة الباطنية إلى علىّ عليه السلام محتملة، وأمّا نسبتها إلى جعفر بن محمّد عليه السلام فلا ريب فيه.

وقد غفل هؤلاء عن أنّ ما ذُكر إقرار بأصالة الفكرة لدى الإمامية وإنّ فكرة الخفاء والباطنية هى أُطروحة الشيعة لا من مستورداتهم، سوى أنّ هذه الفكرة قبلتها الشيعة بالشكل الذى مرّ، وهو حفظ التوازن بين البطون والظهور وعدم تغليب أحدهما على حساب الآخر.

وعندما نتأمّل كلمات الغزالى وابن عربى نلحظ أنّ المقاطع المفصلية فى بحوثهما مأخوذة من روايات أهل البيت عليهم السلام، وقد يستعملان نفس العبائر فى كثير من الأحيان، ولذا خالفا الجمهور فى التنظير لمتبنّياتهما الكلامية مع وجود تحفّظات على كثير ممّا ذهبا إليه.

كما ذكر العلّامة فى مقالات تأسيسية فى إثبات الهداية الإيصالية للإمام فى كثير من الآيات، من قبيل: «فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ» «٢»

من أنّ الإمام يشهد أعمال أُمّته وهو واضح فى الهداية الإيصالية، بل تدلّ على وجود المنظومة

الامامة الالهية(٥)، ج٣، ص: ٤٨١

الهرمية، ومن قبيل «إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ» «١»

الدالّ على أنّ دور الهادى هو الهداية الإيصالية، ومن قبيل الروايات الدالّة على أنّ الإمام يحضر على الصراط فى الحشر والنشر.

ويوافق هذا اضطراب الأُطروحة الصوفية فى الإمامة والولاية، مع ضمور ما انتهوا إليه بالقياس إلى ما ورد فى الروايات ممّا يشفّ عن أنّهم ليسوا أصحاب النظرية.

ولابدّ من التنبه إلى أنّ واحدة من ألوان الاختراق الفكرى هى مسخ المفاهيم عن حقيقتها واستبدالها بمحتوى آخر، ويأخذ هذا اللون

من الاختراق طابع الثبات فى الذهنية العامّية فى بعض حالاته، فتقع الأمّة فى شرك التحريف من دون أن تشعر؛ وذلك لأنّ عملية المسخ لم تأت معلنة وإنّما متلبّسة بصورة الحقّ، حيث استغلّ القائمون بهذه المهمّة فكر العلاقات بين المعانى والمعانى وبين ألفاظها مع المعانى كذلك أو وحدها، بعد التفاتهم إلى أنّ اللفظ يكتسب حسناً من معناه الحسن نتيجة العلقة الوطيدة بين اللفظ والمعنى، والكناية والاستعارة والمجاز العقلى مرتبط كلّه بهذا المجال الذى ذكرناه، وهو معبّر عن بعد إيجابى فى اللغة.

ولكن البعض قد يستفيد من لفظ محبّب إلى القلوب أو ذى قداسة وحرمة لمحبوبيّة أو حرمة محتواه، بتفريغه من محتواه واستبدال المعانى بمعانى أُخر، فضلًا عن تقنيع المعانى بألفاظ أُخرى ووضع محتوى جديد له لا يمتّ إلى الدين بصلة، كاستعمال العدالة فى الظلم الخاصّ، ومن ثمّ قيل: من أجل تحريف الدين يكفى مسخ المعانى دون التلاعب بالألفاظ «۲».

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۸۲

كما يمكن أن يكون ذلك واحدة من حِكَم ومبرّرات حرمة التعرّب بعد الهجرة، وهو يشمل استيطان بلاد الكفر وما يسمّى بالمهجر مطلقاً، وهو الوقوع فى عملية مسخ فى محتوى الدين. وعلى هذا الأساس كانت أوّل مهمّة لابدّ أن ينجزها الباحث هى التأكّد من ضبط معنى اللفظ قبل أن يدخل فى التفاصيل.

وواحدة من الألفاظ التى تعرّضت لهذا النوع من المسخ للمعنى كلمة الباطن و (الغيب)، حيث أصبحت تعبّر عن اتّجاه منحرف فاقد للشرعية، فوصمت اللفظتين بهذا الطابع السلبى، ومن هنا فإنّ فكرة البطن فى الفكر الشيعى وإن كانت حقيقة لكون أئمّة أهل البيت هم المطّلعين على اللوح المحفوظ والكتاب المبين والكتاب المكنون، ولكن بالمعنى الذى مرّ، تحديده مع العلاقة التى ألفتنا إليها بين البطن والظهر.

الفائدة الرابعة ...: ص: ۴۸۲

إنّ القضايا التى تعرّض لها موسى مع الخضر قد وقعت بنفسها له من قبل، فوضع أُمّه له فى اليم يشبه خرق السفينة من جهة تعرّضها للغرق ولم تغرق..

وقتله للقبطى وهو لم يكن مقصوداً يشبه قتل الخضر للغلام، واستسقائه لبنات شعيب وعدم أخذه الأجرة مع جوعه وضناه الشديد على ذلك كإصلاح الحائط

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۸۳

من دون أخذ الأجرة مع جوعهما. فهذه الأُمور الثلاثة التى حصلت للخضر كانت قد حصلت له مثيلاتها ممّا يكشف عن موازاة بين ما وقع لكلّ منهما.

وهذا مصداق لما قيل فى بحوث المعرفة من أنّ كلّ إنسان فى كلّ حادثة تقع له تكون مورداً لاستغرابه قد وقعت له حادثة شبيهة لها من قبل ولم يستغرب منها؛ لأنّه كان عارفاً بأسبابها آنذاك، ولكنّه غفل عنها عند الاستغراب الآن، بل كلّ ما سيقع للإنسان فى مستقبل أيامه وفى البرزخ وعرصات يوم القيامة كلّها يندرج فى قوله تعالى: «هَذَا الَّذِى رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا» «۱».

وقد ظهرت تفسيرات متعددة لهذه الموازاة:

أوّلها: تفسير أهل المعنى والذوق: أن يُرى اللّه تعالى عباده أنّ سرّ القدرة هو تكرّر ما يجرى فى السابق على أساس وحكمة.

وثانيها: تفسير المفسّرين: لأجل إعلام موسى أنّ علمه محدود وأنّ الإحاطة الكلّية محجوبة عنه. وهذا التفسير مقبول على شرط أن لا يتنافى مع العصمة.

ولكن كلا التفسيرين ناقصان، ومن ثمّ نقدّم تفسيراً ثالثاً مقتبساً من القرآن متمّماً لهما وهو:

إنّ هناك تطابقاً بين عالم القضاء والقدر والإرادات التكوينية، أى بين السنن الكونية الإلهية، وبين الشريعة بحسب الظاهر، وأنّهما جميعاً تسعيان لغاية واحدة ولا تتخلّف فى الجميع.

ومن ثمّ يفهم قوله تعالى: «يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ» «۲»

وقوله تعالى: «وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ» «۳»

،

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۸۴

ورتّب على ذلك ما فى قوله تعالى: «لَايَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّىءُ إِلَّا بِأَهْلِهِ» «۱»

. إذ يتصوّر هؤلاء أنّهم نقضوا إقامة الشريعة الظاهرة بمكرهم ودسائسهم، فأجابهم القرآن بأنّ عملهم هذا وإن كان رأس فتنة الشرّ ومكرهم تكاد تزول الجبال منه كما هو الحال فى شر إبليس، إلّاأنّه فى مجموع نظام الخلقة يصبّ فى تحقيق أغراض الشريعة الظاهرة من دون أن يشعروا، إذ الإرادات التكوينية تأخذ مجالها نحو غايتها، وهى فى نفسها غاية الشريعة بحسب الدرجتين، وهذا لا يعنى نفى شرّية عملهم ولا- نفى شرّية إبليس ولا- مشروعيته، إلّاأنّ البارى تعالى يوظّفه فى منظومة الخير كما هو الحال فى العقرب والأفعى والذئب.

وهذا العالم هو عالم القضاء القدر والإرادات التكوينية قد يعبّر عنه بعالم الملائكة كما فى لغة القرآن، وقد يعبّر عنه بعالم العقول والنفوس الكلّية كما فى لغة الاصطلاح الفلسفى، حيث جعل العقل الأخير والعقول التى قبله تعبيراً عن القضاء، والنفس الكلّية تعبيراً عن لوح القدر، وقد يعبّر عنه بعالم الأنوار والأرواح والنفوس، مع مغايرة الثالث للثانى بأنّه أدنى درجة، كما استقرّ عليه الاصطلاح عند أهل المعرفة، أخذاً له من الشرع وهو عالم الولاية.

وهذا العالم ذو درجات متسلسلة تكويناً وقد عبّر عنه الفلاسفة بالنظام العلىّ والعلمى ونظام الوجوب والعلم، مع استثناء لوح القدر حيث لا يكون مبرماً.

وقد لوحظ على الحكماء بأنّ فهمهم وإحاطتهم بهذه العوالم محدودة، ومن ثمّ لم يعكسوا لنا إلّاصورة نظام جامد يفتقد الحياة، ومن ثمّ لم يتفاعل الناس معهم كما تفاعل مع الأنبياء والأوصياء ومن بعدهم أهل المعنى، حيث قدّموا صورة مفعمة بالحياة لتلك العوالم، وأعطوا صورة عنها بأنّها موجودات حية مختارة، مع

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۸۵

حفظ الفارق أيضاً بين تصوير العرفان والدين، فى حين لم يتمكّن الحكماء إلّا بتقديم كلّيات تؤمن حالة من المعرفة من بعيد لا أكثر.

والمتكلّم اعتمد على الحسن والقبح وفيه حيوية العقل العملى، ومن ثمّ كان واحداً من امتيازاته.

وبعبارة أُخرى: إنّ الفلاسفة وإن قبلوا أنّ الملائكة موجودات حيّة مختارة، ولكنّهم فى الوقت نفسه قالوا بأنّها أسباب تكوينية لا تتخلّف، مع تركيزهم على هذه الزاوية فى عموم كلماتهم، ومن ثمّ فسّروا الأمر فى: «لَايَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ» «۱»

و «هُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ» «۲»

والأمر بالسجود لآدم، بأنّها ليست أمراً اصطلاحياً، وإنّما بالأسباب التكوينية التى لا تتخلّف، وهى لفتة صحيحة وغير صحيحة بمعنى آخر:

فهى صحيحة: من جهة أنّه ليس هناك أوامر اعتبارية وإنشاءات وشريعة ظاهرة.

وهى غير صحيحة: من جهة أنّها أوامر حقيقية، فلا مبرّر لتأويلها بالسبب الموهم لانعدام الاختيار وإن كان الفلاسفة لا ينفون الاختيار، وإنّما هى شريعة كونية فى الإرادات الإلهية التكوينية، وقد ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «إنّ حكم اللَّه فى أهل السماء والأرض واحد» «۳»

، فهم مختارون حقيقة، وإمكان المخالفة موجودة وباب التكامل مفتوح، فقد ورد أنّهم يزدادون بعبادتهم لربّهم علماً.

نعم: المخالفة لاـ تكون بالمعصية؛ فإنّ القرآن صريح فى أنّهم لاـ يعصون، كما أنّهم لم يتوفّروا على داعى المعصية- كما جاء فى الحديث الشهير- وهى الشهوة

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۸۶

والغرائز الحيوانية، وإنّما تتحقّق المخالفة بترك الأولى الناشئ من محدودية العلم بسبب محدودية وجودهم، فيقعون فى مخالفة الواقع الأوّلى.

وتصوير إمكان المخالفة فى عالم النفوس الكليّة أوضح، حيث إنّها تحتاج إلى تأمّل وروية فى أخذ قرار العلم، بالإضافة إلى محدودية الوجود واختلافها فى درجة العلم مع الملائكة التى من سنخ العقول.

وبهذا العرض يمكن أن نفهم اعتراضهم (أتجعل فيها)، وقضية فطرس وعشرات الروايات التى يظهر منها تخلّف الملائكة عن الصواب، لكن بنحو ترك الأولى لا المعصية، بل إنّ الموجود كلّما تجرّد كلّما كان أقوى وجوداً وصفة ومنها الاختيار والحياة، فالملائكة أشدّ اختياراً وحياةً، ومع تصوير القدرة البشرية لابدّ أن تكون هذه القدرة موجودة هناك وبنحوٍ أرقى وأشدّ.

وبعد كلّ هذا يتّضح أنّ فكرة الأمر والنهى متصوّرة فى عالم الملائكة بشقّيه العقلى والنفسى، فلا داعى للتأمّل، بل بهذا العرض يتبين الوساطة فى الفيض، وفى قوس النزول أيضاً علّة اختيارية، ما به الوجود لاـ ما منه الوجود؛ فإنّه خاصّ به تعالى. وقد قرّر ذلك فى مباحث الفلسفة أيضاً، إلّاأنّ نمط البحث العقلى النظرى لا يترقّى فى تصويره إلى بيان أنّ نظام الأسباب فى حين كونه نظام وجوب؛ فهو بأفعال اختيارية تنفيذاً للأمر الإلهى.

ويتّضح أنّ المطلب الذى أوقع البحث العقلى فى التقريب الناقص للموضوع وإلى حدّ قد ينعكس منه الجبر وأنّ القضية ذات نظام ذاتى لا يمكن الخروج عنه، نظير ما قالته اليهود من أنّ يد اللّه مغلولة، هو اعتمادهم على لغة العقل وحده منفصلًا عن النقل.

والمؤسف أنّ البعض لم يرض بالنقلة الإيجابية التى خطاها صدر المتألّهين فى حكمته حيث طعّمها بالقرآن والسنّة، آخذاً عليه أنّه خروج عن منهج البحث

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۸۷

الفلسفى الذى يتطلّب التمحّض فى العقليات.

ولاـ نقصد بذلك التفكيك فى العمل بالنقل بمعزل عن العقل، وأنّما الغرض هو التنبيه على عدم الجمود على القواعد الفلسفية والعرفانية والكلامية مع ضرورة الخوض فيها، وأنّها بدونها تكون عملية التفقّه فى العقائد سطحية، لكن اللازم الترقّى بالتوغّل أكثر فى روايات أهل البيت لاكتشاف المعارف التى قصرت المناهج عن الوصول إليها، مع أنّها مدلّلة بنكات بينة فى الروايات، لكن لم يحصل التنبّه إليها فى العلوم العقلية، بل جملة كثيرة مترامية من المسائل لم تعنون فى البحوث العقلية.

وبعد كلّ هذا، اتّضح نظام عالم الملائكة وأنّه مختار ومتكامل ومعصوم، ووقوع المخالفة لإرادة المولى بنحو ترك الأولى بسبب الجهل الممكن تلافيه، ومن ثمّ أمكن تعقّل الأمر والنهى الحقيقيين فيه، وأنّه لاـ يختلف عن البشر إلّافى قضية الشهوة والغرائز، ويشترك معه فى باقى الخصوصيات. وهذا ما يستفاد من كلام أمير المؤمنين عليه السلام فى بيان أمراللّه الملائكة بالسجود لآدم وإباء ابليس: «فمن ذا بعد إبليس يَسلَمُ على اللّه بمثل معصيته؟ كلّا، ما كان اللّه سبحانه ليدخل الجنّة بشراً بأمر أخرج به منها ملكاً، إنّ حُكمَه فى أهل السماء وأهل الأرض لواحد، وما بين اللّه وبين أحد من خلقه هوادة فى إباحة حِمىً حرّمه على العالمين» «۱» فصريح كلامه عليه السلام أنّ الأحكام الإلهية بحسب دائرة الدين واحدة لأهل النشأة الأرضية والنشآت الأُخرى، فدين اللّه واحد فى العوامل وليس يخصّص بدار الدنيا، وكلامه عليه السلام يشير إلى قوله تعالى: «أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا» «۲».

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۸۸

ومن ثمّ نقول: إنّ هذا النظام الملائكى قد كلّف بشريعة مطابقة لشريعة السنن الإلهية الكونية والظاهرة، بعد التذكير بأنّنا قد انتهينا من تصوير الشريعتين الظاهرة والكونية فى نظام التكوين، بأنّها شريعة واحدة والوسيلة فى التلقّى والتطبيق مختلفة، بيان ذلك:

إنّ الشريعة الظاهرة عبارة عن صفحة نازلة قد دوّن فيها كلّ ما فى عالم التكوين فى قوس الصعود والنزول ونشأة الدنيا وهى الواقعة بين القوسين، نهاية الأوّل وبداية الثانى، وبهذا التصوير يفهم قوله تعالى: «وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ» «۱»

، فإنّه يدلّ بوضوح على عدم وجود شرعة أجنبية عن شرعة الظاهر.

وبهذا نصل إلى نتيجة وهى: إنّ القضايا التكوينية التى واجهها موسى قبل لقائه بالخضر المشابهة للقضايا التى شاهدها مع الخضر، أيضاً مطابقة لشريعة الظاهر بنفس البيان، سوى أنّ القضايا التى واجهها موسى أوّلًا حديث ضمن المسار التكوينى، والتى واجهها ثانياً مع الخضر حدثت على أساس الشريعة الكونية.

الفائدة الخامسة ...: ص: ۴۸۸

إنّ الأئمّة عليهم السلام يطبّقون الشريعة الكونية فى السنّة الإلهية التكوينية ويعملون بموازينها جنباً إلى جنب عملهم بالشريعة بدرجة الظاهرة.

وبتعبير آخر: إنّ الأئمّة فى تطبيقهم للشريعة الظاهرة يستخدمون كلتا الوسيلتين: العلم اللدنى والعلم الحسّى، ويشهد لذلك تعليلهم لبعض القضايا بعلم القضاء والقدر، مثل: «شاء اللّه أن يراهنّ سبايا».

وشاهد آخر: إقدامهم على ما يعلمون، كالإقدام على القتل، فإنّ تفسيره

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۸۹

الصحيح هو العلم اللدنى، حيث كان استشهادهم بعد إجراء قانون التراحم بين الملاكات الكاملة أولى «۱».

وظهر أيضاً: أنّ مهمّة الهداية الإيصالية لا تخصّ الملائكة- كما يظهر ذلك من العامّة- بل تعمّ قسماً من البشر الذين يتمتّعون بمواصفات خاصّة، بل يظهر من القرآن أنّهم أكمل من الملائكة..

وظهر كذلك أنّ الإمامة غاية النبوة وأنّ الهداية الإيصالية غاية الهداية الإرائية.

وهذه النكتة هى المحور الأصلى فى القصّة، بقرينة أسى النبى الذى ورد فى أوّل السورة: «لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ» «۲»

، فكانت قصّة الخضر وغيرها لتطمين النبىّ صلى الله عليه و آله بأنّ الهداية الإيصالية موجودة وبواسطتها ستتحقّق الأغراض المجموعية والفردية للشريعة الظاهرة.

فإنّ الإرادة الإلهية لمّا كانت تعنى بالتحفّظ على أغراض الشريعة الكلّية فى الجزئيات التفصيلية بالنسبة إلى عموم المجتمع، وبالأغراض التى تعدّ استراتيجية بالنسبة إلى الشريعة الظاهرة، كما نلحظ ذلك فى قضية الخضر، فإنّه يدلّ بالأولوية

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۹۰

على أنّ الإرادة الإلهية والهداية الإيصالية لا تهمل ما كان بالغ الأهمّية فى الشريعة الظاهرة كالشؤون المرتبطة بالدولة والحكم وهداية المجموع.

الخلاصة: استعراض لأهمّ المحاور التى وردت فى هذه الآيات الكريمة:

المحور الأوّل: وجود تشكيلة من أولياء اللّه الذين اختارهم اللّه حججاً على عباده يقومون بدور وظّفوا له ومن وراء الستار، وقد جاء فى سورة الكهف «۱» ذكر مواصفاتهم.

المحور الثانی: إنّ الإمامة غایة النبوّة، وقد جاءت القصّة لتؤکّد هذا الأمر وطمأنة للنبیّ صلی الله علیه و آله بأنّ الهدایة الإیصالیة ستتکفّل تحقیق أغراض الشریعة الظاهرة والهدایة الإرائیة التی قام بها الرسول الأعظم علی أکمل وجه.

المحور الثالث: هناک قسم آخر من الحجج وراء الرسالة والنبوّة والإمامة، والذی تمثّله الزهراء علیها السلام ومریم علیها السلام والخضر علیه السلام مع حفظ الفارق، وقد أشارت الروایات «۲» إلی هذا القسم.

المحور الرابع: وجود شریعتین ظاهرة وکونیة فی الإرادات ومن دون بینونة بینهما.

المحور الخامس: الملاک والحکم فی الشریعتین أو درجتی الشریعة واحد، إنّما الاختلاف فی وسیلة الإحراز والإنفاذ.

المحور السادس: التزاحم الملاکی ظاهرة غالبة فی الشریعة الکونیة، وحلّه هو ترجیح أحد الملاکین الأهم، یتمّ بواسطة العلم اللدنی بعد مقایسة بین الملاکین ولکن لا بحدود ضیقة مقطعیة.

المحور السابع: إنّ الملائکة فی قوس النزول مخاطبون ومکلّفون بالدین

الامامة الالهیة(۵)، ج۳، ص: ۴۹۱

والشریعة فی السنن والإرادات الإلهیة الکونیة، بعد أن کانت لهم إرادة واختیار وتکامل ممّا یمکن به تعقّل التکلیف والطاعة والمخالفة، مع قبول عصمتهم وأنهم لا یعصون اللَّه ما أمرهم، مع الالتفات إلی تبعیتهم فی الدین للأنبیاء والرسل الذین لهم مقام الإمامة وخلافة اللَّه فی الأرض، کما أسجدهم الباری تعالی لآدم والذی یهدف إلی خضوعهم وتبعیتهم لخلیفة اللَّه فی أرضه، هذا بعد أن کانت شرائع الأنبیاء مشتملة علی قوس النزول والصعود والفروع. وبعبارة أُخری: أنّ الشرائع التی بُعث بها الأنبیاء وإن کانت مختصّة بأهل الأرض من الإنس والجنّ لکنّ الدین المتّحد بین الأنبیاء فهو عامّ لأهل السماء والملائکة، کما أنّه عامّ لکلّ النشآت والخلائق.

المحور الثامن: ولایة کلّ نبیّ ورسول مقام أرفع من نبوّته وإمامته، ولکنّ النبیّ أرفع مقاماً من الولیّ الحجّة المعاصر له؛ حیث کان الأوّل محیطاً بالإرادات الکلّیة والثانی بالجزئیة، فهو تابع للأوّل.

المحور التاسع: إلفتنا لأقسام التأویل وفرق الباطن عن الظاهر وفرق الشریعة الکونیة عن الظاهر، ولمّا کان الأوّل مأخوذاً فیه الانتهاء والرجوع أمکن أن نضع إصبعنا علی الجامع بین الأقسام: إنّ کلّ عالم سابق له تأویله فی اللاحق.

ونضیف: أنّ هناک عکس التأویل، فعالم الذرّ والمیثاق یفسّران العدید من الظواهر التی تجری لأشخاص فی النشأة، وبتعبیر أوضح: کما أنّ النشأة اللاحقة تأویل للسابقة، کذا السابقة لها نوع تفسیر للّاحقة، وهذا هو الذی أشارت له أخبار الطینة: «لو علم الناس کیف خلق اللَّه تبارک وتعالی هذا الخلق لم یلم أحدٌ أحداً» «... ۱»

وکذا روایات الذرّ والمیثاق.

الامامة الالهیة(۵)، ج۳، ص: ۴۹۲

المحور العاشر: إنّ الهدایة الإیصالیة هدایة المجموع والجمیع؛ فإنّها کما تعنی بالأغراض المرتبطة بالمجموع البشری کذا تعنی بأغراض کلّ فرد بل حتّی الواسطة.

النموذج الثانی القرآنی: قصّة ذی القرنین ... ص: ۴۹۲

سیتمّ الإلفات إلی المحاور التالیة:

۱- مرتبة ذی القرنین.

۲- القوّة التی مُنحت له.

۳- التدبیر الإلهی لجزئیات وتفاصیل المجتمع البشری فی قصّة ذی القرنین.

۴- ربط القصّة بالمحور الأصلی فی سورة الکهف.

«وَيَسْأَلُونَكَ»، ظاهر فی أنّ قصّة ذی القرنین شائعة لدی الأقوام، وأنّ الرجل وقصّته حقیقة تاریخیة عاشتها البشریة.

«سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا»، ظاهر فی أنّ القرآن لا یروی کلّ تفاصیل القصّة، وإنّما یقتصر علی بعض ملامحها.

«إِنَّا مَكَّنَّا» تعریف بشخصیّة الرجل کما فی قصّة الخضر حیث ابتدأت بالتعریف به، وهذا التمکین هبة وأنّ التمکین هاهنا تمکین لدنی. والتمکین لا- یطلق علی الملک الیسیر وإنّما علی الملک الواسع العظیم، ومن ثمّ ذکر ذلک فی سورة یوسف والآیات الواردة فی نشأة المهدی علیه السلام فی جانب الخیر، وفی عاد ونمرود فی جانب الشرّ.

«وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا».

لا سبب کلّ شیء، ولکن مع کون (من) تبعیضیة إلّاأنّها دخلت علی (کلّ شیء)، ومن ثمّ شکّل هذا الإعطاء میزة وخصوصیة لذی القرنین؛ لأنّ (کلّ) تفید

الامامة الالهیة(۵)، ج۳، ص: ۴۹۳

العموم، ومدخولها فی غایة الإبهام والعمومیة.

«سَبَبًا» لم یستعمل القرآن فی غیر ذی القرنین، نعم ذکرت منفیة عن غیره، «فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ» «۱»

، «لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ» «۲»

، «وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ» «۳»

. والسبب فی اللغة: کلّ شیء یقتدر به علی شیء آخر، سوی أنّه فی القرآن استعمل فی الوسیلة غیر المتعارفة.

وهذا الإعطاء حبوة إلهیة ومنحة وهی القدرة اللدنیة، بقرینة أنّه لم یذکر لغیره، وأنّه أردف الإتیان بالسبب، وأنّ ذا القرنین من الأولیاء الحجج کما سیأتی، وأنّه قد استعملت فیه نفس التعبیرات المستعملة فی سلیمان.

ثمّ إنّ المراد من السبب فی عالمنا- کما یظهر من الروایات وجاء فی کلمات الحکماء والمتکلّمین- المعدّ، لا سیما فی عالم المادّة، لا الفاعل ومعطی الوجود؛ فإنّه منحصر به تعالی، فهو ما منه الوجود وغیره ما به الوجود.

ویترتّب علی ذلک أنّ کلّ المعادلات والقوانین فی هذا العالم لا ضرورة بتّیة فیها بعد أن لم تکن الظواهر من الأسباب سوی معدّات تعدّ القابل وتهیئه لاستقبال الفیض الإلهی، بل لیس معدّات عالم الطبیعة هی تمام المعدّات، بل توجد معدّات أُخری ملکوتیة فضلًا عن الأسباب الفاعلیة، لا سیما أنّ بعض الأسماء الإلهیة تقتضی بعض المعدّات التی لا نعلم بها.

وبه یمکن تفسیر جملة من التخلّفات مثل: «قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ» «۴»

، «وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ..».

والواو فیها استئنافیة، فیکون المفاد أنّه بالإضافة إلی تمکینه- الذی قید (فی

الامامة الالهیة(۵)، ج۳، ص: ۴۹۴

الأرض)- الإیتاء وهو المنسجم مع عمومیة التعبیر الذی سبقت الإشارة إلیه، وهو الظاهر من الروایات حیث ذکرت أنّها من أسباب السماوات والأرض، بل الظاهر من الروایات أنّه أوتی ملکوت السماوات والأرض، حیث جاء التعبیر ب «کشط له».

«فَأَتْبَعَ سَبَبًا» من تلک الأسباب.

«حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ» سار بالأسباب التی زوّد بها، وقد ذکرت الروایات أنّه کان یسیر فی فتوحاته بالزئیر. (مغرب الشمس) إشارة إلی أقاصی الأرض، وقد یقال بأنّ رحلته فضائیة فی السماء کما مرّ إشارة الروایات إلی أنّ الأسباب التی أوتیها سماویة وأرضیة وأنّه «کشط له».

«قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ»، خطاب مباشر منه تعالی لذی القرنین، ومن ثمّ قیل إنّه نبیّ، ولکنّه خلاف ظاهر القرآن حیث لم یصفه بالنبوّة ولا

بالبعثة والرسالة، مع أنّه فى مقام الإجابة عن التساؤل عن الغموض فى حال ذى القرنين.
وهذا هو الظاهر من الروايات أنّه محدّث، كما يلاحظ ذلک فى أجوبة الأئمّة عليهم السلام عندما كانوا يُسألون عن علمهم فكانت الإجابة أنّه كصاحب موسى وذى القرنين، أى ليست علومهم بنبوّة، ولكنّه علم لدنى معصوم، والوحى المباشر لا- يعنى النبوّة وإنّما التشريف والحظوة فى الاصطفاء، نظير: «يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ* وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا مِنَ الصَّالِحِينَ* قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ» «۱».

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۹۵

«إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا»، تدلّ على أنّ الحاكمية- القيادة السياسية والقوّة التنفيذية- أوّلًا وبالذات هى للّه‌تعالى، وكلّ حاكم عداه سواء كان نبياً أو وصياً أم غيرهما من الحجج المصطفين، فحاكميته فى طول حاكمية اللّه تعالى.
حيث يظهر من الآية أنّ هذا التخيير الإجرائى والتدبير السياسى التفصيلى منحه اللّه لذى القرنين، ممّا يدلّ على أنّ الحكومة السياسية التنفيذية بيده تعالى، ولم تفوّض للبشر بمعزل عن اللّه كما عليه أهل سنّة الخلافة وجماعة السلطان. والقيادة السياسية شعبة من شعب الهداية الإيصالية كما سيأتى توضيحه.
«حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ»، والحديث الحديث، مع دلالتها على أنّ ذا القرنين كان معنياً بتدبير عدّة مجتمعات وفى مجالات متعدّدة.
«لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا»، ممّا يكشف أنّهم كانوا فى تخلّف مدنى حتّى على مستوى الضروريات والأولويات، وقد كُلّف ذو القرنين برفع هذا التخلّف.
والروايات أيضاً تدلّ على أنّ من مهام الإمام والولى الحجّة هو رفع هذا النمط من التخلّف، كما فى تصدّى الإمام الباقر عليه السلام فى حساب المسافة فى قضية البريد وصکّ النقود، وتصدّى أئمّة أهل البيت لتأسيس جملة من العلوم، كما هو شأن الأنبياء السابقين حيث جاءوا للبشرية بأُسس العلوم «۱»، وهذا مقتضى العناية الإلهية بعد أن كانت لضروريات العيش مدخلية فى التكامل الروحى للأُمّة.
«كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا» يدلّ على إحاطة الربّ تعالى بتفاصيل ما يجرى وأنّها محور عنايته واهتمامه، فكان كلّ ما يجرى تحت نظره.
وبعد اتّضاح الصورة فى ملامح ذى القرنين يمكن أن نخرج ببعض النتائج التالية، وهى:

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۹۶

أوّلًا: إنّ تمكينه فى الأرض لأجل استصلاح المجتمعات البشرية وإيصالها إلى الكمال المنشود ببناء حضارتهم ومدنيتهم بالقدر اللازم، وإرساء العدل وإفشاء الصلاح ورفع الظلم عنه، كما يبدو ذلک من النماذج التى تعرّض لها القرآن من حياته.
والقرآن كما ذكرنا سابقاً يتناول التعريف بالحياة الشخصية للرجالات والأُمم السابقة كسنن إلهية، ويركّز على المحاور ذات العبرة التى تساهم فى رسم العقيدة والشريعة، والروايات حدّثتنا عن جملة من الأبعاد الشخصية لهؤلاء.
وما ذكر من ملک ذى القرنين الذى مُكّن منه مع النماذج التدبيرية التى قام بها، تلحظ أنّها وثيقة الصلة فى سورة الكهف بالمحور الأصلى وهى طمأنينة الرسول بأنّ الهداية الإيصالية وهى مقام الإمامة وأنّها هى التى ستحقّق أهداف الرسالة والهداية الإرائية التى هى مقام النبوّة.
«لَايَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا»، تخلّفهم أكثر من القوم الذين التقى بهم سابقاً.
ثانياً: «فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ»، مع أنّ ذا القرنين أوتى كلّ ما سبق وأنّه منصوب من قبل اللّه تعالى وفى الوقت الذى زوّد بتلک القدرة اللدنية وقد ملک فيها الدنيا، إلّا أنّه يطلب الإعانة، ممّا يعنى أنّ الغرض الإلهى لا يتحقّق بالإلجاء، وإنّما لابدّ للأُمّة أن تنهض بمسؤوليتها، فى الوقت الذى منّ اللّه عليها بالهداية الإيصالية أى بنصب الإمام لهم.

ومن هنا أمكن أن نفهم توجيه الخطاب بالحكم ووظائف الدولة للأمّة، وأنّه لا يعنى أنّ الولاية بيد الأمّة كما فهمه البعض، كما لا يعنى أنّ الأُمّة مرفوع عنها المسؤولية تماماً فى هذا المجال، وإنّما تعنى أنّ هناك مسؤولية ملقاة على عاتق الأُمّة تجاه الحكم والوالى، وهى الإعانة والتجاوب والطاعة، حيث لم تكن سنة اللّه الإلجاء وكن فيكون فى نشأة الدنيا، وبالتالى اليد الواحدة- يد الوالى- لا

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۹۷

تصفّق كما فى المثل، فنصب الإمام من اللّه للناس لا يعنى إسقاط التكليف عن الأُمّة بنصرته وتمكينه وإقداره من قبلهم، فهناك تكليف مُلقى على عاتق الإمام كما أنّ هناك تكليف مُلقى على عاتق المأمومين وهم الأُمّة.

ثمّ تستعرض الآيات تفصيل بناء السدّ للدلالة على أنّ الأولياء يعملون بالأسباب الظاهرية، على العكس من توقّع الناس أن يكون سيرة ولى اللّه فيهم كلّها بالإعجاز وخرق الأسباب.

«رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّى» فى حال أنّ بناء السدّ كان من خلال الأسباب الطبيعية، ولكن لم تكن تلك الأسباب مكتشفة آنذاك، ومن ثمّ كان رحمة، حيث اطّلعوا على بعض أسرار الطبيعة.

فتلخّص: أوّلًا: إنّ هناك قدرة لدنية، زوّد بها ذو القرنين، وملكاً عريضاً، ربما كان أوسع من ملك سليمان.

وثانياً: وكان برنامجه استصلاح الأقوام البشرية المغلوبة والمتخلّفة والمتناحرة، فأفشى العدل فى قوم، وهيّأ ضروريات المدنية لآخرين، وبنى السدّ لثالث.

وثالثاً: وبأسباب طبيعية كشفت لهم.

ورابعاً: مع نفى الإلجاء وحفظ دور الأُمّة ومسؤوليتها.

وقد ألفت القرآن إلى كلّ هذا فى حياة هذا الولى؛ لرفع أسى النبىّ صلى الله عليه و آله وطمأنته بأنّ الأغراض التى على أساسها كان التشريع ستحقّق من خلال الهداية الأمرية فى إمامة الأُمّة، كما قال تعالى: «وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ» «۱».

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۹۸

النموذج الثالث القرآنى: قصة أصحاب الكهف ... ص: ۴۹۸

وهذه السورة متميزة ببحث الإمامة بنحو مركّز جدّاً، ولو سمّيت بسورة الإمامة لكان حرياً، لا سيما وأنّه ذكر نموذج رابع فيها وهو استخلاف آدم كخليفة للّهفى الأرض وإطواع جميع الملائكة له، وهذه الواقعة برمتها عنوان كبير لمعتقد الإمامة، فسلسلة البحث فى كلّ هذه السورة يدور حول الوصول إلى أهداف الرسالة وغاياتها بتوسّط الإمامة، وأصحاب الكهف وإن لم يكونوا حججاً مصطفين، إلّاأنّ الحديث عنهم له صلة بالإمامة من جهة صلة هدايتهم بالهداية الإيصالية، وهى الإمامة عبر قناة الروح لا عبر قناة الهداية الإرائية وهى النبوّة الظاهرة والسماع بالحسّ.

«إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ»، بيان أنّ عالمنا عالم الإمتحان، فلا إلجاء ولا جبر كما فى قوله تعالى: «لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ» «۱»

، وإنّما اختيار واختبار، كما فى قوله تعالى: «الَّذِى خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيوةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ» «۲».

وقد توسّطت هذه الآية بين آية «لَعَلَّكَ بَاخِعٌ..» وقصّة الكهف؛ للتنويه على أنّ الهداية الإيصالية وإن كانت متحققة فى إمامة الإمام إلّاأنّ المسؤولية ما زالت قائمة على الأُمّة، ولابدّ أن تخطو باختيارها نحو الكمال ومن اللّه التسديد والتأييد.

ثمّ إنّ سورة أهل الكهف مكّية نزلت إثر محاولة قريش إحراج النبىّ صلى الله عليه و آله عندما استعانت بثلاثة أرسلتهم إلى نجران للتوفّر على مسائل معقّدة يعجز عن الإجابة عليها، فكانت أهل الكهف وصاحب موسى وذو القرنين. وقد قال علماء نصارى ويهود

نجران: إنّ محمّداً إن أجاب عنها فهو نبىّ وإلّا فلا، ثمّ طلبوا سؤاله برابعة إن

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۹۹

أجاب عنها فهو ليس بنبىّ، وهو: عن الساعة ومتى هى؟

وتذكر الرواية أنّ الرسول أوعد بالإجابة غداً من دون تعليق وعده على المشيئة الإلهية فحُبس عنه الوحى أربعون يوماً، فاغتمّ وحزن كثيراً، وكذا حزن عمّه أبوطالب عليه السلام حتّى نزل الوحى بالإجابة.

والملفت للنظر ترابط هذه القصص الثلاث فى فكرة الهداية الإيصالية التى هى حقيقة الإمامة، مع أنّ اليهود اختاروها على أساس من المسائل الصعبة لا أكثر.

«أَمْ حَسِبْتَ»، لا دلالة فى السورة على أنّ أصحاب الكهف أولياء وحجج، وإنّما هم من القسم الخامس وهو الأولياء غير الحجج، وقد شُرّفوا بمقام أوجب ذكرهم.

«الرَّقِيم» فى الروايات أنّ أسماءهم مرقومة فى لوح من رصاص، رقّمها الملك الكافر الذى كان يريد قتلهم، أو الذى عرفهم بعد إفاقتهم فرقّم أسماءهم على هذا اللوح ووضعه على قبورهم بعد موتهم.

«أَمْ حَسِبْتَ» تدلّ على أمرين:

الأوّل: البعث والمعاد كما سنبين.

والثانى: إنّ الغلبة للّه‌تعالى، وإن أغراضه ستتحقّق، فهؤلاء مجموعة غلبت على أمرها من رواد الباطل وعلى رأسهم الملك آنذاك، إلّاأنّ الدائرة دارت عليهم فانقرضوا وبقيت تلك المجموعة المستضعفة خالدة تشكّل نبراساً للحقّ.

وارتباط هذا البعد بالمحور الأصلى واضح، وأنّه مهما حصل وفعل أهل الباطل، ومهما قويت شوكتهم فلن يعيق تحقّق الغرض الإلهى، فإنّ المغلوب ظاهراً غالب باطناً، أى فى الخفاء والمآل.

ومن ثمّ يفهم السرّ فى ترديد الرأس الشريف المقطوع للحسين عليه السلام المشال على رأس الرمح لهذه الآية المباركة وهو يُطاف به فى بلدان أُمّة الإسلام.

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۰۰

والروايات تشير إلى هذا المضمون.

«الْفِتْيَة» أشرنا ويأتى تفصيل أنّ هؤلاء ليسوا من الأولياء الحجج، وقصّتهم معجزة.

ومن ثمّ نفهم أنّ المعجزة ذات طابع الرحمة تكشف عن شرف من تقوم فيهم وعلوّ مقامهم.

هذا فى المعجزة الرحمة، والعكس بالعكس، فالمعجزة العذاب كالقمل والضفادع والدم تعبّر عن ذلّة من قامت فيه المعجزة وخسّتهم.

كما أشرنا إلى أنّ هؤلاء الفتية صاروا عظة وعبرة وقدوة للبشرية، ممّا يؤكّد أنّ مقامهم وإن لم يصل حدّ الحجّية إلّاأنّه مقام رفيع ومكانة مرموقة فى مجال التكامل المعنوى، ومن هنا جاء فى الدعاء: «اللهم إنّى أسألك بكلّ عبد امتدحته فيه»، أى فى القرآن.

ولم يقتصر القرآن فى ذكر هذا النمط من البشر على أصحاب الكهف، وإنّما ذكر آخرين كمؤمن آل فرعون.

«إِذْ أَوَى»، ظاهر فى نوع الإلجاء والاستجارة، ويؤكّد ذلك طلبهم الرحمة الخاصّة من اللّه تعالى، ممّا يكشف عن عمق محنتهم.

«أَيُّ الْحِزْبَيْنِ»، عبرت عن كلا الطرفين بالحزب، مع أنّ أهل الكهف قلّة جدّاً، ممّا يدلّ على التفخيم، وأنّهم يمثّلون خطّاً هو خط الهداية.

«ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ»، النوم نوع من التوفّى كما أشار إليه القرآن الكريم، ونظير البعث الإيقاظ من النوم للتعريف بالأطول بقاءً، والتدليل على أنّ الهداية الإيصالية لا تتخلّف، وهذا هو البعد المرتبط بالمحور الأصلى.

وفى الروايات بيّن هدف بعثة أصحاب الكهف من رقدتهم بأنّه: دحض دعوى الكافرين حيث كانوا ينكرون المعاد، كما يشير إليه

قوله تعالى: «لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۰۱

اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَارَيْبَ فِيهَا» «۱».

«إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ»، هذه الآية تتعرّض لمجمل عقائدهم التوحيدية الرفيعة وحكمتهم العملية، من دون أن توجد دلالة فی الآيات على تعريفهم بواحدة من الديانات المعروفة، ممّا يعنى أنّ إيمانهم هذا بدافع من فطرتهم السليمة.

«وَزِدْنَاهُمْ هُدًى»، وهى هداية خاصّة مُنحوا إياها علاوة على إيمانهم، ممّا يدلّ على رفعة مكانتهم.

«فَأْوُواْ إِلَى الْكَهْفِ» بداية لإنشاء مجتمع توحيدى منفصل ومستقلّ عن مجتمع الكفّار؛ لوجود التقاطع بين المجتمعين، ممّا يفرض وجود دارين: الإيمان والكفر.

«وَتَرَى الشَّمْسَ..»، النوم وما جرى عليهم فی أثنائه أُمور غير اختيارية إلّاأنّها ممزوجة باختيارهم، وبها كانوا آية من آيات اللَّه تعالى.

«مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ..»، لباب القصّة وحلقة الوصل مع المحور الأصلى فی السورة، والهداية من دون قرينة يقصد منها الإيصالية فی قبال النذارة، وذيل الآية قرينة على الإيصالية؛ لظهور الولاية فی ذلك، والإرشاد وإن كان إراءة إلّاأنّه ليس إراءة كلّية كما فی نذارة النبوّة، بل هداية تفصيلية متولّدة من الإرادة الكلّية النبويّة فی التشريع، ومن ثمّ لم يستعمل نعت الإرشاد للنبىّ صلى الله عليه و آله من جهة مقام النبوّة.

ومرّة أُخرى نلفت إلى أنّ محور الخلاف مع العامّة هو أنّهم اقتصروا على ضرورة الإراءة والتنظير من دون الإيصال إلى المطلوب.

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۰۲

«لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا»، عناية إضافية حفظاً لهم عن التلف.

«وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا..»، واحدة من الأدلّة القرآنية على مشروعية التقية.

«وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ..»، واحدة من الغايات، وهى- على الظاهر- نصر المؤمنين فی الدين وقدرة البارى تعالى على بعث الأموات.

«وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَارَيْبَ فِيهَا»، غاية أُخرى: وهى المعاد وهو امتداد الهداية الإيصالية، فإنّه يعنى السير إلى اللَّه تعالى واللقاء به، وهو لا يتمّ إلّابواسطة الهداية الإيصالية والإيصال إلى المطلوب.

ومن ثمّ كان المعاد واحداً من الأدلّة على الإمامة، فالآية تدلّ على أنّ الهداية الإيصالية تحقّق وتوفّر بلوغ الغاية فی الدنيا والآخرة.

«لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا..»، فيه تقرير لجواز اتّخاذ المساجد على القبور، وجعله مكاناً إذا كان موجباً للعبرة كأصحاب الكهف، والقرينة على ذلك هى تذكير القرآن بهذا الاقتراح من بين الاقتراحات المطروحة من القوم حول أهل الكهف الذين فارقوا الحياة.

«وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا..»، مرتبط بما ذكرناه فی سبب نزول السورة ووعد النبىّ صلى الله عليه و آله إجابة الأسئلة من دون تعليق ذلك على المشيئة.

«اللَّهُ أَعْلَمُ..»، لعلّه ظاهر فی أنّ سنّة اللَّه أن يُبقى الولاية والهداية الإيصالية محاطة بشىء من الغموض و الخفاء، فلا تكون معروفة فی حينها للجميع، كما لا يتمّ التعريف بكلّ جنباتها، خاصّة النوع الأوّل والثانى المتمثّل فی أصحاب الكهف والخضر.

«مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ..»، فهو الذى يتولّى البشر ويهديهم، والولاية مفهوم قد استبطن فيه القدرة، فالإمامة هى نافذية حكم اللَّه من دون إشراك..

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۰۳

«أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ..» للدلالة على بالغية إحاطة اللَّه تعالى بمجريات الأُمور ومقدّراتها على صعيد الأفراد والمجموع البشرى.

وبهذا ينتهى الحديث فی هذه القصّة، وأهمّ ما جاء فيها:

۱- وجود هداية إرائية وإيصالية حتّى فيمن لم يتوفّر على هداية الرسول الظاهر.

۲- وجود قسم من الأولياء وذوى الشأن وراء الولىّ الحجّة، وقد وصل بعضهم إلى مقام ضرب المثل والآيتية والقدرة، كما فى أصحاب الكهف، ولعلّ نظيرهم: «جَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى» «۱».

۳- إنّ المأخوذ فى ماهية الهداية الإيصالية نوع من القدرة والتصرّف التكوينى، ولكن من دون إلجاء، بقرينة مرشداً التى تعنى الهداية الإرائية والتبعية.

۴- إنّ النصرة والظفر فى الدنيا من سنن اللَّه التكوينية، ومن ثمّ يستتبّ الأمر أخيراً لحزب اللَّه النجباء.

۵- وجود ارتباط وثيق بين الإمامة وبين المعاد، وعلى أساسه يمكن فهم فكرة الشفاعة، الحضور عند الاحتضار، شهادة الأعمال، قسيم الجنّة والنار.

۶- حكمة اللَّه اقتضت كتمان بعض زوايا الهداية الإيصالية، ومن ثمّ قد توجب نوعاً من الاستغراب والتعجّب عند من لم يطّلع على الأُمور ويتعامل معها بشكل سطحى، وإلى حدّ قد تصل الحالة إلى تفسير بعض الظواهر بالعبث.

۷- «وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا»، يدلّ على أنّ الذى يحقق الأغراض هو تعالى، فلا تنحصر القضية حينئذٍ بالهداية الإرائية.

۸- مقتضيات الفطرة هى البنية التحتية للأُصول والفروع.

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۰۴

والآيات اللاحقة تحوم حول هذه الأفكار:

أ- غايات اللَّه لا مبدّل لها، فلابدّ أنّ تتحقّق: «وَاتْلُ مَا أُوحِيَ..».

ب- الدعوة للتمسّك بالهداية الإرائية والتى هى الخطوة الأُولى فى السير والاهتداء بالهداية الإيصالية: «وَاصْبِرْ نَفْسَكَ..».

ج- أعمال الكفّار هباء وأعمال المؤمن مثمرة وإن استقلّتها الأعين:

«وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا».

د- كلّ سير وسلوك تحت قدرة اللَّه جلّ وعلا: «مَثَلُ الْجَنَّةِ».

ه- سلسلة المنظومة الطبيعية ذات غايات: «وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا».

و- عدم النظرة المقطعية ودعوة إلى نظرة طولية: «الْمَالُ وَالْبَنُونَ».

«وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ..»، أذكر أيها الرسول استخلاف آدم وقد تقدّم تبيانه فى الفصول السابقة وأنّ ظاهر ألفاظ آياتها كما هو مفاد الروايات هو لأجل تبيان الإمامة، واتّضح فيها أنّ رائد منظومة الهداة فى الإيصال إلى المطلوب هو الإنسان الكامل، وأنّ التدبير فى هذا المجال لا يختصّ بالملائكة كما يتوهّم ذلك أهل سنّة الخلافة وجماعة السلطان. هذا وأنّ سورة الكهف اقتصرت على هذا المقطع من القصّة وهو ذو الارتباط بالمحور الأصلى فى القصّة.

سورة الكهف سورة الإمامة ...: ص: ۵۰۴

إلفاتة: وبعد كلّ ما تقدّم من قصّة أصحاب الكهف، بعد عرض كلّ من قصّتى موسى مع الخضر، وذى القرنين، أصبح من المناسب الإلفات إلى زاوية التناسب بين القصص الثلاث:

حيث يطالعنا القرآن فى سورة الكهف فى القصّة الأُولى على نموذج لم يكن نصيبهم من الهداية الإرائية أكثر من قضاء الفطرة وحكم العقل، وكأنّهم كانوا فى

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۰۵

زمن الفترة بين الرسل فلم يوَفّقوا لمعرفة الإمام والوصى الخفى آنذاك، ولكن لم يمنعهم ذلك من الاستجابة لفطرتهم وعقولهم، وإن كانت محدودة بالعمومات والأُسس العامّة الفطرية الأوّلية الإجمالية، فلم يحرموا من الهداية الإيصالية بالقدر الموازى لما عرفوه.

فى حين نلحظ فى القصّة اللاحقة أنّ دائرة ورقعة الهداية الإرائية أوسع من العقلية حيث اقترنت معها هداية تشريعية، فالخضر كان تابعاً لموسى ومتديناً بشريعته، سوى أنّ الهداية الإيصالية كانت خفية وبشكل غير رسمى.

فى الوقت الذى نلحظ أنّ ذا القرنين زُوّد بالهداية الإيصالية الكاملة:

«وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ».

فالأنواع والدرجات التى ألَفتَ إليها القرآن فى الهداية الإرائية الثلاث، وبما أنّ اللّه بالغ أمره فى من اتّبعها، فتكون الهداية الإيصالية لكلّ درجة متناسبة معها.

وعندما ندرس خطوات الأنبياء نلحظ أنّها متدرّجة بالشكل الذى سلسلته سورة الكهف، حيث إنّ أوّل خطوة يخطوها الرسول فى طريق الدعوة إلى اللّه بإراءة الأُمور الكلّية الفطرية ثمّ التشريعية فى مرتبة ترافقها الهداية الإيصالية ذات الطابع السرّى غير المعلن، ثمّ تصل الذروة كما نشهده فى قصّة موسى حيث أقام الدولة، وكذا سليمان والنبىّ صلى الله عليه و آله فى بقعة من الأرض، وتُختم جميعاً بدولة المهدى عليه السلام «لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ»، والذى كان نموذج ذى القرنين مثالًا له.

ولم يكتف القرآن بذلك كى يتبهنا أنّ المجتمع البشرى دوماً فى حالة تقلّب وتغير فى هذه الأدوار الثلاثة.

ثمّ إنّ الآيات لا تشير إلى انتماء أهل الكهف إلى شريعة خاصّة، وكما فى قوله تعالى: «كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۰۶

بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ» «۱»

، على الفترة لا يعنى خلوّ الأرض من حجّة كما قد يتوهّم خصوصاً من تعبيره بالفاء فى الآية الدالّة على التراخى، وإنّما فى كلّ عصر يوجد شريعة وهداية إيصالية، سوى أنّ هناك فترات يكون فيها المعصوم مخفياً، وإلّا فبم نفسّر نبوّة آدم وكيف نكيفها مع الفترة مع الانسياق للتوهّم؟

وهناك روايات «۲» تدلّ على أنّ الهداية الإرائية موجودة ومتوفّرة، وهى ما يحكم به العقل والفطرة العقلية فى الإنسان وأنّه منجز وأنّ الإنسان يؤاخذ عليها ويحتجّ بها عليه.

وقصّة أهل الكهف شاهد من بين شواهد كثيرة على أنّ التجاوب مع هذه الهداية الإرائية يوصل إلى الهداية الإيصالية، فلا يحرم التسديد الإلهى فى الوصول إلى الكمالات المنشودة والأغراض التى أراد اللّه من عبيده تحقيقها.

وللتذكير والإيقاظ: نلفت إلى أنّ أحكام العقل لا تغنى عن الشرع؛ لمحدوديتها وعموميتها ممّا يجعلها بحاجة إلى الشرع فى تنزّلها وتفصيلها، ومن ثمّ لا نلحظ فى ما حدّثنا القرآن عن معارف أولئك الفتية والتزامهم أكثر من الأُسس العامّة التى وفّرها الرسول الباطن لهم، كالتوحيد وبعض الفروع الواضحة التى لا تخفى على العقل كقبح الكذب، كما أنّ القرآن لم يحدّثنا عن توفّرهم على الهداية الإيصالية أوسع مدى من هدايتهم الإرائية.

النموذج الرابع القرآنى: قصّة طالوت ... ص: ۵۰۶

وتبدأ من آية ۲۴۶ البقرة وتنتهى بآية ۲۵۳.

فى البداية نذكّر مرّة أُخرى: إنّ منهجنا فى التفسير يعتمد على الروايات التى

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۰۷

وردت فی ذیل الآیات مفسّرة لها، والتی یصنّف قسم کبیر منها فی حقل التأویل، والآخر لمعالجة الظهور الابتدائی.

وبما أنّ التأویل له صلة بمنصّة الظهور وقد ألفتَتَ الکثیر من الروایات إلی کیفیة ذلک- صرنا فی صدد التعرّف علی الظهور الثانی بتوسّط الظهور الأوّل ببرکة الروایات.

وهناک روایة عن أمیر المؤمنین علیه السلام تلفت إلی أنّ قصّة طالوت التی قصّها القرآن هی لضرب المثل للإمامة، وأنّها فیمن ولمن وممّن تکون.

ونبدأ الحدیث بعرض سردی لقصّة طالوت وتجمیع مفرداتها ثمّ ننتقل إلی دراستها محوریاً.

«أَلَمْ تَرَ إِلَی الْمَلَإِ..»، الملأ لغة: وجوه القوم وأعیانهم، فإنّه بهم تملأ العین، أو مجلس البلد وندوته.

«مِنْ بَنِی إِسْرَائِیلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَی..»، فی الروایات بعده خمسمائة سنة.

«نُقَاتِلْ فِی سَبِیلِ اللَّهِ..»، جالوت القبطی کما فی الروایات وما یأتی فی الآیات، حیث کان مستعمِراً لبعض أراضی بیت المقدس، ویبدو من الآیة أنّهم کانوا یفتقدون الملک القوی المدبّر.

«لِنَبِیٍّ لَهُمُ..» ظاهر فی أنّه رسول؛ حیث یفترق النبیّ عن الرسول فیما إذا کان قد نبّأ لنفسه أو لأهله، وأمّا إذا کان مبعوثاً لأُمّة فهو رسول، هکذا ورد فی الروایات، ومثله فی الآیات: «وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْیَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ» «۱»

، نعم لیس شرطاً فی الرسول أن یکون صاحب شریعة؛ إذ یمکن أن یکون تابعاً لشریعة رسول قبله، والاصطلاح القرآنی فی جملة من استعمالاته

الامامة الالهیة(۵)، ج۳، ص: ۵۰۸

فی القریة والمدینة لیس بالعمران والحضارة المادّیة وإنّما المدنیة والتحضّر بالمعرفة الأدیانیة.

«ابْعَثْ لَنَا مَلِکًا..»، ظاهره فی أنّه مغایر للنبوّة، حیث طلبوه من النبیّ، وأنّه غیر انتخابی، وإنّما مجعول من اللَّه تعالی، وأنّه أرفع منزلة من ذلک النبیّ؛ وإلّا لما أمکن أن یحکم المفضول الفاضل.

ثمّ إنّنا نؤکّد مرّة أُخری علی أنّ الإمامة وإن کانت تستبطن الإیصال وأنّ لطف اللَّه تعالی بالبشر ونعمته علیهم یتمّ بها فهی ضرورة، إلّاأنّها لیست بالإلجاء الإعجازی التکوینی، ومن ثمّ کان علی المجتمع- کما ذکرنا فی قصّة ذی القرنین- أن یبادر ویتحرّک تحت رایة الإمام من أجل تحقیق الأغراض الإلهیة المرتبطة بعموم المجتمع.

«إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَکُمْ طَالُوتَ مَلِکًا..»، فهذا الملک عهد إلهی خاصّ، وعبّر عنه القرآن الکریم ببعثة إلهیة، فالإمامة بعثة إلهیة أیضاً؛ لما تشمل من مقام غیبی لدنی، والمبعوث من اللَّه تعالی إماماً بالتالی یکون سفیراً وله سفارة إلهیة تغایر سفارة النبوّة والرسالة.

فکون الإمامة سفارة إلهیة وبعثة أصل قرآنی، ولیس بالانتخاب والتعیین من البشر، وطالوت من سلالة بنیامین أخ یوسف علیه السلام ومن ثمّ کان محور اعتراضهم؛ حیث کانوا یرون أنّ الملک منحصر فیهم وهم أبناء لاوا الأخ الأکبر لیوسف، وقد صاغ القرآن اعتراضهم: «أَنَّی یَکُونُ لَهُ الْمُلْکُ عَلَیْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْکِ مِنْهُ وَلَمْ یُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ»، وکان جواب النبیّ لهم: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَیْکُمْ..» فالأمر بیده تعالی، لا أنّه یخضع للمقاییس العادیة التی یتصوّرونها هم، وإنّما هو نصب إلهی لا ملک دنیوی، ومن ثمّ ستذکر الآیات اللاحقة معجزة هذا الملک، والآیة والمعجز دلیل علی أنّ النصب تشریعی إلهی، فلابدّ أن یستجیب له البشر

الامامة الالهیة(۵)، ج۳، ص: ۵۰۹

باختیارهم؛ وإلّا حقّ علیهم العذاب.

«وَاللَّهُ یُؤْتِی مُلْکَهُ مَنْ یَشَاءُ»، یدلّ علی أنّ المشیئة التکوینیة أیضاً اقتضت أن یکون طالوت ملکاً، وکلتا المشیئتین مرتبطتان بالهدایة الإیصالیة، والتدبیر الإلهی للأُمور الإجتماعیة العامّة.

«قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكَ..»، إخبار السماء لنبيّنا صلى الله عليه و آله باعتراض اليهود على نصب السماء شخصاً فكيف بنصب شخص ليس منهم، لبيان واحدة من أسرار عداء اليهود للإسلام، كما فى الرواية عن الإمام علىّ عليه السلام.

«وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ»، ... تبين الآية المباركة ضرورة المعجزة فى الإمامة- مع الالتفات إلى أنّ القرآن لم يعبّر عن المعجز إلّابالآية والبينة ونحوهما، والتعبير بالعجز اصطلاح كلامى- وأنّ النصّ لا يكون وحده فى السنّة الإلهية، بل مع المعجزة والآية. وعندما نطالع تاريخ الشيعة مع أئمّتهم نلحظ أنّهم كانوا يتحرّون عن المعجز العلمى والعملى كشىء إضافى للنصّ.

«سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ..»، فى الروايات: ريح من الجنّة لها وجه كوجه الإنسان، أو روح مخلوق من اللَّه يتكلّم، كانوا إذا اختلفوا فى شىء كلّمهم وأخبرهم.

«وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ»، يدلّ على أنّ الإمام وارث من سبقه، والتركة وإن كانت مادّية إلّاأنّ لها سنخ ارتباط بالغيب، كعصى موسى وخاتم سليمان وقميص إبراهيم ويوسف، كما أنّ الآية تشير إلى أنّ الوراثة فى بيوت الأنبياء، وأنّها ليست وراثة كسروية ترابية بل وراثة اصطفائية كما فى قوله تعالى:

«ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ..». «تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ»، الحفظ الغيبى يدلّ على خطورة وعظم هذا المقام وعظم وخطورة مواريث الأنبياء، والتى هى الآن جميعها عند أهل بيت النبوّة عند خاتمهم المهدىّ (عج).

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۱۰

«إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ..»، فلا إلجاء جبرى تكوينى، من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر.

«فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ»، فارق طالوت وجنوده المكان.

«إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ»، يكشف عن علمه اللدنى وإبلاغه إرادات اللَّه التفصيلية لا بتوسّط النبىّ، فيدلّ على إمامته وأنّ الإمام يحيط علماً بالمشيئة والإرادة الإلهية التفصيلية، لا سيما وأنّ الإرادة منسوبة إلى البارى صرفاً، كما يكشف عن أنّ التدبير يُباشر من قبل اللَّه تعالى، فالحاكم الأوّل هو تعالى، بل فى جملة من مواقع حكومة الرسول صلى الله عليه و آله يسند إليه تعالى الحكم التفصيلى ولا يسند إلى الرسول، أى وإن كان بتوسّط الرسول صلى الله عليه و آله، كما ألفتنا إلى ذلك مراراً-

«فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي»، ظاهر فى أنّ الغاية من هذا الامتحان هو التولّى وعدمه، واستعراض القرآن له للإلفات إلى أنّ التولّى لصيق بالاعتقاد بالإمامة، بل هو فى درجاته الأُولى، والوجه الآخر للإذعان والإيمان بالإمامة كما أوضحناه فى الفصل الثالث من الجزء الأوّل.

فالأُمّة الواحدة وحدتها على أساس التولّى وعدمه، فالملأ كانوا على شريعة موسى، إلّاأنه لم يكف ذلك حتّى صُنّفوا إلى صنفين، من اتّبع الإمامة، ومن لم يتّبعها.

ولا يخفى أنّنا لحدّ الآن لاحظنا جملة من مقوّمات الإمامة وأبرز معالمها، وليكن تجميعها وضبطها بالشكل التالى:

أ- إنّ الإمامة بالنصب والبعثة الإلهية: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ».

ب- إنّها اصطفاء: «اصْطَفَاهُ».

ج- ذو علم متميز لدنى: «بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ».

د- التكامل الجسدى والقدرة اللدنيان: «وَالْجِسْمِ».

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۱۱

ه- من شأنه المعجزة: «آيَةَ مُلْكِهِ».

و- وارث من سبقه: «وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ».

ز- التولّى هو الوظيفة المطلوبة من الأُمّة بالنسبة لإمامها: «فَإِنَّهُ مِنِّي».

«فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا»، هو المتولّى، وبقانون لتركبّن طبقاً عن طبق تعرف النتيجة فى عالمنا الإسلامى، كذا ذكر القرآن الذى هو معجزة الإسلام، قرينة على أنّ ما حصل آنذاك سيحصل بعد.

«فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ»، عرف المتولّى لطالوت بالـذين آمنوا، وهذا هو الذى يدّعيه الشيعة من أنّ قضيـة الإمامة من أُصول الدين الإيمانية.

خاصّة مع الإلفات إلى أنّ الشرائع متطابقـة فيما بينها على مستوى المعارف، بل هـذا ليس محلّ للنسخ؛ لأنّه من أجزاء الدين الواحد للأنبياء لا من الشريعة التى يعرضها النسخ، نعم تتفاوت بينها بالإجمال والتفصيل.

«وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ»، المقام الذى كان لطالوت أُعطى لداود، ولم تبين هذه الآية نبوّته، وإنّما اقتصرت على: «آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ»، ويظهر من الآية أن شجاعة وبأس داود فى اللّه أهّلته لهذا المنصب، فإنّ ذكر الأوصاف قبل المنصب يدلّ على الأقلّ على التناسب بين الأمرين.

«وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ»، سنّة إلهيـة أن يُـدفع غىّ البعض بالبعض، وله مراتب أقصاها القتل، وقـد طبّقت لـدفع طالوت وجنوده لجالوت، وهو يعنى أنّ صلاح الأرض يتحقّق بالإمامة، وبعبارة أدقّ: إنّ بالإمامة التى هى خلافة اللّه تعالى فى الأرض- صلاح الأرض وتطهيرها من الغى والشرّ.

ثمّ يلحظ من مجموع الآيات المرتبطة بطالوت أنّ الإمامة لم تُعرَف إلّابالملك، (ملك التصرّف فى الأُمور العامّة) كذا فى آية: «فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۱۲

وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا» «۱»

.وعنـدما نراجع الروايات نراها تلفت إلى أنّ إبراهيم أحـد الأربعـة الـذين بُعثوا بالسيـف، إلّاأنّه لم يعهد منه الإمارة، كذا بعض من جاء ذكرهم فى الآية، ومن ثمّ كان التعبير: «وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا» مورداً للتساؤل، وجوابه: أنّ الملك باصطلاح القرآن ذو جنبتين:

الأوّلى: تكوينية كالاصطفاء والعلم الخاصّ والسكينة وفصل الخطاب والمواريث، وهذه متوفّرة مكّن من الملك الظاهر فى العلن أو لم يُمكّن، لكنه متمكّن من التصرّف فى النظام الاجتماعى البشرى بصور خفية متسترّة.

الثانيـة: التشريعية وهو الأخـذ بزمام الأُمور، وهـذا البعـد قد ألقى تنفيذه على عاتق الأُمّة، بأن تمارس دورها بإقدار الإمام وإيصاله سدّة الحكم الظاهر فى العلن.

وقد عبّر عن الملك الذى مُنح لداود فى آية أُخرى بالخلافة فى الأرض: «إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ» «۲»

.وقـد جاء فى آيـة أُخرى أنّ الخلافة فى الأرض سنّة إلهيـة ما دامت البشرية، كما نلحظ ذلك فى آيـة من آيات سورة البقرة: «إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً»، والـذى طُبّق على آدم. وبالتالى سنخرج بنتيجـة، هى أنّ الإمامـة قانون تكوينى إلهى وضعه اللّه للبشرية ما دامت فى هذا العالم.

«وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ» من بعد الرسل، ممّا يدلّ على وجود سنّة إلهية، وهى سنّة الاقتتال بين أتباع الرسول بعضهم مع البعض الآخر، ومن ثمّ استشهد أمير المؤمنين عليه السلام فى حرب الجمل بهذه الآية.

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۱۳

«فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ» «۱»

، تبين سرّ الاقتتال وخلفيته، وهو أيضاً «مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ»، ومن هنا نعرف أنّ الاختلاف الحادث لا ينسجم مع اجتهاد كلّ من الفريقين وإصابته؛ وإلّا لا معنى لتصنيف أحدهما فريق الإيمان والآخر فريق الكفر.

وبالإضافة إلى أنّه اختلاف مع البينة، فلا معنى للتأويل والاجتهاد.

النموذج القرآنی الخامس: قصّة مریم ... ص: ۵۱۳

آل عمران من آیة ۴۱ إلی ۴۷.

«إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَی آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِیمَ وَآلَ عِمْرَانَ»، وفی بعض القراءات کما فی الروایات: وآل محمّد.

«ذُرِّیَّهً»، والتوارث فی الاصطفاء من باب التوارث الروحی المعنوی لا المادّی، والمعبّر عنه: بالخیرة بعد الخیرة، والنجباء بعد النجباء.

«إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ»، عرض لقصّة ومصداق للذرّیة المصطفاة.

«إِنِّی نَذَرْتُ لَکَ مَا فِی بَطْنِی»، کان فی شریعة بنی إسرائیل أنّ للأب مُلکیة ابنه المطلقة، ومن ثمّ کان یستطیع إیقافه علی المسجد.

«وَلَیْسَ الذَّکَرُ کَالْأُنْثَی»، إمّا نقل کلام امرأة عمران أو کلام اللَّه، وعلی الحالین یدلّ علی عدم المساواة بین الجنسین علی صعید الوظائف والقانون فی الدنیا، وإن أمکن للمرأة الترقّی فی مجال التکوین والمعنی إلی حدّ الاصطفاء، وهذا عموم فوقانی من نوع الجعل الدستوری، وإن صحّ التعبیر عنه فهو أصل قانونی من أُسس التشریع ومقصد من مقاصد الشریعة، وبالتالی فالتشریعات التی تحتمل

الامامة الالهیة(۵)، ج۳، ص: ۵۱۴

أنّها وظیفة خاصّة بأحدهما لمناسبة متمیزة فی أحد الجنسین لا یمکن التمسّک بعمومها.

«وَإِنِّی أُعِیذُهَا..»، کما یظهر من الروایات أنّه دعاء بالعصمة، ومع قرینة الاصطفاء وما یأتی من أنّه تعالی تقبّلها بقبول حسن، دلیل العصمة واستجابة الدعاء.

«وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا»، النبت یعنی النمو، والآیة ظاهرة فی أنّ التنشئة المادّیة للمصطفی تختلف عن غیره، من قبیل تهیئة اللقمة الحلال..

«زَکَرِیَّا»، زوج خالتها..

«أَنَّی لَکِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ»، نوع من التکریم والحبوة الإلهیة والاعتناء الخاصّ مع أنّها لیست نبیّاً ولا إماماً، وهذه الآیة تکشف عن نوع ارتباط غیبی بین مریم وبین اللَّه تعالی، والروایات دلّت علی أنّ ملکاً کان یأتی لها بالطعام.

«هُنَالِکَ دَعَا زَکَرِیَّا..»، بعد أن شاهد مریم وکرامتها..

«إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاکِ..»، تصریح بارتباطها بالغیب، والاصطفاء الأوّل کما فی الروایات هو الاختیار، والاصطفاء علی النساء هو الحجّیة علیهنّ.

وقد ظهر لحدّ الآن:

أ- ارتباط مریم بالغیب ونوع من الاتصال من دون وساطة نبیّ کما سیأتی فی عین تبعیتها لشرائع الأنبیاء.

وهذا لیس غلوّاً فی مریم، وبعدما عرفت أنّها لم توصف بالنبوّة، ومعه لا نستغرب إذا کان لفاطمة علیها السلام مصحف فیه تأویل الکتاب.

ب- اختصاص ولیّ حجّة بخطاب إلهی خاصّ، وقد یُکلّف بتکالیف خاصّة کما سیأتی لا یعدو مقام التطبیق، لا أنّه خارج عن عموم شریعة موسی کما فی

الامامة الالهیة(۵)، ج۳، ص: ۵۱۵

المثال.

والظاهر من بعض الروایات وإن کان أنّ مریم محلّ للحجّیة والمعجزة والآیة، إلّا أنّها لیست محلّاً ساذجاً کتکلّم الشجرة وشقّ القمر، وإنّما هی متمّمة للإعجاز ودخیلة فیه، حیث بینت الحجّة والمعجزة فی إشارتها إلیه، وإحضارها للمعجز فی وسط بنی إسرائیل کما

سيأتى مفصّلًا، فهى شريكة عيسى فى تبيان معجزته، ومن ثمّ جاء فى القرآن: «وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً» «۱»

.«يُبَشِّرُكِ»، ... نوع من الإنباء بالغيب المستقبلى، حيث كانت البشارة بنبىّ وباسمه المجعول من قبله تعالى ووجاهته الدنيوية ومكانته الغيبية (قرباً منه تعالى) ومعجزته..

وهذا مجانس لما تعتقده الشيعة فى مصحف فاطمة، فإنّه مجموعة إنباءات غيبية مستقبلية «ما كان وما يكون إلى يوم القيامة»، وهو تأويل للكتاب المبين الذى يستطرّ فيه كلّ غائبة فى السماء والأرض.

«قَالَتْ رَبِّ..»، كانت تخاطبها الملائكة إلّاأنّها خاطبت ربّها مباشرة، والظاهر أنّ الجواب «قَالَ» ليس بواسطة الملائكة، وإن كان قد يستفاد أنّه بواسطة جبرئيل بقرينة الآيات الواردة حول مريم فى سورة مريم، حيث تمثّل لها جبرئيل بشراً سوياً، وأخبرها أنّ اللّه أمره أن يهب لها غلاماً، فقالت له: أنّى يكون لى غلام؟ فأجابها جبرئيل..

ولكن ما ذكر لا يصلح قرينة بعد الالتفات إلى أنّ الحوار مع جبرئيل حوار آخر حصل بعد مدّة من الحوار الأوّل المذكور فى سورة آل عمران عندما انتبذت مكاناً قصياً، وقرينة ما ذكرنا إجابة جبرئيل الظاهرة فى أنّ اللّه تعالى قد أجابك من قبل

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۱۶

عن هذا التساؤل والاستغراب: «قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا» «۱»

.وحيث إنّ الخطاب مع مريم لم يكن بواسطة رسول، فهو إمّا من قسم الوحى المباشر، أو من وراء الحجاب بموجب الحصر المذكور فى الآية: «وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ» «۲»

.والترتيب المذكور فى الآية معنوى علاوة على كونه ترتيباً ذكرياً كما فى الروايات، ومن ثمّ كان التكليم من وراء حجاب فضلًا عن الوحى أرفع ممّا كان بواسطة الرسول، ممّا يعبّر عن سموّ مكانة مريم.

وعندما نرجع إلى النماذج التى سبق الحديث عنها لا نلحظ هذا الارتباط المباشر مع اللّه فيها، وعلى الأقلّ لا صراحة فى ذلك، على العكس من مريم فإنّ الآية صريحة فى الخطاب المباشر.

«وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً..» «۳»

، سبق أن ألفتنا إلى دلالة الآية على شراكة مريم فى الإعجاز والحجّية، وهو تقرير لعقيدة النصارى فى مريم أنّها من أركان العقيدة ولكن لا بما هى محرّفة من التأليه.

كما أنّ مدلول الآية أعمّ من اصطفائها على نساء العالمين المدلول لآية أُخرى.

بالإضافة إلى أنّ الآية ليست لخصوص أبناء الشريعة المسيحية، وإنّما لكلّ البشر بما فى ذلك أبناء الشريعة المحمّدية، بعد أن كانت واحدة من عقائدنا الإيمان بآيات اللّه، ومن ثمّ كان علينا بعد إخبار القرآن الإيمان بمقام السيدة مريم،

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۱۷

كما كان من الضرورى الإيمان بنبوّة عيسى.

ويظهر أيضاً أنّه ليس بدعاً فى شرائع السماء أن تأخذ امرأة هذا المقام وأن يكون الإيمان بها جزءاً من أُصول الدين.

بالإضافة إلى أنّها ضربت مثلًا كما فى سورة التحريم. وإلى القاعدة القرآنية أنّ القرآن لا يذكر إلّاما فيه العبرة فى حياة المسلمين، والروايات الكثيرة الدالّة على أنّه يجرى فى حياة المسلمين ما جرى على الأُمم السابقة حذو القذّة بالقذّة.

من هنا أصبحت الفرصة مواتية للحديث عن الزهراء عليها السلام شيئاً ما، حيث يمكن لنا أن نفهم ما قيل فى حقّها أو على تقدير كونه رواية، من قبيل: «نحن حجج اللّه وفاطمة حجّة علينا»، و «وأنّها برزخ بين النبوّة والإمامة»، و «أنّها رفع عنها حجاب النبوّة»، وكثير غيرها، ممّا يمكن أن يستشهد له بطوائف أُخرى متواترة معنوياً، من قبيل روايات ترتّب خلقة أنوارهم عليهم السلام، ومن قبيل روايات أنّ أحد مصادر علوم الأئمّة مصحف فاطمة عليها السلام، ومن قبيل أنّها أوّل مصاديق القُربى الذين لهم ولاية الفىء والأنفال، وأنّها

الشاهد شهادة لدنية بصدق النبوّة فى آية المباهلة لمشاهدتها عياناً حقيقة النبوّة ... وغير ذلک من الآيات والروايات مفادها أنّ الزهراء وإن لم تكن نبيّاً وإماماً إلّاأنّها حجّة وواسطة علمية للأئمّة عليهم السلام من ذريتها، أى أنّها مصدر من مصادر علومهم.

بالإضافة إلى أنّ إدانتها موقف السقيفة لا يقلّ دلالة فى الحجّية عن قول الرسول صلى الله عليه و آله فى يوم الغدير، ويشهد لذلک قبول السنّة ذلک كبروياً، ومن ثمّ ركّزوا إنكارهم للصغرى أى وقوع الإدانة منها للسقيفة.

فهى كمريم فى أنها شريكة النبىّ صلى الله عليه و آله فى الآيتية على مذهب الحقّ والإمامية، حيث لم يكن بعد النبىّ صلى الله عليه و آله مصدر حجّة يرجع إليه بعد جحودهم لدلالة الكتاب على الإمامة وجحودهم حجّة علىّ عليه السلام، لم يكن إلّاالزهراء، ومن ثمّ يفهم ما ورد

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۱۸

فى وصية النبىّ صلى الله عليه و آله: «يا علىّ انفذ لما أمرتک به فاطمة، فقد أمرتها بأشياء أمر بها جبرئيل عليه السلام» «۱»

، وكذا يفهم من احتجاج الأمير بالزهراء.

وآية التطهير تدلّ على الاصطفاء والحجّية للزهراء بإرادة إلهية مشتركة فى الخمسة أصحاب الكساء.

وسورة الدهر تثبت مقاماً أرفع من مقام الأبرار لأهل البيت عليهم السلام، وبضميمة سورة المطفّفين فإنّهم المقرّبون الذين يشهدون كتاب الأبرار.

كلّ هذا وأمثاله من الآيات والروايات «۲» يملى الاعتقاد بمقام الصدّيقة الزهراء.

فإنّها وجود تنزيلى للنبىّ صلى الله عليه و آله، فهى لها الحجّية على المسلمين فى إثبات الإمامة، والبعد التقديسى لها من اللَّه ورسوله معلول مقامها السامى.

«فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا..»، جبرئيل الذى عبّر عنه فى آية أُخرى بالروح الأمين، وليُلتفت إلى أنّه لم يصرّح فى آيات آل عمران بنوع الملائكة الذين حدّثوها، بينما صرّح به فى آيات سورة مريم، ممّا يكشف عن أن التكليم بواسطة الرسول ذو درجات ومراتب..

وفى الروايات أنّ التمثّل الذى حصل لمريم أحد أنماط نزول الوحى عليه صلى الله عليه و آله، ونمط آخر أن يسمع من دون رؤية، وثالثة أن يراه ومن معه..

«فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا..»، خاصّية الوارد الرحمانى- الهاتف والمكاشفة- التى بها يختلف عن الأنواع الأُخرى كالشيطانى- أنّه ذو هيبة وسكينة ووقار ويدعو إلى الخير بأتمّ أشكاله..

«قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا..»، فى الوقت الذى كان الوارد

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۱۹

رحمانياً، إلّاأنّ مضمون الرسالة كان شديداً غايته على مريم، وتفرّ منه لارتباطه بعرضها وناموسها، ومن ثمّ اعترضت مرّة أُخرى حين قالت:

«أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا»، ويلحظ فى المحادثة السابقة فى سورة آل عمران أنه لم تعتر مريم حالة الاستيحاش كما ظهر هنا، وربما لأنّها كانت تسمعهم هناک من دون أن تراهم.

«قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ»، تذكير مريم بما دار من حوار وحيانى سابق.

قد يقال: كيف ينسجم هذا الاعتراض من مريم مع ما لها من مقام سام، ثمّ هل نست الوحى السابق كى تعيد الاعتراض ثانية؟

والجواب: لم تنس مريم، ولكن صعوبة الموقف حيث إنّ القضية مرتبطة بالعرض «وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا»، وبه يفسّر قولها: «يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا».

وفى الروايات: أنّ الأنبياء والرسل يتحمّلون البلاء إلّاما يرتبط بالعرض.

«وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا»، وفى آل عمران: «إِذَا قَضَى أَمْرًا»، الظاهر فى التعليق، ومن ثمّ يصلح قرينة إضافية على أنّ ما جرى فى السورتين حواران اثنان وحيانيان.

«فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا»، لها دور رعاية وكفالة لصاحب الشريعة وباختيارها، وهو يوافق ما يظهر من ثنايا زيارة فاطمة بنت أسد من أنّ رعايتها للرسول صلى الله عليه و آله كسبها مقام صفة بأنّها صدّيقة.. فإنّ لها إسهاماً فى التمهيد لظهور النبىّ والمعجز.

ودور مريم وإن كان يحتوى على مخاطر لارتباطه بالعرض فهو سنّة قرآنية للجهاد بالعرض، إلّاأنّه كان لكشف دجل وزيف علماء اليهود المقيمين على تحريف الديانة، ولم يتغلّب على فضحهم النبىّ زكريا ولا يحيى، وهو نظير ما

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۲۰

ورد فى حرم وعيالات سيد الشهداء عليه السلام: «شاء اللّه أن يراهنّ سبايا».

ونظير تصدّى السيدة الزهراء حتّى عصرت بين الحائط والباب- لكشف الزيف والدجل المتلوّن بالدين والديانة، ونظير نقل إبراهيم هاجر إلى البرية تمهيداً لظهور حكمة اللّه ومعجزته.

«فَنَادَاهَا..»، استمرار التواصل الغيبى مع مريم ورعايتها وتسديدها.

ووجود أوامر كُلّفت بها مريم مباشرة من دون وساطة نبىّ، مع خطورة بعض هذه الأوامر كارتباطها بصرح الشريعة المسيحية وأصل نبوّة عيسى ونسخ الشريعة الموسوية، بحيث لو أخلت مريم عصياناً لما تحقّقت المعجزة.

«مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ..»، عرّضوا بها بأبشع تهمة، وقد كانت هذه الظاهرة المثيرة سبباً فى الانشداد إلى المعجز والالتفات إليه وكشف قناع الزيف عن علماء اليهود، كما حصل ذلك من السيدة الزهراء حيث عرّت نفاق السقيفة على المكشوف والسيدة زينب حيث كانت سبباً فى الانتباه إلى افتضاح مسار السقيفة وأنّه هو مسار الأحزاب وبنى أُمية.

«فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ»، نقلتهم من التركيز على شىء دنىء للغاية إلى خطير للغاية.

وبهذا ينتهى الحديث عن آيات مريم فى سورة مريم.

وهناك ما رود فى سورة التحريم، حيث أُشير فيها إلى أنّ مريم مثل يضربه تعالى، والمثل ليس لخصوص قوم دون قوم وإنّما لسائر البشرية ولهذه الأُمّة الإسلامية.

كما أشير إلى أنّها صدّيقة: «وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ»، فقابل بين الكلمات والكتب، وأنها «كَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ»، وتشريفها ب: «فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا..»..

والخلاصة: إنّه بالتدبّر فى مجمل الآيات الواردة فى مريم، ينبثق هذا السؤال،

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۲۱

وهو: كيف ارتبطت بالتكليم الإلهى، وكيف وثقت أنه من عند اللّه مع أنّها ليست نبيّاً ولا وصىّ نبىّ، كما لم يتمّ ذلك بتوسّط نبى زمانها، بل تمّ ذلك من دون وساطة رسول أصلًا، وكيف صدّقت بنبوّة نبىّ آت وبشريعته المقبلة، وكيف قامت ببدايات أعباء الرسالة قبل عيسى حتّى جعلها القرآن فى درجة عيسى، كما يظهر من قوله تعالى: «وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ»، و «يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ»، و «كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ»، و «كَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ..» «۱»

، الدالّة جميعاً على أنّ مريم كانت فى مصاف الرسالة ومن أصول الدين، خاصّة مع الالتفات إلى أنّ المخاطب به مثل زكريا- على فرض حياته- ويحيى وأنبياء زمانها؟ لا جواب على هذا السؤال سوى أنّها معصومة مصطفاة، وأنّ لها مقاماً لا يقلّ عن مقام النبوّة.

ومع كلّ هذا، لا عجب أن تكون فاطمة عليها السلام (شافعة للأنبياء)، كما فى الرواية المنقولة، كيف لا وهى من أهل آية التطهير الذين شهد القرآن أنّهم يمسّون الكتاب المكنون كلّه، ولديهم العلم بالكتاب المبين العلوىّ كلّه، بينما لم ينعت القرآن الأنبياء أولى

العزم فضلًا عن غيرهم بأنّهم يعلمون الكتاب كلّه، بل قال فى حقّ موسى عليه السلام مثلًا: «وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ» «۲»

، فما اوحى لموسى هو (من كلّ شىء)، وفى حقّ عيسى عليه السلام: «قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ» «۳»

، فكان ما جاء به بعض العلم، بينما وصف القرآن أنّه مهيمن على ما بين يديه من الكتب التى بعث بها الأنبياء السابقين، وأنّه تبياناً لكلّ شىء.

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۲۲

أو: «على معرفتها دارت القرون الأولى»، بل يمكن أن نسجّل جملة امتيازات قرآنية للسيدة الزهراء على مريم عليهما السلام.

الامتياز الأوّل: افتراق فى نوعية التطهير بين فاطمة الزهراء عليها السلام وبين مريم، حيث إنّ الذى ورد فى مريم التعبير بصيغة الفعل الماضى، وهو دالّ على وقوع التطهير فيما سبق وإلى حدّ درجة من العصمة، بينما الذى ورد فى فاطمة عليها السلام هو إذهاب الرجس عنها، أى توقيتها عن أن يقترب إليها وإلى أصحاب الكساء الرجس، وعبّر عن التطهير بالفعل المضارع الدالّ على الاستمرار وأكّد بالفعل المطلق (تطهيراً)، مضافاً إلى أنّ هذا التطهير الخاصّ المستمرّ هو من نمط خاصّ بسيد الأنبياء وأهل بيته أصحاب الكساء، فأين ذاك من ذا؟

الامتياز الثانى: إنّ لفاطمة علم الكتاب دون مريم عليها السلام؛ لأنّ فاطمة عليها السلام من المطهّرين فى أُمّة النبىّ الخاتم صلى الله عليه و آله، وقد وصف المطهرون من هذه الأُمّة بقوله تعالى: «إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ* فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ» «۱»

، وهو وصف للقرآن، ثمّ أردف ب:

«لَايَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ» «۲»

، فشهود حقيقة القرآن والكتاب كلّه بتلك الدرجة من الكرامة فى كنانة الكتاب وهو ذو المجد القرآن المجيد فى حفظ اللوح المحفوظ، ولفاطمة عليها السلام حيث إنّها من المطهرين فى آية التطهير علم الكتاب الموصوف فى القرآن بأوصاف متعدّدة: «وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ» «۳»

، و «يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ» «۴»

، وغيرها من الأوصاف.

وهذا العلم شهودى لدنى، بينما لم يكن للمطهّرين فى الشرائع السابقة حتّى الأنبياء هذا المقام؛ إذ إنّهم لم يشهدوا إلّاما تنزّل عليهم، بينما مريم سلام اللّه عليها

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۲۳

وصفت بأنّها صدّقت بالكتب وهو غيب بالنسبة إليها، وبهذه الآيات يتبين أحد دلالات القرآن بأفضلية خاتم الأنبياء وأهل بيته على سائر الأنبياء.

الامتياز الثالث: وهو وليد للامتياز السابق وهو شهادة الأعمال لارتباطه بالكتاب المكنون، وقد حفل ملف آيات الإشهاد فى القرآن الكريم على جميع الناس من الأوّلين والآخرين أنّ هؤلاء الأشهاد من هذه الأُمّة وأنّ سيد الأنبياء هو الشاهد على الأشهاد وأنّ هؤلاء الأشهاد هم من ذرّية إبراهيم وإسماعيل كما أشارت إليه آخر سورة الحج، ودعاء إسماعيل وإبراهيم فى سورة البقرة، وكذا فى سورة الدهر حيث بينت أنّ عباد اللّه الذين يطعمون الطعام للمسكين واليتيم والأسير هم الذين يسقون الأبرار من عين الكافور، فلهم الإشراف على الأبرار وأعمالهم كما فى سورة المطفّفين أيضاً، وهذا المقام لم تُنعت به مريم عليها السلام فى القرآن الكريم.

الامتياز الرابع: آية المباهلة.. لا بتقريبها السطحى وهو أنّه صلى الله عليه و آله لم يباهل إلّا بأعزّ ما لديه، وإنّما بما يستبطنه هذا التقريب من معنى دقيق وهو: أنّ المباهلة نوع من الدعاء والملاعنة والقسم والحلف لإثبات الحقّ وتوثيقه، فالآية تدلّ على أنّ الدين فى بعده

الغيبي مرتبط بهؤلاء الخمسة، بعد الالتفات إلى أنّ الذى كان يستهدفه الرهبان من هذه العملية إطفاء برهان النبيّ صلى الله عليه و آله الذى يمثّل رمز الدعوة وحربتها، فضمّ النبيّ تلك الصفوة معه فى هذه العملية للتدليل على رمزيتهم وأنّهم أصحاب الدعوة أيضاً وشركاؤه، فمن قبله فيها، ومن ثمّ قال تعالى:

«فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ» «۱»

، فى مقابل الصادقين، فكان التعبير بالجمع لا بالمفرد (على من كان كاذباً)، فهى شهادة بالشركة على أنّ نبوّته خاتمة وهى دين

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۲۴

الإسلام، ونبوّته خاتمة النبوّات وأنّ المسيح عبداللّه ورسوله، خاصّة مع وجود قرابة آخرين له ولفيف من الصحابة وبعضهم يُزْعَم له شأن فى الإسلام، إلّا أنّه صلى الله عليه و آله لم يشركهم فى العملية.

أضف إلى ذلك أنّ تعيين هؤلاء كان من اللّه سبحانه وتعالى وليس من النبيّ، ممّا يؤكّد أنّ القضية ليست بحكم المعزّة والقرابة.

ولو أبيت عن قبول دلالة القصّة على فكرة كونهم أصحاب الدعوى شراكة بنحو الطولية والتبعية، وأنّها لا تعنى إلّاالتوثيق وقد حصل بهؤلاء، فنقول: إنّ التوثيق عادة يكون بالثقل، وإنّ هؤلاء عليهم السلام أثقل المسلمين، ومن ثمّ تمّ اختيار اللّه لهم للوقوف إلى جانب النبيّ صلى الله عليه و آله فى هذه العملية، فهم وثيقة للدين كما هو صلى الله عليه و آله، وعندما نستذكر زيارة الرضا عليه السلام نلحظ فيها أنّ كلّ إمام فى عصره آية حقّانية للنبيّ ومعجزة صدقه.

النموذج القرآنى السادس: قصّة أُمّ موسى ... ص: ۵۲۴

سورة القصص من آية ۱ إلى ۱۳.

فى المقدّمة نشير إلى مدلول آية «وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ..»، فإنّ الواضح منها الاستمرار وبيان السنّة الإلهية وقاعدة القضاء والقدر، وإلّا لو كانت خاصّة بالأُمم السابقة لجاء التعبير (وأردنا) بصيغة الماضى لا بصيغة المضارع الدالّ على الاستمرار.

«وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى»:

أ- يلحظ الشبه الكبير بين خفاء ولادة موسى وخفاء شخصه وظفره، وبين خفاء ولادة صاحب الزمان (عج) وخفاء شخصه وظفره.

ب- لم ينصّ فى الآية على أنّ الوحى كان بتوسّط نبيّ أو رسول أو وصيّ، بل

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۲۵

فى الروايات أنّها نوديت وأنّه مباشرة، فى الوقت ذاته لا دلالة فى الآية على أنّه من أىّ قسم من الأقسام الثلاثة للوحى.

«أَنْ أَرْضِعِيهِ..»، سلسلة من الأوامر فى كيفية التعاطى مع الوليد الجديد بشكل يحفظه مع إخبار الغيب المستقبلى: «إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ»..

مثل هذه الأوامر التفصيلية من اللّه تعالى هى لخواصّ من هو حجّة، مصطفاة من القسم الرابع الذى يتجسّد فيه إعمال الحقّ تعالى ولايته مباشرة، ومن دون توسيط نبيّ تلك الأُمّة.. ولكن من دون خروج عن الشريعة الظاهرة آنذاك بالشكل الذى بيّناه فى قصّة الخضر، ولهذه الأوامر دلالة على أنّ الوحى فى الآية ليس هو الوحى الفطرى كما قد يتصوّر أنّه من قبيل «وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ..» «۱» بعد الالتفات إلى أنّ متعلّقات الأوامر المذكورة ليست ممّا تدركه الفطرة، يضاف إلى ذلك الإخبارات بالغيب التى رافقت الأوامر، واطمئنان أُمّ موسى بالوحى المذكور دليل مقامها وسموّ مكانتها، وإلّا لتلكّأت لاحتمال أن يكون نفث الجنّ أو مكاشفة وإلقاءات شيطانية. وبتعبير آخر: أنّ الوحى المباشر، وقبولها له لا يعقل إلّامع كون القناة معصومة، وإلّا لم تكن تستوثق منه.

هذه القصّة وسابقاتها تدفع الإنكار على مقولة الشيعة بأنّ الإمام كيف يرتبط بالوحىبعد وضوح معتقدهم أنّه ليس وحى نبوّة، علماً أنّ

القرآن لم يحدّثنا عن حجّية أُمّ موسى بدائرة أوسع من حجّيتها على نفسها فى ما يرتبط بطبيعة التعامل مع الوليد.

«وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ»، فقد آمنت أُمّ موسى برسالته قبل أن يُرسل، كما

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۲۶

آمن الأنبياء السابقون بنبوّة محمّد صلى الله عليه و آله قبل أن يولد، وكما نصّت الزهراء البتول بإمامة الأئمّة حيث دوّنوا فى اللوح الأخضر الذى نزل من السماء.

«إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِ»، توضّح عن رابطة الأُمّ بطفلها، وأنّها امتحنت بأصعب شىء كما امتحنت السيدة مريم بكرامتها وعرضها وعفّتها وهى سيدة العفّة فى زمانها.

لولا أن جاء التسديد الإلهى لمثل هؤلاء البشر الذين اختاروا تنفيذ الإرادة ولو على حساب أعزّ ما لديهم: «لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا».

النموذج القرآنى السابع: قصة لقمان ... ص: ۵۲۶

وهذا النموذج وإن لم يكن نموذج للإمامة ولا للحجّية المصطفاة، إلّاأنّه نموذج على الهبة اللدنية الإلهية، وهى ليست مقام نبوّة أيضاً. نعم الحجّية فى الحكمة هو فى ذاتها ومقالاتها حيث إنّها منطوية على الدليل والبرهان، وهاهنا نقاط يُلفت إليها:

۱- تشير الروايات إلى أنّ لقمان لم يصل إلى مقام الحكمة إلّابعد أن واظب على جملة من السنن، منها أنّه لم يكن يتكلّم إلّاعند الحاجة.

۲- وتشير أيضاً إلى أنّه قبل أن يُمنح هذا المقام خيّر بين النبوّة والحكمة فاختار الحكمة، على العكس من داود.

۳- وتشير أيضاً إلى أنّ سلمان المحمدى أعظم حكمة من لقمان، وفى زيارته والروايات الواردة فى شأنه إشارة إلى مقامات خاصّة، من قبيل أنّه (باب علم الوحى) و (أدرك علم الأوّلين والآخرين).. بل فى الروايات يستشهد الصادق عليه السلام بكلمات سلمان وهو دليل حكمة سلمان.

۴- وفى الروايات: مَن أخلص للّهأربعين صباحاً جرت ينابيع الحكمة على

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۲۷

لسانه.

۵- يظهر من سورة لقمان وممّا ورد فى سلمان أنّ هذا المقام والمنزلة مفتوح لكلّ مَن يجاهد نفسه، ومثل مقامات أُخرى كالصدّيقين. وفى رواية فى كفاية الأثر للخزّاز وغيره يشرح الصادق عليه السلام هذه المقامات ويذكر الطريق إليها.

۶- يظهر أنّه مقام لدنى كالنبوّة بحكم التخيير.

«وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ..»، وقد وردت الحكمة فى آل إبراهيم وآيات أُخر منها: «مَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا» «۱» ، ويظهر من الآية أنّها علم إلهى خاصّ يغاير النبوّة والمقامات الأُخر فى الجملة، وهذا العلم لدنى ويمنح وليس فطرياً؛ بقرينة: «وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ»، فإنّ تعلّم الكتاب ليس فطرياً.

وقد عُرّفت الحكمة بتعريفات متعدّدة أشرنا إليها فى كتاب العقل العملى، والحقّ أنّها العلم الذى يتلقّاه العقل العملى فيتمّ الإذعان به والتصديق، فهى ليست صفة عملية بحتة ولا علمية بحتة.

«أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ..»، الظاهر من (أن) أنّها تفسيرية، وبالتالى الظاهر من الآية تفسير الحكمة بالشكر، ممّا يعبّر عن أنّ رأس الحكمة شكر اللَّه.

وقد أخذ قبال الشكر فى القرآن الكفر: «إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا»، كما قابلت الروايات بين الجهل والعقل، ممّا يعنى كلّ ذلك أنّ هذه

الصفات ليست إدراكية محضة، وإنّما عملية، من ثمّ كان الشغل الشاغل للأنبياء هو العقل العملى الذى هو تحت اختيار الإنسان، وأمّا الإدراك والعلم فالفطرى منه موجود من دون اختيار.

ثمّ لا ريب أنّ العلم الذى مُنح للقمان والذين نُعتوا بالحكمة وإن لم يندرج تحت واحد من الأقسام الحجج، إلّاأنّ علم الحكم حجّيته منطوية فيه لانطواء

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۲۸

البرهان والدليل فى أقضيتها.

ويستفاد من هذه نتيجتان مفصليتان بعد الالتفات إلى النقاط التالية:

۱- إنّ لقمان ليس نبيّاً باتّفاق الجميع.

۲- إنّ المستعرض لحكمة لقمان فى القرآن هو اللَّه تعالى، أى لم تُعرض حكمته فى القرآن على لسان نبىّ وإنّما على لسان الحقّ تعالى.

۳- إنّ استعراض الحقّ تعالى لحكمته كاستعراضه لكلام الأنبياء.

۴- بل استعراضه يمتاز عن سنن بعض الأنبياء من جهة أنّ شرائعهم منسوخة ولا يفهم أبديتها إلّابالقرينة «لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا» «۱»

، بينما الظاهر من حكمة لقمان أبديتها، بنكتة كونها كلّيات فوقانية، فهى البنية التحتية للشرائع، أو لأنّها حكمة، أو لأنها فطرية عقلية مستوسعة، والكلّ واحد تقريباً. نعم، تمتاز سنن الأنبياء عن الحكمة بأنّها تنزل الهداية للتفاصيل ولدائرة أوسع بكثير من الحكمة، بينما الحكمة هى فى دائرة الكلّيات.

۵- لم يذكر حجّية حكمة لقمان من جهة عرضه على نبىّ أو من جهة إقرار القرآن لها، وإنّما حجّيتها من جهة تضمّنها للدليل والبرهان.

۶- إنّ حجّية الحكمة هى من حجّية العقل، وحجّية العقل تلازم حكم الشرع؛ لأنّه كلّ ما حكم به العقل البديهى أو النظرى المبدّه حكم به الشرع، فهو لا يختلف روحاً عن التشريع الظاهر، وإن كان تشريعاً باطناً كما يسمّى العقل بالرسول الباطن.

من ثمّ وبعد أن عرفنا أنّ طبيعة الحكمة ليست إلّاعلماً خاصّاً أُودع من قبل اللَّه تعالى فى فطرة لقمان بنحو البسط، فهى لا تختلف عن العلوم الفطرية التى

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۲۹

يمتلكها البشر جميعاً من هذه الزاوية، إلّافى أنّها أوسع نطاقاً من الآخرين، فحينئذٍ أمكن أن نفهم:

أوّلًا: ما ورد فى الروايات أنّ العقل رسول باطن وحجّة باطنة ومنزّل منزلة قناة الوحى، الظاهر فى أنّ كلّ إنسان مرتبط بعلم اللَّه تعالى وإرادته فى دائرة البديهيات أو النظريات المبدّهة.

وبهذا يكون ردّاً على الأشاعرة والسلفيين والظاهريين قبلهم أصحاب السفسطة حيث أنكروا العقل أو حجّيته.

حيث عرفت أنّ هذا النمط من العلم موجود ويوجب اليقين والجزم، وأنّه قد استوسع للقمان، وفى الروايات إشارة إلى أنّ مصدراً من مصادر علومهم عليهم السلام هذا النمط من العلم وهو الحكمة، لكن بدائرة تفوق كلّ من أوتى الحكمة.

ثانياً: النقض على أهل سنّة الخلافة وجماعة السلطان؛ حيث أنكروا وجود مصدر للحجّية والارتباط بالسماء غير النبوّة، مع أنّا لاحظنا وجود قنوات أُخرى لها، وجود ضامر فى كلّ إنسان وأنّها قد توسّع للبعض لا بتوسّط نبىّ، فالحال فى الإمام الذى هو خليفة اللَّه تعالى فى أرضه المعلّم علم الأسماء كلّها أوضح.

بل إنّ أهل سنّة الجماعة إذا ارتضوا العقل كالمعتزلة، متجاوزين المسلك الأشعرى ولو فى مساحة محدودة فلا بدع فى سنّة اللَّه فى

الإمامة بعد أن كان العقل قناة إلى جنب قناة النبوّة، فيمكن للَّه‌تعالى أن يفتح قناة ثالثة أو يوسّع من قناة العقل والفطرة، وتكون ملزمة وحجّة.

والملفت أنّ القرآن لم يذكر جملة من الأنبياء، أو ذكر جملة أُخرى منهم ولم يذكر لهم قولًا، في الوقت الذى تعرّض فيه لجملة من المؤمنين مع عرض كلماتهم، كمؤمن آل فرعون ومؤمن آل ياسين وزوجة فرعون، بالإضافة إلى النماذج التى سبقت الإشارة إليها بمَن فيهم لقمان.

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۳۰

وليس ذكر مثل هؤلاء إلّاللعبرة، وليس ذكر كلماتهم إلّاللاحتجاج فى أنّ الحجّية الذاتية لا تنحصر بالنبوّة، إذ قد تكون من خلال علم فطرى تفتّق، أو علم لدنى خاصّ مُنح من قبل اللَّه تعالى، إلّاأنّ حجّية النبوّة والإمامة دائرتها أوسع بلا مقايسة مع دائرة حجّية العقل الفطرى البديهى.

«أن اشْكُرْ..»، وجوب الشكر فى الحكمة العملية يوازى فى الحكمة النظرية وجوب وجوده تعالى.

«فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ»، بدليل: «إِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ»، وحميد فيها إشعار إلى أنه يشكر مَن شكره: «لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ»، أو يعنى جامع الكمالات.

«إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ»، فى هذه الآية وعموم الآيات القرآنية يلاحظ الترابط بين البعد النظرى والعملى، فالشرك أعظم غلطة وكذباً وجهلًا على مستوى الإدراك، والظلم العظيم أعظم قبحاً فى العقل العملى.

«يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ..»، المداقّة فى الحساب- وكما ورد فى سورة الزلزلة- ممّا لا يدركه العقل لوحده، كذا باطن الفعل فى الملكوت بمقتضى الآية المبين فيها، حيث إنّ إتيان اللَّه به يوم الحساب دليل بقائه وثباته.

«فِى السَّمَوَاتِ»، إمّا كناية عن الإحاطة الإلهية، أو إشارة إلى وجود جزاء لأهل السماء مجهول الكيفية لنا، كما يبدو من آيات وروايات متعدّدة، مثل:

«سُبْحَانَكَ لَاعِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا»، وقول أمير المؤمنين عليه السلام فى نهج البلاغة حول الملائكة: «إنّهم يزدادون بعبادتهم لربّهم علماً»، و.. الكاشف عن وجود ظاهرة العمل والجزاء فى الملائكة.

«يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ»، بعد أن فرغ من توحيد اللَّه ومعاده ودخل فى استعراض كلّيات الشريعة، وفيه دلالة على أنّ الصلاة ثابت فى كلّ شريعة، حيث كانت فطرية، وأنّ الأمر بالمعروف فطرى، وهو وإن كان فى الفقه الاصطلاحى يقابل

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۳۱

الجهاد والقصاص والديات والقضاء، إلّاأنّه بالمعنى الأعمّ شامل لها، بل شامل لكلّ معروف بعد أن كان الإتيان به يستبطن الدعوة لإقامته.

والصبر يكشف عن أنّ الأُمور العملية فيها عناء ولا يتمّ إلّابالصبر.

«وَلَا تُصَعِّرْ»، فعل جارحى ناتج عن الكبر.

«مَرَحًا» الزهو، وهو الترف والفرح للمادّيات المذموم فى القرآن.

«إِنَّ اللَّهَ لَايُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ»، إنباء لقمان عن المحبّة الإلهية، والتى على أساسها أمكنه العلم بالمحبوبات، وعلى أساس ذلك أمكنه النسبة.

ويعرّف أيضاً: أنّ الحكمة ليست علماً صرفاً، وإنّما هى التى تستوجب العمل.

وبه يمكن الردّ على من يقول إنّ حكم العقل منجّز فقط، حيث ظهر أنّه يلازم حكم الشرع بل يمكن نسبته إليه تعالى.

«إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ»، فيه دلالة على إلمامه الواسع بالخليقة، وإن كان قد ورد أنّ المراد بذلك صوت بعض أصحاب التابوت فى قعر

جهنّم.

النموذج القرآني الثامن: قصّة آصف بن برخيا صاحب سليمان ...: ص: ۵۳۱

وتبدأ من آية ۳۵ إلى آية ۴۱ من سورة النحل.

«قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ..»، إنّما كان سليمان حريصاً على السرعة الخاطفة في إحضار عرش بلقيس لإظهار مقام آصف وأنّه وصيّه والإمام من بعده، كذا جاء في الروايات عنهم عليهم السلام، ويعاضده سياق الآيات.

والإتيان بالوصف «عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ» مشعر بالعلّية، وأنّ الوصف هذا هو الذي أهّله للقيام بهذا العمل.

وآصف ليس نبيّاً بالاتّفاق، فتدلّ الآية على توفّر غير الأنبياء أيضاً على علم لدني وهو خاصّ، وصنّف هذا العلم بعلم الكتاب وهو علم مرتبط بالأديان،

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۳۲

وبالدقّة: علم السنن الإلهية الكونية والشريعة بحسب التكوين.

وقد جاءت أوصاف العلوم اللدنية في الروايات متنوّعة: علم الكتاب، فصل الخطاب، علم الوصايا، علم الأصلاب، علم شهادة الأعمال، علم المنايا والبلايا، علم التأويل، علم تأويل الأحاديث، منطق الطير، وغيرها..

كما ألفت القرآن إلى علم الكتاب في مواضع متعدّدة:

أ- «وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا..» «۱»

، وقد نزلت الآية في كفّار قريش الذين طالبوا الرسول صلى الله عليه و آله بأن يقوم بتسيير الجبال المحيطة بالبيت الحرام بعيداً، ويقطّع الهضاب في مكّة كي تصير الأرض سهلة زراعية كأرض الشام وتذهب حزونتها، ويحيي لهم موتاهم ممّن مضى، إلّاأن القرآن ذكر أنّ المطلوبات ثلاثة لو أُنجزت بالقرآن لا بالمصحف الشريف المقدّس لما آمنوا، فهذه الآية دالّة على أنّ هذه الأُمور ممّا يمكن تحقّقها بحقيقة القرآن إلّاأنّه تعالى لم يأذن لنبيّه صلى الله عليه و آله بتحقيقها وإيجادها بتوسّط ما لديه من حقيقة القرآن؛ لأنّ مشركي قريش لا- يفون بشرطهم باستجابتهم للإيمان، ممّا يكشف عن أنّ هذه الأُمور تحصل بالقرآن، سوى أنّه لم يحصل لأنّه لا يؤدّي إلى وفائهم وإيمانهم.

ب- «لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ» «۲»

، فالخشية ههنا عظيمة، ومن ثمّ جاء: «إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ»، ومن الواضح أنّ نفس المصحف الشريف لو وضع على جبل لا- يوجب تصدّعه، فمن الواضح أنّ المراد هو نزول حقيقة القرآن على الذات الحقيقية الخفية للجبل، حيث يثبت القرآن الكريم للأشياء الجامدة ذاتاً خفية وراء أجسامها، كقوله تعالى:

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۳۳

«أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ» «۱»

، و «وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ» «۲»

، ممّا يثبت أنّ لذوات الأشياء إدراك وشعور.

ج- وفي آيات أُخرى: «آتَانِيَ الْكِتَابَ» «۳»

وما أشبه، دالّة على مؤهّلات النبيّ الظاهرة في أنّ إيتاء الكتاب غير جعل النبوّة، وإنّما هو مقام غيبي آخر وعلم لدني قد يقترن بالنبوّة.

د- قوله تعالى: «وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَايَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ

وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِی كِتَابٍ مُبِينٍ» «۴»

، وقوله تعالى: «مَا مِنْ غَائِبَةٍ فِی السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِی كِتَابٍ مُبِينٍ» «۵»

، الدالّ على أنّ كلّ شیء مستطرّ فی الكتاب والكتاب المبين، فالذی لديه علمه يحيط بذلك أو لديه بعضه فيحيط بقدر منه.

والقرآن هو الكتاب كما ورد فی الواقعة وهی قوله تعالى: «إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ* فِی كِتَابٍ مَكْنُونٍ» «۶»

، وكذا فی سورة الدخان وهی قوله تعالى: «حم* وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ* إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِی لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ..» «۷»

، وغيرها من السور الدالّة.

وقد منح شطر من العلم المزبور لآصف بن برخيا.

ونرجع دفّة الكلام إلى أصل القصّة وبدايتها من قوله تعالى: «قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِی بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِی مُسْلِمِينَ* قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّی عَلَيْهِ لَقَوِیٌّ أَمِينٌ* قَالَ الَّذِی عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّی لِيَبْلُوَنِی أَأَشْكُرُ أَمْ

أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّی غَنِیٌّ كَرِيمٌ» «۱»

.والمفاد الأوّلی لهذه الآية: أنّ جليس سليمان لم يصفه القرآن بأنّه نبیّ ولا مرسل، بل لديه علم من الكتاب، فی حين يثبت له القرآن الكريم علم غير كسبی.

ثمّ يستفاد من الآية أُمور:

أوّلًا: إنّ جليس سليمان الذی هو آصف بن برخيا- والذی عليه الفريقان- لم يكن نبيّاً ولا مرسلًا مع ذلك زوّد بعلم لدنی غير كسبی، ممّا يعنی أن هذا العلم لا يختصّ بنبیّ ولا رسول، بل تعلّق بغيرهما، ولكونه حجّة من الحجج الإلهية.

ثانياً: إنّ علمه لدنی غير كسبی، ودليل ذلك:

۱- وصفه القرآن الكريم بأنّه علم من الكتاب توطئة لبيان القدرة على المجیء بعرش بلقيس، والوصف دخيل فی العلّيه، حيث وصف علمه بعلم الكتاب، فالعلّة والسبب لهذا الفعل هو العلم غير الكسبی بل اللدنی كما يقال فی علم البلاغة والبيان الوصف مشعر بالعلّية.

۲- إنّ آصف بن برخيا مؤهّل لهذه المهمّة الإلهية التی تُعدّ إحدى المقامات العالية التی لا ينالها إلّاأهلها، ممّا يعنی أنّ آصف بن برخيا فی درجة من الطاعة والعبودية يستحقّ عندها الاصطفاء لهذه الحبوة الكريمة.

على أنّ الكتاب المشار إليه فی الآية لم يكن هو الكتاب الخطّی المنقوش، بل هو الكتاب الحقيقی الملكوتی الذی يهيمن على النشآت الأُخرى، لذا ورد لفظ الكتاب فی القرآن الكريم فی عدّة موارد مشيراً إلى هذه الحقيقة، كما فی قوله تعالى: «وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِی السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِی كِتَابٍ مُبِينٍ» «۲»

، وقد أشارت إلى ذلك سورة الواقعة فی قوله تعالى: «فِی كِتَابٍ مَكْنُونٍ* لَايَمَسُّهُ إِلَّا

الْمُطَهَّرُونَ» «۱»

، وفی سورة الرعد وصف لهذا الكتاب: «وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا..» «۲»

، وكما فی سورة الحشر قوله تعالى: «لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ» «۳»

، فالإنزال المشار إليه هو إنزال ملكوتی حقيقی، وليس هذا المصحف المنقوش بل بوجوده اللدنی الملكوتی. ومن آثار هذا العلم اللدنی إمكانية حامله بإتيان عرش بلقيس قبل أن يرتدّ الطرف، وهی قدرة خارقة عجيبة حاز عليها آصف بن برخيا بتحمّله هذا العلم الإلهی الذی هو بعض ذلك العلم، لتنكير كلمة (علم) الواردة فی الآية ولفظة (من) ممّا يشير إلى أنّ آصف حُبی ببعضه فقط.

كما يجب التنويه إلى أنّ وجود علم الكتاب عند غير الأنبياء دليل تشريك فى المسؤولية والحجّية بينهم وبين مَن عنده علم الكتاب وهم الحجج.

وبانتظام ومطابقة بين علم الكتاب فى سورة الرعد وعلم الكتاب فى سورة الواقعة يُتنبه إلى حقائق:

الأُولى: إنّ سوراً عديدة تفسّر الكتاب المبين بالقرآن، كما هو عليه سورة الدخان فى قوله تعالى: «حم* وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ* إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ» «۴»

، والتنزيل إشارة إلى أنّ المنزّل هو ذلك القرآن الذى وصفته الآية بالكتاب المبين، وكما فى سورة الواقعة عند قوله تعالى: «إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ* فِى كِتَابٍ مَكْنُونٍ» «۵»

، وقوله تعالى فى سورة النمل: «وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِى السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَابٍ مُبِينٍ» «۶»

، ممّا يعنى أنّ الكتاب المشار هو القرآن الكريم.

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۳۶

الثانية: إنّ الكتاب تارةً يُطلق على جنس الكتاب، وتارةً يُطلق على الكتاب العهدى للّام العهدية، والمقصود من الكتاب هنا هو القرآن الكريم لورود اللام العهدية فى تعريفه، وأنّ للقرآن مواقع ومنازل كونية ملكوتية، وأنّ المصحف الشريف هو أنزل تلك المواقع والمنازل، ومن ثمّ وصف فى الآيات بأنّه تنزيل الكتاب، أى الدرجة والموقع النازل من الكتاب لا المواقع المكنونة الغيبية القدسية ذات المجد والكرامة.

الثالثة: إنّ القرآن الكريم وصفه اللَّه تعالى بأنّه مهيمن على الكتاب، وهذه الصفة تعنى الإحاطة، فما نزل على الأنبياء من الحقائق العلمية والتى أودعت فى كتب مثل التوراة والإنجيل وصحف إبراهيم وموسى فهى مودعة مثلها فى القرآن الكريم.

والخلاصة:

إنّ ما كان عند آصف بن برخيا هو بعض علم الكتاب أى بعض من القرآن؛ إذ الكتاب هو القرآن الشامل لكلّ الكتب التى أسلفنا.

وتبين عند ذلك أنّ الكتاب له وحدة واحدة وهو القرآن، أى: أنّ المعارف السماوية وحقائقها كلّها أودعت فى القرآن الكريم، وإذا كان آصف بن برخيا قد علِم بعض حقائق القرآن فكيف بمَن أُحيط بعلمه كلّه ظاهراً وباطناً وهو رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وأوصيائه الحجج المعصومين من أهل بيته الطاهرين (صلوات اللَّه عليهم أجمعين)؟

النموذج القرآنى التاسع: قصّة عزير ... ص: ۵۳۶

قوله تعالى: «أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِى هَذِهِ

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۳۷

اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ» «۱»

، على اختلاف الروايات عند الفريقين فإنّ الذى مرّ على قرية هل هو إرميا النبىّ أم هو عزير الذى هو أحد الحجج الإلهية؟

وعلى كلا الوجهين فإنّ الذى يهمّنا هو أنّ الكلام الإلهى المقصود فى الآية كونه إسناداً مباشراً إلى اللَّه تعالى فهذا الوحى والخطاب الإلهى خوطب به الذى مرّ على القرية.

وعلى فرض أنّ المقصود هو عزير- وهو المشهور بين الفريقين- فإنّ عزير لم يكن نبيّاً، بل هو حجّة من حجج اللَّه تعالى، ومع ذلك فقد حصل على مقام التكليم مع اللَّه تعالى مباشرة، ممّا يعنى أنّ التكليم الإلهى ليس من مختصّات مقام النبوّة فقط، بل يشترك معها مقام الحجج الإلهية كذلك.

ولسائل أن يقول: إذا كان نبيّ اللّه إبراهيم قد سأل اللّه تعالى بنفسه ما سأل عزير حين قال حكاية عن إبراهيم: «وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَ لَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي» «۲»

، فكان ذكره فى مقام مدح وثناء، بينما كان تساؤل عزير فى مقام ذمّ واستياء كما يفيد ظاهر الآيتين وسياقهما.

وقد ذهب المفسّرون أنّ إبراهيم كان فى تساؤله طلباً واستفهاماً وغايته الاطمئنان القلبى، فى حين كان تساؤل عزير استنكاراً لقدرة اللّه تعالى، وأنّ إبراهيم إستعمل أدباً خاصّاً فى طرحه لهذا التساؤل الاستفهامى، لذا فإنّ الإحياء الذى وقع لإبراهيم كان فيه كرامة فى حين كان الإحياء لدى عزير واقعاً فى نفسه حيث كان محلّاً لقدرة اللّه تعالى.

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۳۸

إضاءة حول الرجعة ...: ص: ۵۳۸

وفى قوله تعالى: «كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ».

فالمحاورة التى جرت بين اللّه تعالى وبين عزير كانت على مستوى الروح وليس على مستوى البدن؛ لأنّ بدن عزير لم يتمّ إنشاء إعادته أثناء المحاورة، فلا سمع بدنى عندئذٍ ولا لسان ولا جوارح أُخرى تُقدِره على ذلك.

كما أنّ طبيعة النفس الإنسانية إذا وجدت فى نشأة بعد نشأة أُخرى فإنّها تكون فى حالة غيبوبة، ولدى النفس إقبال على النشأة الجديدة وذهول عن النشأة السابقة كما فى قوله تعالى: «يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا* يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا* نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا» «۱»

، وهذا ممّا يؤيّد ما تذهب إليه الإمامية فى الرجعة، وذلك أنّه لو أُشكل بأنّ القول بالرجعة ينافى كون الدنيا دار امتحان وذلك بسبب إبطال الامتحان فيما سبق من النشآت، ممّا يعنى أنّ أهل جهنّم عندما يرجعون إلى دار الدنيا قبل يوم القيامة بسبب ما ذاقوه من عذاب البرزخ سوف يتوبون وأنّ أهل الحقّ سوف يزدادون فى أعمال الخير وهذا خلاف حكمة الامتحان فى دار الدنيا.

والجواب: إنّ النفس عندما تقبل على نشأة أُخرى جديدة فإنّها تنسى النشأة السابقة وتعيش فى نشأة جديدة.

ونفس الجواب يُجاب به لمن أشكل من فلاسفة المسلمين من الخاصّة حيث يستشكلون فى عالم الذرّ من أنّ فرض وجود روح والمخاطبة فى عالم لو كان كذلك لما نُسى عالم الذرّ فى عالم النشأة اللاحقة، وكما أشكل ملّا صدرا إضافة إلى ما سبق- بقوله: ولكنّا معطّلين الوجود فى عالم الذرّ أى لو كانت النفس غير

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۳۹

حادثة بحدوث البدن، بأن كانت أسبق منه فى الخلق، واستدلّ بأنّا لا نتذكّر أنّا كنّا فى حركة وتأثير وفعّالية، ومن ثمّ اختار وأسّس نظريته أنّ النفس جسمانية الحدوث وروحانية البقاء، ورفض كون النفس روحانية الحدوث وروحانية البقاء. والجواب عن كلّ ذلك هو أنّ انبعاث النفس إلى نشأة جديدة وانشدادها إليها ينسيها مشاهد النشأة السابقة والنشآت السابقات، كما يقصّه لنا القرآن الكريم حول نسيان النفوس نشأة البرزخ.

علماً أنّ السؤال الفطرى فى عالم الذرّ لا ينافى النسيان فى النشأة اللاحقة.

وقوله تعالى: «فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ».

إنّ بدن عزير فى الظاهر قد بُلى، أمّا الطعام والشراب لم يبلَ، وهو نوع إعجاز، والقدرة الإعجازية هنا تعلّقت بالطعام والشراب الذى لابدّ من فساده ولم يفسد وإحياء ما قد بُلى وهو عزير.

وهذا شاهد قرآنى على طول عمر الإمام الحجّة (عج)؛ فإذا أمكن إبقاء قابلية الطعام والشراب على البقاء ففى قدرته تعالى على إبقاء

الإمام الحجّة (عج) أولى.

وقوله تعالى: «وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ»، أى: معجزة للناس، ولم يكن عزير نبيّاً ولا رسولًا.

إنّ كون الشىء آيـة لعموم النوع والجنس مثل خلق الإنسان، فلا تكون الحجّية لكلّ واحد من الناس بخصوصه فى خلقته، فى حين لو كان الإعجاز لشخص معين من حيث هو فعل اللّه تعالى لشخص من باب التكريم والرحمة، فإنّ هذه الكرامة هى قدرة اللّه تعالى تظهر فى الشخص الذى هو فى مقام الحجّة الإلهية.

على أنّ الـذى يُحبى بالمعجزة الإلهيـة لا يمكن أن يكون غير حجّة؛ لأنّ ذلك سيكون تغريراً بالمكلّفين، نعم، فيما إذا كانت المعجزة لا من باب التكريم بل من باب النقمة، فإنّ الذى تقع عليه المعجزة عندئذٍ ليس بحجّة، كما حدث لفرعون

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۴۰

وأمثاله من الظالمين.

كما أنّ أغلب موارد غير الحجّية لا يُعبّر عنها بالجعل، بل يُعبّر عنها بغير ذلك، نحو: (ليكون آيـة)، «فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً» «۱»

، فى حين موارد الحجّية أغلبها عبّر عنها القرآن الكريم «بالجعل»، كما فى قوله تعالى:

«وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً» «۲»

، وقوله تعالى: «وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً» «۳»

، وهذا ما يؤيّد حجّية عزير، فقوله تعالى: «وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ» «۴»

، والآية هنا آية تكوينية.

قوله تعالى: «قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ».

وهـذا أحد مؤيّدات حجّية عزير؛ لأنّ العلم هنا إشارة إلى العلم اللدنى لا الاكتسابى، ومن القرائن المؤيّدة أنّ عزير له مقام الحجّة، ذكر فى دعاء أُمّ داود فى النصف من رجب، حيث ورد ذكره فى سياق الحجج كلقمان وخالد بن حنظلة وغيرهما.

قوله تعالى: «قَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ»، إنّ اليهود ادّعوا أنّ العزير ابن اللّه لا على سبيل البنوّة، بل تشريفاً، كقوله تعالى: «قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا» «۵»

، أى: اتّخاذ تشريفى لا حقيقى على سبيل البنوّة. لـذا فإنّ النبىّ صلى الله عليه و آله حين حاجـج اليهود- كما فى روايـة الطبرسى فى الاحتجاج- وسألهم عن سبب اتّخاذهم هـذه الـدعوى، وكون عزير هو ابن اللّه، فقالوا: لأنّه أحيى التوراة فأقرّهم النبىّ صلى الله عليه و آله على أنّه أحيى التوراة ولكن لم يؤيّدهم على دعواهم الفاسدة أنّه ابن اللّه.

وهذه بنفسها قرينة على أنّ الإحياء للتوراة لا يكون إلّامن قبل وصى.

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۴۱

وفى رواية ابن عبّاس أنّ اللّه تعالى ألقى التوراة فى قلب عزير، فهو إلهام لدنى، ولكنّ بعض المفسّرين قالوا: إنّ الإحياء هو جمع أوراق التوراة وليس هو إلقائها، إلّا أنّ الروايات متّجهة إلى الرأى الأوّل وهو إلقاء التوراة من قبل عزير.

وفى رواياتنا أنّ أمير المؤمنين عليه السـلام استنسخ التوراة وتوارثها أهل البيت عليهم السلام، وهو ما يسمّى بالجفر الذى يشمل التوراة وصحف موسى وغيرها، ففيها ما هو كائن.

والقرآن الكريم لم يُخطّئ اليهود فى تعظيم عزير ومقام الحجّية لديه، بل يخطّئهم فى دعواهم أنّ العزير ولد اللّه، سبحانه عما يصفون.

كما يُلاحظ فى قصّـة عزير نكتـة هامّـة وهى أنّ إحياؤه للتوراة وحفظه للرسالـة دليل على أنّ عزير نفسه مؤهّل أن يُفاض عليه ما أفاض اللّه تعالى على النبىّ موسى عليه السلام، وهذا دليل على كونه حجّة من حجج اللّه تعالى.

النموذج القرآنی العاشر: الحواریون ... ص: ۵۴۱

قوله تعالی: «وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ» «۱»
، وظاهر الآیة هو وحی وإحیاء اللَّه لهم مباشرة لا بتوسّط النبیّ عیسی، کما ورد فی الروایة عن أبی جعفر الباقر علیه السلام فی تفسیر العیاشی أنّهم:
أُلهموا، وقولهم استجابة لهذا الوحی تخاطباً مع اللَّه عزّوجلّ، أی اشهد یا اللَّه.
وقد ورد عن الإمام الرضا علیه السلام: «أنّ عدّتهم اثنا عشر، وأنّهم سمّیوا بالحواریین لأنّهم مخلصین فی أنفسهم ومخلّصین لغیرهم من أوساخ الذنوب» «۲»
، وکذلک عن

الامامة الالهیة(۵)، ج۳، ص: ۵۴۲

الإمام الرضا علیه السلام: «إنّ عدّتهم اثنا عشر وکان أفضلهم الوقا» «۱»
، وفی احتجاج الرضا علیه السلام علی جاثلیق النصاری فی مجلس المأمون، قال علیه السلام: «أنا مقرّ بنبوّة عیسی وکتابه وما بشّر به أُمّته وأقرّت به الحواریون» «۲»
. أی بشارته لأُمّته بسید الأنبیاء وهو الذی أقرّت به الحواریون، فیظهر من کلامه علیه السلام أنّ الحواریین هم من الحجج المنصوبین، حیث احتجّ بإقرارهم. وفی روایة عن أبی جعفر علیه السلام: «ثمّ إنّ اللَّه أرسل عیسی بن مریم إلی بنی إسرائیل خاصّة، فکانت نبوّته فی بیت المقدس، وکان من بعده الحواریون اثنی عشر، فلم یزل الإیمان یستسر فی بقیة أهله منذ رفع اللَّه عیسی علیه السلام، وأرسل اللَّه تعالی محمّداً صلی الله علیه و آله إلی الجنّ والإنس عامّة، وکان خاتم الأنبیاء وکان من بعده الاثنا عشر الأوصیاء علیهم السلام» «۳».

الامامة الالهیة(۵)، ج۳، ص: ۵۴۳

القائمة الثانیةمن النماذج القرآنیة ... ص: ۵۴۳

اشارة

وهو ما حبی اللَّه تعالی به من الأنبیاء والرسل کما فی القرآن الکریم من مقامات ومناصب إلهیة، لا ترتبط وحیثیة النبوّة، إلّاأنّ أهل سنّة الجماعة فسّروا هذه المقامات بأنّها من باب الإعجاز، إلّاأنّ القرآن الکریم وصفها بأنّها مناصب إلهیة ولیس هی لغرض الإعجاز فقط.
وجواب آخر لهذا التوهّم وهو أنّ المعجزة یکفی فیها وقوعها بنحو دفعی فقط فیما کانت من الأفعال، أما استمرارها فلا حاجة إلیه، فالمعجزة کالبارقة الغیبیة لإثبات الإعجاز، والحال أنّ هذه المقامات الموهوبة لهم مستمرّة طیلة أعمارهم الشریفة.
وجواب ثالث: إنّ هذه القدرات والمناصب لا ترتبط بحیثیات النبوّة، والشاهد علی ذلک أنّ عصمة الأنبیاء لو کانت فی دائرة التبلیغ فقط دون مقام حکومتهم لاستلزم التدافع عقلًا بین عدم العصمة فی حکومتهم والقول بأنّ نصبهم من اللَّه تعالی؛ وذلک لأنّ أمر اللَّه تعالی بطاعتهم المطلقة یتناقض مع فرض إمکان خطئهم.
فیتبین من ذلک أنّ منصب الحاکمیة والحکومة والإمامة الثابت لسید الرسل ولمن قبله فی جملة من الرسل هو مقام لهم لدنی زائد علی مقام النبوّة، وهذا ممّا یدلّل علی أنّ المقامات الإلهیة لا تختصّ بالنبوّة والرسالة فقط، بل تشمل الحاکمیة وهی الإمامة وغیرها،

كما فى مقام الحجّية فى دائرة محدودة كما فى

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۴۴

مريم وأُمّ موسى، ومن ثمّ فإنّ أهل سنّة الجماعة يذعنون للنبىّ صلى الله عليه و آله بالعصمة فى حكومته ولكن يتحاشون من التصريح بذلك؛ خوفاً من لوازمها، ويشهد لإذعانهم الخفى بذلك أنّهم يقرّون بلزوم التوفّر على الفضائل فى من يخلف النبىّ صلى الله عليه و آله ولابدّ أن يكون صاحب فضائل يفوق غيره.

وهذه الفضائل والمناقب التى يذعنون بلزومها فيمن يخلف النبىّ إذا أمعن النظر فى معانيها وحقيقتها يتّضح أنّها هى حقيقة العصمة، وأنّهم اضطرّوا إلى دعوى أنّ الخلفاء الثلاثة هم أفضل الخلق لأجل ذلك، فهذا إقرار خفى منهم بأنّ المفضول لا يقدّم على الفاضل، وبذلك أذعنوا إلى حقيقة مهمّة وهى أنّ من يتولّى منصب الإمامة والخلافة لابدّ من عصمته، إلّاأنّهم يحاولون الاجتناب عن التصريح بذلك.

إذن فهناك حبوات ملكوتية تُعطى للأنبياء ليس على سبيل الإعجاز فقط، بل هى عناوين ومناصب إلهية أُخرى غير النبوّة.

ومعنى ذلك أنّ هذه المقامات لدى الأنبياء لا بما هم أنبياء، بل بما هم أولياء، فهذه الجهات مجعولة من قبل اللّه تعالى بما هم حجج أولياء؛ لغرض الهداية الإيصالية، فالقرآن نبّه على هذه المقامات بما هم حكام أولياء لا بما هم رسل أنبياء.

النموذج الأول لهذه القائمة: آدم عليه السلام ... ص: ۵۴۴

قوله تعالى: «وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّى أَعْلَمُ مَا لَا

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۴۵

تَعْلَمُونَ» «۱»

، والآية مطلقة فى الجعل الكلّى للخلافة والإمامة، والخلافة هى ولاية مطلقة، والنيابة هى ولاية متوسّطة، والوكالة هى ولاية ضعيفة.

والقرآن الكريم لا يستعرض بصراحة نبوّة آدم بل صرّح بخلافته، لذا أنكر بعض المنحرفين نبوّة آدم لعدم التصريح بذلك فى الآيات.

قوله تعالى: «أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَآءَ»، فاعتراضهم من جهة ولاية آدم وليس فى تبليغه كنبىّ.

قوله تعالى: «وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ»، وتعليم الأسماء ليس فيه بعثٌ لآدم فى مقام النبوّة، فهى ليست شريعة ولا منهاجاً، بل حقائق مقامات تكوينية مرتبطة بأصل الديانة والولاية الإلهية.

والآية بينت أنّ ولاية آدم ليست مختصّة فى الأرض، بل هى شاملة على الملائكة والإنس والجنّ، فالكلّ تُفترض عليه طاعة آدم.

وفى قوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ* ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» «۲»

، والاصطفاء لا يختصّ بالنبوّة، بل يعمّ سائر المقامات والفضائل والكمالات اللدنية الوهبية، هذا الاصطفاء كالجنس العامّ للمقامات الغيبية؛ وذلك لدخول مريم عليها السلام فى آل عمران مع كونها غير نبىّ بل كونها حجّة، فالاصطفاء إذن هو اجتباء للطهارة والعصمة وللمقام من المقامات الغيبية.

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۴۶

النموذج الثانى: إبراهيم عليه السلام ... ص: ۵۴۶

قوله تعالى: «وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَايَنَالُ عَهْدِى الظَّالِمِينَ» «۱»

، إنّ أصل الإمامة ليس هو مجرّد منصب اعتبارى، بل هو منصب تكوينى غيبى، وجعل إبراهيم إماماً إحدى درجاته النازلة هو الإدارة الظاهرة المعلنة أو الخفية لشؤون البشر، وتزويده بالعلم اللدنى وجعله إماماً هو مقام غيبى يغاير مقام النبوّة.

وإذا كانت الهداية الإراءية أى بقاء الشرائع والتى هى من مهام الأنبياء غير منقطعة فى أى حقبة من حقبات البشر، فإنّ الهداية الإيصالية التى هى من مهام الإمامة غير منقطعة كذلك، ومعنى ذلك أنّ الإمامة لا يمكن أن تنقطع أبداً، فمنصب الإمامة يؤكّده القرآن كسنّة إلهية، وليس هو بدعاً فى العقيدة بل عقيدة قرآنية راسخة.

قوله تعالى: «تِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ» «۲»

، ومعنى الإيتاء هنا هو الإيتاء بالعلوم اللدنية والمقامات الإلهية التى ليست زائدة على شؤون النبوّة وحيثياتها.

قوله تعالى: «وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ» «۳»

، فإيتاء الكتاب والحكمة يغاير النبوّة، بشهادة سياق التعداد لبيان تنوّع النعم والمنن على بنى إسرائيل، فكيف يُدّعى أنّ إيتاء الكتاب والحكمة هى النبوّة؟ ويعلم من الآية الكريمة أنّ الذى عنده علم الكتاب ليس بالضرورة أن يكون نبياً كما هو الحال فى آصف بن برخيا صاحب سليمان كما تقدّم. بل القرآن فيه موارد متعدّدة تدلّل على أنّ الإيتاء غير النبوّة.

قوله تعالى: «أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۴۷

الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا» «۱»

، فالكتاب والحكمة وإيتاء الملك العظيم ليس يتعلّق بحيثيات النبوّة، والملك سنخ ملكوتى لدنى وليس سنخ اعتبارى، ومن هنا يُفسّر الملك العظيم كما فى الروايات بأنّه الإمامة.

لأنّ الملك مصحوب بالقدرة نظير عنوان الخلافة، كما فى آدم زوّد بالأسماء ثمّ سجدت له الملائكة، فقدرته نابعة من الأسماء التى علّمها اللّه تعالى إيّاه.

ودُعّم هذا المعنى بنفس الآية فى قوله تعالى: «فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ»، وهذا هو الملك العظيم الذى هو القدرة وطاعة وخضوع جميع الملائكة فى السموات والأرضين وائتمارهم للخليفة فضلًا عمّن هو تحت سيطرة الملائكة.

قوله تعالى: «وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ» «۲»

، يُعبّر عن الإمامة بتعابير مختلفة، فمرّة يُعبّر عنها بالملك، وأُخرى يُعبّر عنها بالخليفة والإمامة، ورابعاً يُعبّر عنها بالكلمة، وإلى غير ذلك.

وذهب بعض أهل سنّة الخلافة بأنّ الكلمة هى كلمة التوحيد، أى مجرّد قول لا إله إلّااللّه على اللسان، وهذا غير موافق لظاهر الآية؛ لأنّ إطلاق الكلمة قرآنياً لا يقتصر على الكلمة لفظياً، فقد أطلق على عيسى بكلمة اللّه، فالحجج الإلهية هم كلمات اللّه تعالى، والكتاب التكوينى هو الذى تجمع فيه الكلمات جميعاً، أمّا هذا الكتاب الذى بين أيدينا فهو كتاب اعتبارى جُمعت فيه الكلمات الاعتبارية.

وقوله تعالى: «يُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ» «۳»

أى يقيم الحقّ بكلماته، بيان للقائمين بالهداية الإرائية والإيصالية، والكلمات هم الحجج الذين يتولّون مهام

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۴۸

الهداية الإرائية، ومن ثمّ مهام الهداية الإيصالية كذلك.

وفى قوله تعالى: «وَكَذَلِكَ نُرِى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ» «۱»

وإراءة الملكوت مقام زائد على مقام النبوّة، ومن ثمّ امتاز به إبراهيم على جملة من بقية الأنبياء، والملكوت هو الجانب الأمرى والسلطة

على كلّ مخلوق والذى هو بيده تعالى.

النموذج الثالث: إسحاق ويعقوب عليهما السلام ... ص: ۵۴۸

قوله تعالى: «وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ» «۲»

، فالجعل هنا كالتعريف لبيان حدود المعنى للإمامة، إذ هناك منصب آخر غير النبوّة وهو منصب الإمامة كما ورد فى القرآن الكريم، والهداية المعبّر عنها بقوله تعالى:

«يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا» هى هداية أمرية وهى هداية ملكوتية فى مقابل الهداية الملكية، وقد تقدّم شطر من بيان معنى الأمر من الكلام فى الفصل السابق فى مباحث ليلة القدر والفصول السابقة أيضاً، وأنّ الأمر هو الروح الأمرى وهو روح القدس الذى يتنزّل ليلة القدر وينزل الملائكة معه.

وقوله تعالى: «وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ..»، ممّا يدلّ على أنّ الإمامة هى وحى تسديدى وليس من الوحى النبوى.

وقوله تعالى: «وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ»، ولم يكن التعبير: (وأوحينا إليهم أن افعلوا الخيرات) والفرق بين التعبيرين أنّ فى التعبير الأوّل متعلّق الوحى ذات فعل الخير تكوينياً، وأمّا فى التعبير الثانى متعلّق الوحى ليس هو ذات الفعل وإنّما هو الأمر التشريعى والطلب الإنشائى للفعل، وهو دليل على أنّ الأئمّة عليهم السلام لديهم

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۴۹

العصمة الفعلية، كما أنّ منصب الإمام ليس هو مجرّد منصب تشريعى اعتبارى، بل منصب تكوينى لدنى.

فهناك عصمة علمية وعصمة عملية لقوله تعالى: «وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ»، ممّا يدلّ على أنّ أفعالهم حجّة إلهية، فضلًا عن أقوالهم صلوات اللَّه عليهم أجمعين.

وقوله تعالى: «وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِى الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ» «۱»

، والآية تدلّ على وجود الهداية الإيصالية فى الإمامة لقوله تعالى: «وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ»، أى هناك حيثية إيصالية فى هدايتهم لبيان الغاية والعاقبة.

وقوله تعالى: «وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ» «۲»

، وهنا تبين أنّ الإمامة سنخ غيبى غير سنخ النبوّة، فالأمر الإلهى فى القرآن هو جانب الملكوت. والإيقان هو التسليم والمعرفة التامّة، فالإمام لديه اليقين التامّ، أى أنّ الملكوت أمامه دائماً، والروح الأمرى وهو غيب عن عالم السماوات وعن عالم الملائكة، لذا فهو يهدى بالهداية الإيصالية.

وقوله تعالى: «أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّى أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَاتَعْلَمُونَ» «۳»

، إنّ التعبير «إِنِّى أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَاتَعْلَمُونَ» دليل على أنّ العلم هذا ليس علماً كسبياً، بل هو علم لدنى أوتى به يعقوب غير مرتبط بالنبوّة، هو من غير قناة النبوّة، بل هو من باب الولاية الاصطفائية.

قوله تعالى: «وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِى عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۵۰

شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ» «۱»

، وهذا هو العلم الذى عُلّم به يعقوب، غير مرتبط بالنبوّة، بل مرتبط بتدبير الأمور على نحو التفصيل فى الشؤون المعاشية المرتبط بالولاية، والتعبير لما علّمناه هو تأكيد آخر على كونه علماً لدنياً غير كسبى.

النموذج الرابع: يوسف عليه السلام ... ص: ۵۵۰

قوله تعالى: «وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَايَعْلَمُونَ» «۲» ، إيتاء علم تأويل الأحاديث ليوسف ليس كسبياً بل هو لدنى، وليس هو من شؤون النبوّة؛ إذ ليس مرتبطاً بالتشريع أو المسائل الاعتقاديه. فما المقصود بتأويل الأحاديث؟

إنّ تأويل الأحاديث ليس هو تأويل الرؤيا وحده، بل هو أحد مهامه إذ تأويل الأحاديث أعمّ من ذلك، حيث إنّ كلّ نشأة تأويل للنشأة السابقة، فعالم الأصلاب هو تأويل لعالم الذرّ وعالم الأرحام تأويل لعالم الأصلاب وهكذا، إذ التأويل من الأوْل أى الرجوع، فكلّ نشأة راجعة إلى النشأة السابقة، فالتأويل هو منتهى الشيء والمآل له.

ونبىّ اللَّه يوسف عليه السلام ليس لديه تأويل الرؤيا فحسب، بل لديه علم معرفة مآلات أحداث الدنيا أى عواقب تلك الأحداث الدنيوية.

هذا على مستوى نطاق نبوّة يوسف عليه السلام، فكيف بنبىّ اللَّه الخاتم صلى الله عليه و آله وأوصيائه المعصومين؟ فقد حُبوا أكثر وأعظم مما حُبى به يوسف عليه السلام، وذلك لقوله تعالى:

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۵۱

«وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ» «۱» ، والضمير فى تأويله عائد إلى كلّ الكتاب، وتأويل كلّ الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة ولا رطب ولا يابس ولا غائبة فى السماء والأرض إلّاأحصاها، ومعلوم أنّ الراسخين فى العلم فى هذه الأُمّة هم صلوات اللَّه عليهم أجمعين؛ وذلك بشهادة آية التطهير، وأنّ أهل البيت هم المطهّرون فى هذه الأُمّة، وقد قال تعالى: «إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ* فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ* لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ* تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ» «۲»

.وأما قوله تعالى: «هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا» «۳» ، فالظاهر أنّ ذلك إشارة إلى ما أنعم اللَّه عليه من معرفة تأويل الأحاديث، ومنه تفسير الرؤيا الذى عرف به مآل مستقبل أهله وإخوته.

وهذا نوع من أنواع العلم اللدنى الذى حُبى به يوسف عليه السلام، ولا ربط له بالرسالة بل بعلوم الولاية. وتأويل الأحاديث أعمّ من تعبير الرؤيا إلّاأنّه أخصّ من تأويل القرآن؛ لأنّ تأويل القرآن تأويل لكلّ النشأت السابقة واللاحقة للنشآت الأُخروية، فالذى يحيط بعلم تأويل القرآن هو أعلم ومهيمن على علم من يحيط بتأويل الأحاديث، ومن هذا القبيل قوله تعالى: «وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا» «۴» ، إشارة إلى أنّ

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۵۲

الاستنباط بالمعنى القرآنى لا بمعنى الاجتهاد الظنّى؛ إذ هو لا يورث العلم ولا يوقى عن اتّباع الشيطان فى تدبير النظام الاجتماعى السياسى؛ إذ يتوقّف ذلك علاوة على العلم المحيط بالتشريعات الإلهية، على العلم اللدنى المحيط بالموضوعات فى الشؤون المختلفة وعلم الأحداث الذى يزوّد به ولىّ الأمر فى ليلة القدر، حيث يتنزّل عليه تفاصيل كلّ الأحداث المستقبلية صغيرها وكبيرها وقد تقدّم شطر وافر من الكلام فى الفصل السابع من مباحث ليلة القدر، وقرينة على إرادة هذا المفاد من الآية هو التعبير ب (لَعَلِمَه) الظاهر فى حقيقة العلم لا الظنّ، لا سيما قد وصف هذا العلم بأنّه يوقى بنحو دائم بات عن اتّباع الشيطان، وهو أشرف من علم تأويل الأحاديث.

قوله تعالى: «وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَايَعْلَمُونَ* وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ» «۱»

، إنّ الآية تبيّن أنّ التمكين بيد اللّه تعالى فزمام الأُمور الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وكلّ دقائق الحياة- كما سيأتى بيانه مفصّلًا- موكول أمره إلى اللّه تعالى.

وتمكين يوسف فى الأرض مقاماً غير النبوّة، بل هو مقام حاكمية من قبل اللّه تعالى، وهى إحدى الحبوات التى حُبى بها يوسف عليه السلام.

وإنّ ما عمله أُخوة يوسف عليه السلام هو بنفسه يصبّ فى الغرض الإلهى وإن كان معصية من قبلهم، وهذه سنّة لا تتخلّف من أنّ كلّ ما يعمله الظالمون والمفسدون فإنّه غير غالب لتدبير اللّه تعالى، بل اللّه تعالى غالب على أمره قد جعل اللّه لكلّ شىء قدراً «وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ» «۲»

فإنّه أخيراً سيصبّ فى الغرض الإلهى، ولا يعنى هذا حسن عمل السوء، فالقبيح يبقى قبيحاً، وعمل السوء يحيق بصاحبه: «وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ» «۳»

، ولا يضرّ اللّه شيئاً

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۵۳

وهو ما تؤكّده الآية التالية- نظير عمل إبليس، فإنّ دخول الشرور فى منظومة الخلقة الإلهية لا يخرج الأمر عن تدبيره تعالى، ولا يعيق شعرة الخطّة الإدارية التكوينية عن الوصول إلى الغايات الكمالية.

قوله تعالى: «وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ» وهذا تأكيد على أنّ كلّ مجريات العالم بدقائقه وكلّياته مرتبطة بإرادته تعالى، وهذا خلاف ما ادّعته اليهود بأنّ يد اللّه مغلولة فأجابهم اللّه تعالى بقوله: «بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ»، فالإرادات التكوينية للمخلوقين لا يمكن أن تتخطّى إرادة اللّه تعالى، لا بمعنى إلجائهم بنحو يفقدهم الاختيار إلى الجبر، بل بمعنى إنّ ما يفعلوه من أفعال الشرّ يستثمره البارى تعالى بلطيف قضاءه وقدره ومكنون حكمته فى تحقيق الغايات الكمالية الإلهية، ففعلهم شرّ، إلّاأنّ فعله تعالى فى تدبير القضاء والقدر لاستثمار ذلك خير تامّ بالغ، فكيف نتصوّر بعد ذلك أنّ اللّه تعالى قد رفع اليد عن الأُمور الاجتماعية وأهمّها قيادة المجتمع الذى يمثّله تعيين الإمام الخليفة بعد النبىّ صلى الله عليه و آله.

قوله تعالى: «وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَايَعْلَمُونَ»، أى: لا يعلمون أنّ كلّ حدث يجرى ويصبّ هو فى الإرادة الإلهية.

وبالتدبّر فى سيرة حكومة النبىّ صلى الله عليه و آله فى القرآن، وتصرّف وإرادات اللّه تعالى فى حكومة النبىّ صلى الله عليه و آله المستعرضة فى القرآن واضحة جلية، فهل يعقل انقطاع تصرّف الإرادات الإلهية فى تدبير النظام البشرى بعد وفاة النبىّ صلى الله عليه و آله لعدم تعيين الخليفة الذى تتنزّل عليه المشيئة الإلهية والإمام من قبل اللّه تعالى؟

فالقول بعدم تعيين الإمام من قبل اللّه تعالى تعطيل محض لإرادات اللّه تعالى وحكمه وحاكميته فى تدبير النظام البشرى.

قوله تعالى: «وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ»، فإيتاء العلم والحكمة جزاء لمن وصل إلى مقام الإحسان؛ لقوله تعالى: «وَكَذَلِكَ

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۵۴

نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ»، ولا علاقة لهذا الإيتاء بالنبوّة.

فالعلم اللدنى هنا لمقام المحسنين وليس للنبوّة، وهو ما يتوفّر لدى الأئمّة عليهم السلام الذين آتاهم اللّه تعالى علماً لدنياً بسبب مقامات عدّة ليس لها علاقة بمقام الرسالة، بل لكونهم حججاً مصطفين.

قوله تعالى: «كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ»، فصرف السوء والفحشاء ليس لكونه نبياً فقط، بل لكونه

من عباده المخلَصين، وقد عبّر تعالى بقوله: «لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ»، أی نمنع عنه السوء والفحشاء، ولم يقل ونصرفه عن السوء والفحشاء، أی نبعد السوء عن أن يقترب إليه، وليس إبعاد يوسف عن أن يقترب إلى السوء والفحشاء؛ إذ لم يكن من قبل النبیّ يوسف إقبال على الفحشاء والسوء كی يُبعد عنه، بل الفحشاء فی فعل زليخا حيث أرادت أن تقبل على يوسف فصُرفت عنه، فهذه دلالة على عصمة يوسف ذاتاً بل وعصمته عن أن يُخترق حريم عصمته من البيئة المعاشة.

وبذلك يظهر دلالة قوله تعالى الذی هو بنفس التعبير والتركيب: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً» «۱»

على عصمتهم الذاتية وعلى عصمتهم عن أن يخترق الرجس حريم عصمتهم، كما يشير إلى ذلك أيضاً ما فی زيارة سيد الشهداء عليه السلام: «ولم تنجّسك الجاهلية بأنجاسها، ولم تلبسك من مدلهمّات ثيابها»، وهذا دليل على أنّ يوسف عليه السلام لم يهمّ بها بل هی همّت به.

لذا فإنّ لدى المعصوم شعاع من العصمة يمنع السوء عن المعصوم فضلًا عن عصمته الذاتية. وفی سورة الدهر أكّدت أنّ أهل البيت عليهم السلام من عباد اللَّه المخلصين حيث أخلصوا مع اللَّه تعالى فانتجبهم واجتباهم، وحيث جعلوا فوق مقام الأبرار

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۵۵

فهم يسقون الأبرار من عين الكافور فيمزجون شرابهم منه.

قوله تعالى: «وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِی بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِی فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ* قَالَ اجْعَلْنِی عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّی حَفِيظٌ عَلِيمٌ* وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِی الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ» «۱»

.وهذه المرتبة حيثية أُخرى غير النبوّة يمكن أن تجعل النبیّ حاكماً فی الأرض، والشرائط الشرعية فی كونه حاكماً أن يكون حفيظاً عليماً، وهی بعينها شرائط الإمامة، وهی كونه تتوفّر لديه العصمة العلمية (عليم)، فضلًا عن العملية (حفيظ)، بخلاف من قال بتقديم المفضول على الفاضل كما ذهبت إليه المعتزلة.

وفی الآية مفهوم من أقوى المفاهيم، وهو مفهوم التعليل حيث علّلت العلم علّة لمنصب الحاكمية والجاهل ليس له ذلك، وهذا ما تلتزم به الإمامية من كون الإمام والخليفة لابدّ أن تتوفّر لديه العصمة العلمية فضلًا عن العملية، فيكون عليماً بنظم التدبير فی النظام الحاكم فی مجالاته المختلفة، ولا يجهل أوفق البرامج الموصلة إلى المثل العليا فی الكمال فی الأنظمة الاجتماعية فی الميادين المختلفة، ويكون حافظ لهذه الأمانة فی الحاكمية فلا- يميل به الهوى ولا تستولی عليه العصبية ولا يغلبه التجبّر ولا يقعده الجبن، إلى غير ذلك من الصفاة المانعة من حفظ الأمانة.

قوله تعالى: «كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِی دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِی عِلْمٍ عَلِيمٌ» «۲»

وهی إشارة إلى أنّ الأُمور لدى الأنبياء فضلًا عمّن دونهم كلّياتها وجزئياتها تجری وفق التدبير الإلهی

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۵۶

وضمن مسارات الإرادة الإلهية، فأخذ يوسف أخاه فی دين الملك لم يكن بتدبير يوسف منعزلًا عن الإرادة الإلهية والمشيئة الربّانية.

قوله تعالى: «إِذْهَبُوا بِقَمِيصِی هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِی يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِی بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ» «۱»

، فخاصّية قميص يوسف أنّه إذا أُلقی على أبيه يرتدّ بصيراً، فكيف ببدن يوسف عليه السلام، لذا فإنّ اللَّه تعالى يكرّم أولياءه بخاصّيات تكوينية.

قوله تعالى: «رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِی مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِی مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّی فِی الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِی مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِی بِالصَّالِحِينَ» «۲»

وهذا أيضاً تأكيد على أنّ ما أُوتى من مقامات لا ترتبط بمقام النبوّة والرسالة بل بمقام الولاية.

النموذج الخامس: موسى عليه السلام ... ص: ۵۵۶

قوله تعالى: «وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ* قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّافَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ* قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ* قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ* قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَاذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَاشِيَةَ فِيهَا قَالُوا الآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ* وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَاتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ* فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ» «۳»

.الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۵۷

إنّ البقرة هنا لها خاصّية إحياء الموتى على يد موسى عليه السلام فكيف بالنبىّ أو الوصىّ عليهما السلام، وليس فى ذلك غلوّ أو خلاف الحقّ، بل القرآن ينصّ على خصائص تكوينية لأجسام الأنبياء والأوصياء.

ثمّ إنّ الآية وهى فى منازعة قضائية جنائية تؤكّد أمراً مهمّاً وهو متابعة اللّه تعالى للمجتمع الإسرائيلى الذى أسّسه موسى عليه السلام فى كلّ صغيرة وكبيرة، وهذا يعنى أنّ اللّه تعالى يباشر حكومة هذا المجتمع عن طريق موسى فى السياسات الكلّية والجزئية ممّا يؤكّد أنّ اللّه تعالى يمارس الحاكمية بشكل تفصيلى بكلّ دقائق الأُمور وكلّياتها.

إنّ التوجّه السائد لدى أهل سنّة الجماعة والخلافة- وللأسف- أنّهم يُبعدون الذات المقدّسة عن ساحة الأحداث، وهو لازم قولهم إنّ خلافة النبىّ صلى الله عليه و آله أمر دنيوى لا دخل للحاكمية والولاية الإلهية التفصيلية فيه، أى تعطيل الدور الإلهى وإزوائه، والإرادة الإلهية التفصيلية والمشيئة التنفيذية لا تتنزّل على أحد إلّاعلى نبىّ أو وصى معصوم، وهو ما دفع أهل سنّة الجماعة- على ما يبدو- إلى عدم الالتزام بهذه الحقيقة القرآنية العظيمة وهى حاكمية اللّه وسلطته التنفيذية فى تفاصيل تدبير النظام البشرى السياسى والاجتماعى.

قوله تعالى: «إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ» «۱»

، والآية صريحة فى عقيدة الإمامية من كون الحكم بالشريعة فى النظام الاجتماعى السياسى هو للأنبياء، وهو منصب يختصّون به، والمرتبة الثانية أنّ الحكم للربّانيين وهم الأولياء المصطفون، والرتبة الثالثة الحكم للأحبار أى

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۵۸

العلماء وهذه الطولية فى جعل الحكم هى لمغايرة الربّانيين للأحبار.

والربّانى هو المنسوب إلى الربّ وهى صيغة مبالغة وهذه الصيغة تدلّ على شدّة القرب للّه‌تعالى فهو لابدّ أن يكون معصوماً، والربانية هى مرتبة اصطفائية وهم الأئمّة عليهم السلام وقرينة أُخرى على المراد بهم الأوصياء بقوله تعالى: «بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ»، فالذى يكون شهيداً على الكتاب كلّه لابدّ أن تكون إحاطته بالكتاب لدنية أى نظير تعبير بمن عنده علم الكتاب، كما تدلّ هذه القرينة على أنّ الربّانى لا تخلو منه الأرض، لأنّه الحافظ لإقامة كتاب اللّه فى النظام البشرى فقد استحفظ وكان على ذلك شهيداً، فلا يستقلّ الأحبار فى الحكم النيابى عن الربّانى وعن هيمنة وإشراف الوصى المعصوم فى كلّ الأزمان.

قوله تعالى: «إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا» «۱»

، وجعل الملك فى بنى إسرائيل من قبل اللّه تعالى دليل على كونه جعلًا إلهياً وعهداً منه، وأنّ سنخ جعل الملك كما هو فى جعل

النبوّة، كما فى قصّة طالوت حيث جعله اللّه ملكاً بغضّ النظر عن اختيار الناس له، والملك هنا ملك تصرّف فهو لا يقتصر على الاعتبار التشريعى، بل الملك هنا أعمّ كما فى قوله تعالى فى آل إبراهيم: «وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا» «۲»

، فهو منصب إلهى غير منصب النبوّة؛ إذ إنّ موسى عليه السلام جعل الملك نعمة وحبوة، وهى غير مختصّة ببنى إسرائيل فتعمّ كلّ الأمم، والأُمّة الإسلامية هى أولى فى جعل الملك لديها وهى الإمامة، ففى آيات عدّة عُرّف حدّ الإمامة بالملك وولاية التصرّف.

وقوله تعالى: «وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِى إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا» «۳»

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۵۹

فمع كون النقباء غير أنبياء إلّاأنّ التعبير ورد (وبعثنا)، فبعث النقباء كبعث الأنبياء عهد إلهى ملكوتى تكوينى، وقد ورد التعبير بعينه إيضاً فى طالوت حيث قال تعالى على لسان نبىّ بنى إسرائيل: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا» «۱»

كذلك.

والنقابة هى معرفة أحوال القوم وخفاياهم، فالنقيب من نقّب عن أحوال قومه، ولذا فقد ورد فى صفاة الإمام معرفته لأحوال وأسرار أُمّته، حيث ورد فى الروايات إنّ عليه السلام له عمود نور يرى بواسطته أعمال الناس، وهو مفاد قوله تعالى: «وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ» «۲»

، فالمؤمنون ههنا خصوص الأئمةّ الشهداء على أعمال البشر يرون الأعمال حين صدورها من الإنسان، وهو معنى الشهادة والرؤية لها فى سياق رؤية اللّه تعالى ومن بعده رسوله صلى الله عليه و آله ومن بعده المؤمنون المعنى بهم ما ذكرهم تعالى فى آخر سورة الحجّ: «هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِى هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ» «۳»

، فهم من نسل إبراهيم الخليل من قريش، فالإمام نقيب بما فيه من التأهيل لمعرفة أحوال البشر.

كما أنّ العدد اثنى عشر له دلالة على الإمامة الاثنى عشر، فالعدد هذا ليس اعتباطى بل سنّة إلهية فى الأُمم؛ إذ ورد أنّ أوصياء كلّ نبىّ اثنا عشر، كما ورد أنّه يجرى فى هذه الأُمّة ما جرى فى بنى إسرائيل، وورد فى الحديث النبوىّ «۴» المتواتر: «أنّ خلفائى اثنى عشر كلّهم من قريش من هذا البطن من بنى هاشم».

قوله تعالى: «وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۶۰

لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ» «۱»

، تدلّل الآية على أنّ الشريعة الموسوية فيها حاكمية وإمامة إلهية؛ لأنّ موسى عليه السلام استخلف هارون عليه السلام فى قومه حاكماً فترة غيابه والتى وهى أربعون ليلة، فكيف لا يستخلف النبىّ عليه السلام إماماً وخليفة بعد وفاته؟ مع أنّ أهل سنّة الجماعة أقرّوا أنّ النبىّ صلى الله عليه و آله استخلف فى حياته على المدينة المنوّرة عند خروجه فى الغزوات.

قوله تعالى: «وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ» «۲»

، والأُمّة هى المجموعة ذات الهدف الواحد، و (من) تبعيضية أى بعض قوم موسى يقومون بالهداية ويقيمون العدل بالحقّ، ودوام الصفة وإطلاقها يدلّ على العصمة العلمية والعملية؛ إذ الصفة أوتى بها بصيغة جملتين من الفعل المضارع للدلالة على الاستمرار والشمولية، والتعبير فى الجملة الأُولى يدلّ على دوام الفيض العلمى اللدنى لديهم، والتعبير فى الجملة الثانية يدلّ على دوام البسط والتمكين الإلهى لهم لأسباب إقامة العدل، وهم أئمّة وذلك بهديهم وإمامتهم للناس، فكيف فى أُمّة محمّد صلى الله عليه و آله، إذن لا يكون هناك أُمّة منهم أئمّة هدى؟

قوله تعالى: «وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا» «۳»

، فاختيار موسى للميقات هو اختياره لهم إلى مقام تشريفى، إلّاأنّ اللّه تعالى لم يرتضِ أهلية هؤلاء؛ لأنّ فيهم السفهاء وهم جهلاء ظالمون، فلا يكونوا مؤهّلين لسماع الوحى والتكليم الإلهى، لقوله تعالى لإبراهيم فى إمامة ذرّيته: «لَايَنَالُ عَهْدِى الظَّالِمِينَ»، وكما أنّ النبىّ صلى الله عليه و آله كلّف أبا بكر تبليغ سورة براءة، إلّاأنّ الوحى استدرك وأمره أن لا يبلّغ إلّا

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۶۱

أنت أو رجل منك، وهذه سنّة إلهية ثابتة.

فالاختيار والاصطفاء إذن من اللّه تعالى، فلو كان مع موسى غير سفهاء لكانوا مؤهّلين لسماع الوحى مع أنّهم غير أنبياء، فما تعتقده الإمامية من أنّ علىّ بن أبى طالب عليه السلام إستمع الوحى ورآه لقوله صلى الله عليه و آله: «يا علىّ، إنّك تسمع ما أسمع وترى ما أرى» «۱»

، سنّة قرآنية أصيلة، ومن ثمّ أمر اللّه نبيّه فى آية المباهلة انتداب علىّ لشهوده الوحى ومسؤوليته لهذه الشهادة هو وزوجه البتول وشبليه سيدا شباب أهل الجنّة، حيث كانوا أصحاب الكساء يشاهدون الوحى عياناً، فحمّلهم اللّه تعالى مسؤولية الشهادة فى المباهلة كشركاء تابعين للنبىّ صلى الله عليه و آله فى الحجّة الإلهية كما فى قوله تعالى: «أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ» وهو الوحى النازل، «وَيَتْلُوهُ» أى يتبعه وتابع له، «شَاهِدٌ» أى يشهد الوحى عياناً ويشهد البينة من الربّ، «مِنْهُ» أى من أهله وبمنزلة نفسه كما فى «أَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ».

وقد يُعترض بأنّ كلّ مؤمن يشهد بوحدانية اللّه وبرسالة النبىّ صلى الله عليه و آله، فلماذا خصوص الأمر الإلهى فى آية المباهلة بأهل البيت عليهم السلام بأن يشهدوا للنبىّ والرسالة دون غيرهم؟ أليس قد شهد خزيمة بن ثابت للنبىّ صلى الله عليه و آله بما لم يره عندما نازع الأعرابى النبىّ صلى الله عليه و آله فى عين مال فأمضى النبىّ شهادته عن بينة بمنزلة شهادة رجلين؟ وذلك ليقين خزيمة بصدق النبىّ صلى الله عليه و آله.

وللإجابة عن هذا الاستفسار: أنّ شهادة المؤمن حيث كانت تستند إلى إدراك المعجزة الإلهية على نبوّة النبىّ صلى الله عليه و آله فهى إخبار قطعى لا ظنّى، بل هى إخبار عن عيان؛ لأنّ المعجزة كما هو الصحيح عندنا عيان للقدرة للغيبة يتكشّف شىء من ستار الغيب، فإدراك المعجزة عيان لبروز القدرة الغيبية الإلهية.

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۶۲

لا كما عرفها المتكلّمون من أنّها برهان فكرى فى الاستنتاج الذهنى ومن نمط العلم الحصولى، بل هى علم حضورى فى الأساس، وإن كانت معجزة علمية أو تكوينية تستند إلى الحسّ فى مقدّماتها وإلى المعانى الذهنية، إلّاأنّ أبصار الإعجاز المترتّب عليها هو عيان وجدانى للقدرة الخارقة الغيبية، ومن ثمّ تكون مسؤولية المؤمن الإقرار والشهادة والإخبار القطعى بما أدركه عياناً، إلّاأنّ هذا الإدراك لمّا كان محدوداً وبنحو إجمالى كانت المسؤولية الملقاة على كاهل المؤمن هى متناسبة بقدر ذلك من افتراض الإيمان عليه والتسليم والطاعة، بل والقيام فى الواجبات فى الشريعة.

وهذا بخلاف من يحمل أن يكون قوله وشهادته سنداً بنفسه يقينياً قطعياً لحجّية نفس الرسالة والنبوّة ليضاهى قوله وشهادته المعجزة فى إثبات الرسالة، فإنّ مثل ذلك الشخص والأشخاص لا ريب ولابدّ أنّهم يتمتّعون بعيان حضورى لكلّ تفاصيل الوحى، ويشاكلون ويشاركون النبىّ صلى الله عليه و آله مع تبعيتهم له فى العلم والعيان لما ينزل على النبىّ صلى الله عليه و آله، ومن ثمّ خُصّوا بهذه المسؤولية دون غيرهم، وكانت لهم أهلية ذلك دون بقية كبار الصحابة ودون زوجات النبىّ، كما تقدّم فى اختصاص علىّ بتبليغ سورة براءة دون أبى بكر؛ بأمر اللّه النازل: لا يبلّغ عنك إلّا أنت أو رجل منك، فكانوا على درجة من الصفات توجب اليقين من شهادتهم على حذو اليقين الحاصل من المعجزة.

قوله تعالى: «وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا» «۱»

، فالوزارة للنبوّة جعل إلهى، لذا فقوله صلى الله عليه و آله: «أنت منّى بمنزلة هارون من موسى»، بمعنى الخلافة والوزارة والإمامة،

وكون هارون وزيراً غير كونه نبيّاً.

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۶۳

النموذج السادس: سليمان وداود عليهما السلام ... ص: ۵۶۳

قوله تعالى: «وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ* أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِى السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ* وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ» «۱»

، فهذه المقامات المذكورة والنعم الموصوفة هى غير مقامات النبوّة، بل هى مقامات إمامة وولاية.

وقوله تعالى: «وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ» «۲»

، وهى كسابقتها من الآيات إذ الأعطيات التى استوجبت الحمد من قبل داود وسليمان لمكان الحبوة التى حُظيا بها من اللَّه تعالى، لا لمقام النبوّة منهما، بل لحجّيتهما وإمامتهما.

قوله تعالى: «وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ» «۳»

، فقد وصف اللَّه تعالى داود أنّه عبد فى هذه الآية والمقام ولم يذكر وصف النبوّة، ممّا يدلّ- بمقتضى أنّ الوصف مشعر بالعلّية- على أنّ هذه الحبوات إنّما أُعطيت له بمقتضى درجة العبودية التى وصل إليها، والتى هى معنى الولاية كما فى الخضر حيث قال تعالى «فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا» «۴».

فبيّنت الآية أنّ العلم اللدنى والرحمة الخاصّة التى هى من مقامات الولاية وأُعطيت للخضر استحقّها بالعبودية بدرجة خاصّة، فهذه المقامات أُعطيت لداود بسبب مقاماته فى العبودية، وهى الولاية؛ لأنّ العبودية هى الجانب الذى يلى من العبد تجاه مولاه، لا بما لداود من مقام النبوّة.

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۶۴

فالآيات المتقدّمة تشير إلى حقيقة مهمّة وهى أنّ الحبوات التى حصل عليها الأنبياء لا لمجرّد كونهم أنبياء بل لكونهم حججاً أولياء وأئمّة، فالنبوّة وإن كانت تحتاج إلى المعجزة، إلّاأنّ المعجزة لا ضرورة لدوامها واستمرارها بنحو ممتدّ، بل يكفى وقوعها وحدوثها لإيجابها واستلزامها الثبات على نحو الدوام، أى أنّ وجودها وإن كان دفعياً إلّاأنّ حجيتها ووصف الحجّية لها مستمرّ؛ إذ هى فى حدود تصديق نبوّة النبىّ.

فإذا تمّ الغرض انتفت الضرورة لاستمرار وجودها، وإن كان بعض المعاجز كالقرآن الكريم- معاجز مستمرّة الوجود، بينما هذه الحبوات والمقامات ثابتة لحجج اللَّه تعالى وأوليائه، وهو ما حدث وما يحدث لأئمّة آل البيت عليهم السلام من الحظوة بالمقامات الإلهية التى حازوا عليها وأكرمهم اللَّه تعالى بحبواته، فلا مجال إذن لإنكار هذه الحقيقة المعرفية القرآنية تحت ذريعة وغطاء التفويض والغلوّ كما توهّم البعض.

فإيتاء الملك لداود هى الإمامة. ولولا دفع اللَّه الناس بعضهم ببعض، إشارة إلى التدبير الاجتماعى الذى يديره داود فى بنى إسرائيل، فإيتاء الملك يختلف عن إيتاء النبوّة، فهو منصب خاصّ من قبل اللَّه تعالى، فالإمامة أهلية خاصّة غير أهلية النبوّة.

قوله تعالى: «أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ الصَّالِحُونَ» «۱»

، فتوريث الأرض للعباد الصالحين لا لكونهم أنبياء، بل لكونهم عباداً صالحين، وهذا وعد إلهى.

إنّ أحد حدود الإمامة هى العبودية بدرجة فائقة للّهتعالى وهى ولاية ولى اللَّه الإمام وتولّيه لربّه تعالى، وقد روى هارون بن الفضل،

قال: «رأيت أبا الحسن عليّ

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۶۵

بن محمّد فى اليوم الذى توفّى فيه أبو جعفر عليه السلام فقال: إنّا للّهوإنا إليه راجعون، مضى أبو جعفر عليه السلام. فقيل له: وكيف عرفت؟ قال: لأنّه تداخلنى ذلّة للّهلم أكن أعرفها» «۱».

وفى رواية أُخرى أنّه عليه السلام سُئل عن كيفية علمه بوفاة أبيه قال: «قد دخلنى من إجلال اللّه ما لم أكن أعرفه قبل ذلك، فعلمت أنّه قد مضى» «۲».

فالإمامة ولاية ملكوتية غيبية وليست ولاية ملك مادّى فقط، بل ولاية عبودية للّه تعالى. والولاية أعلى رتبة من النبوّة، وذلك أنّ الولاية هى جهة القرب والارتباط باللّه تعالى، فولاية كلّ نبىّ هى أعلى وأشرف من نبوّته؛ لأنّها جهة عبودية النبىّ للربّ تعالى، فلذلك الولاية أعظم من النبوّة، أى ولاية ولى اللّه الإمام وتولّيه لربّه.

قوله تعالى: «قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ* إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ» «۳»

، إنّ غواية إبليس وإضلاله لا تشمل المخلَصين- بالفتح- فهم معصومون عن غواية إبليس على صعيد العمل وعلى صعيد العلم.

وإنّ سورة الصافات فى أربع مواضع ذكرت (عباد اللّه المخلَصين).

۱- قوله تعالى: «وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ* إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ» «۴».

۲- قوله تعالى: «فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ* إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ» «۵».

۳- قوله تعالى: «فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ* إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ» «۶».

۲- قوله تعالى: «سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ* إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ» «۷».

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۶۶

فوصف اللّه تعالى هؤلاء العباد بأنّهم مخلَصين لا تقع منهم معصية ولا يراودهم شكّ أو شبهة، فهم مخلِصين للّهفى عبادتهم، ومخلَصين من أى ذنب أو قبيح.

لذا فإن قوله تعالى: «سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ* إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ»، حيث نزّه اللّه تعالى عن كلّ وصف إلّاتوصيف عباد اللّه المخلَصين، وهى أعلى مقامات المخلَصين التى تعنى المعرفة الحقّة له تعالى.

فالصلاح الذاتى وما يترتّب عليه من صفات لم يكن كسبياً، بل هو منصب إلهى اصطفائى جعلى؛ وذلك لقوله تعالى: «وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ» «۱»

.ومثله الرشد الذاتى اللدنى حيث لم يكن عادياً كسبياً، بل هو إلهى جعلى يمنّ على خاصّة عباده؛ لقوله تعالى: «وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ» «۲».

المشاركة فى الحجية ...: ص: ۵۶۶

قوله تعالى: «وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ» «۳»

، فهذه مشاركة بين موسى وهارون فى الحجّية، فنزول الفرقان لم يختصّ به موسى، بل شاركه هارون كذلك. وهذا مفاد حديث المنزلة، إذ كونه عليه السلام من النبىّ الخاتم صلى الله عليه و آله بمنزلة هارون من موسى، يشير إلى جنبة مشاركة ما ينزل على النبىّ صلى الله عليه و آله، شركة تابع له كما فى قوله تعالى: «أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ» «۴»

.أى يتلو النبىّ صلى الله عليه و آله ويشهد الوحى عياناً وهو البينة من الربّ وهو رجل من النبىّ من نفسه.

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۶۷

فقد ورد عنه صلى الله عليه و آله: «أنا مدينة العلم وعليّ بابها» «۱»

، وغيرها من الموارد التى تشير إلى المشاركة، كآية المباهلة وآية التطهير.

النموذج السابع: عيسى عليه السلام ...: ص: ۵۶۷

قوله تعالى: «إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِى الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِى وَتُبْرِىءُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِى وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِى وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِى إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ» «۲»

.فهذه المناصب بعضها لا ربط لها بالنبوّة بما هى نبوّة، وكونه رسولًا هو أحد مناصبه صلى الله عليه و آله، وقوله «أَخْلُقُ لَكُمْ..» بمعنى الخلقة والتكوين وليس هو تشكيل الطين على هيئة الطير فقط.

إنّ شبهة كون الخلقة التى يتولّاها عيسى عليه السلام هو تشكيل فقط دخلت على العامّة، محتجّين بها على كون الخلق لا يمكن أن يقوم به غير اللَّه تعالى، فى حين نقول إنّ الخلقة بأمر اللَّه تعالى ولا مانع من أن يقوم بها أحد عباده المصطفين الذين اصطفاهم اللَّه لهذه المهمّة.

وإنّ تشكيل المادّة لا يقال لها خلقة، بل الخلقة هى حالة إيجاد وتكوين بأقدار اللَّه تعالى وإرادته، مع إمكان تفويض ذلك إلى خاصّة عباده كما هو الحال فى عيسى عليه السلام، تفويضاً غير عزلى أى من دون أن يكون البارى تعالى معزولًا ولا النبىّ

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۶۸

عيسى عليه السلام ونحوه من الأولياء مستقلّاً فى فعله كما هو الحال فى غير ذلك من الأفعال، لا جبر ولا تفويض بل أمر بين أمرين.

ويُستدلّ على ذلك بقوله تعالى:

«فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا» «۱»

، فالنفخ هنا خلق كما فى نفخ الصور، فالنفخ هنا ليس تشكيل، إذ الخلق للطير متفرّع على نفخ عيسى عليه السلام.

ثمّ إحياء الموتى ليس هو كخلق الطير، بل إحياء الموتى هو تزويج الروح بالبدن.

وقوله تعالى: «وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ»، فالإبراء وإن كان إحياء وخلق لكن خلق حال وليس إعادة لحياة الذات، وهذا ما يمكن تصوّره فى أولياء اللَّه المصطفين كالأئمّة عليهم السلام؛ إذ إمكان إعطائهم هذه الحبوة كما أُعطيت لعيسى ليس تفويضاً عزلياً باطلًا تعزل فيه قدرة اللَّه تعالى وهيمنته وقاهريته وقيوميته، كما هو الحال فى أفعال الإنسان لا جبر ولا تفويض بل أمر بين أمرين، ولا فرق فى تمكين وإقدار البارى للمخلوق على الفعل بين فعل النملة وفعل عزرائيل وميكائيل وأعاظم الملائكة والأرواح؛ فإنّه بقانون واحد لا- جبر ولا تفويض بل أمر بين أمرين، ومن لا يميز بين التفويض العزلى الباطل وبين التفويض بمعنى الإقدار والتمكين فى حين قدرته تعالى من انحسار لقدرته فيما أقدرهم عليه، يحصل لديه الخلط بينهما، كما أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام فى نهج البلاغة.

قوله تعالى: «إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا» «۲»

، إنّ أُصول الدين لا تُنسخ، بل النسخ يكون فى الفروع، كما أنّ أركان الفروع غير منسوخة، فأُصول المحرّمات هى واحدة فى كلّ الشرائع كحرمة الزنا

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۶۹

والكذب والغشّ وغيرها، وكذلك أُصول الواجبات.

فالنسخ لا يكون في المعارف ولا إلغاءً لها، بل الحال فيها حالات تكامل وتوسّع وتعمّق، وكذلك الكتب الإلهية في نسخها الأصلية غير المحرّفة والتي هي عند الإمام المهدى (عج) لكونه وارث الأنبياء والمرسلين كذلك، وشرائعها السابقة لها قدسيتها في القرآن الكريم وفي كلام أهل البيت عليهم السلام.

فمع أنّ عيسى عليه السلام قد نسخت شريعته، فهو مع ذلك سيكون له دور مهمّ في شريعة الإسلام، إذ سيؤدّى دوره المقدّر من قبل اللَّه تعالى حيث نزوله من السماء والتحاقه بالإمام المهدى المنتظر (عج).

على أنّه تجدر الإشارة إلى أنّ غيبة الإمام (عج) لا تعنى أكثر من خفاء هوية وليس تغيباً لوجوده ولا إبعاده عن مسرح الأحداث ولا مزايلة عن تدبير الأوضاع البشرية، ولذلك الاعتقاد أدلّة قائمة قد مرّ الإشارة إليها. وظهور الإمام (عج) يعنى ظهور هويته المغيبة أى المخفية المستترة، وليس بداية لحضور وجوده الشريف، بل وجوده حاضر بيننا نعيشه بوجداننا وأعماقنا.

وكلمة (متوفيك)، أى قابضك، فهو قبض له حتّى يبعثه اللَّه إلى حيث يوجّهه لمناصرة وليه الإمام المهدى (عج) ومؤازرته.

قوله تعالى: «وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ» «۱»

، فروح القدس حبوة إلهية لعيسى عليه السلام، وهى ليست من خصائص النبوّة كما أنّ روح القدس قد تقدّم الحديث عنه مبسوطاً فى الفصل السابع فى مباحث ليلة القدر، وهو نور كما فُسِّر بلحاظ الهيمنة العلمية، فهو مع الأئمة عليهم السلام، وهو بلحاظ المناصب الأُخرى غير النبوّة.

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۷۰

قوله تعالى: «إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ» «۱»

، ومضافاً إلى كون عيسى عليه السلام رسول اللَّه فقد وُصِف أيضاً بأنّه كلمته وأنّه روح اللَّه. والكلمة هى الشىء التكوينى الدالّ على معنى بدلالة تكوينية لا فرض اعتبارى أدبى، وهذا المعنى هو الأصل فى معنى ومصداق الكلمة حقيقة، وأمّا الكلمة التى تتداول فى الكلام المحاورى فهى اعتبارية يعتبرها ويفترضها المتكلّم والمخاطب فيما بينهم، فعيسى هو كلمة اللَّه وهو اسمه أيضاً؛ لأنّ الاسم فى اللغة يعنى السمة والعلامة، وهو نفس معنى كلمته وهو آية من آيات ربوبيته كما قال تعالى: «وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً» «۲»

، وقال تعالى: «وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا» «۳»

، والآية فى اللغة العلامة والسمة أيضاً، وعليه تكون الآية والكلمة والاسم بمعنى واحد، أو مشتركة فى أصل معناها.

وكونه روح اللَّه يعنى بوجوده وولادته وحالاته الملكوتية خروجه من الغيب مقاماً، فأضيفت إلى الذات الإلهية تشريفاً لمقامها.

وقد قام الدليل على أنّ الأئمّة كلمات اللَّه كما فى قوله تعالى: «وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَامُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ» «۴»

، ولعلّ الإشارة فى كلمات الصدق وتمامية الكلمات صدقاً هو للمرسلين، وتمامية الكلمة عدلًا هو لجعل اللَّه تعالى للأئمّة الهادين بأمره الذين يوحى إليهم فعل الخيرات وإقامة العدل، ولا ريب أنّ من كلمات اللَّه فى عموم هذه الآية هو النبىّ عيسى عليه السلام، فالمراد من الكلمات هم الحجج المصطفين.

وقد ورد من طريق الفريقين فى قوله تعالى: «فَتَلَقَّى ءادَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۷۱

عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ» «۱»

، فقد روى الحاكم فى مستدركه: «أنّ آدم لمّا اقترف الخطيئة قال: يا ربّى أسألك بحقّ محمّد لما غفرت لى. فقال: يا آدم كيف عرفت؟ قال: لأنّك لمّا خلقتنى نظرت إلى العرش فوجدتُ مكتوباً فيه: لا إله إلّااللَّه محمّد رسول اللَّه فرأيت اسمه مقروناً مع اسمك

فعرفته أحبّ الخلق إليك» «٢».

وقد تقدّمت الإشارة فى قوله تعالى حول مريم: «وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ» «٣»

، أنّ مقتضى المقابلة بين الكلمات والكتب قرينة على إرادت الحجج المصطفين الذين منهم النبىّ عيسى عليه السلام، كما ورد عين هذا التعبير فى قوله تعالى لزكريا «أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ» «٤»

، أى مصدّقاً بالنبىّ عيسى، نظير التعبير بمريم: وصدّقت بكلمات ربّها، فكلمات اللَّه وكلمة الربّ تطلق على كلّ من اصطفاه اللَّه من أولياء الحجج، سواء جعله نبيّاً رسولًا أو جعله إماماً للناس خليفة له فى أرضه، فلا مجال للإنكار ولا للتنكّر عن هذه المعارف القرآنية؛ إذ عيسى حُبى بهذه الحبوة وهو كونه كلمة، وهذه الحبوة ليست من مناصب خصوص النبوّة ولا ـ من حالاتها، وإنّما هى من شؤون عموم الاصطفاء والجعل الإلهى.

قوله تعالى: «إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ* قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ* قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ» «٥»

، طلب عيسى من اللَّه سبحانه أن يُنزّل مائدةً من السماء اطمئناناً

الامامة الالهية(٥)، ج٣، ص: ٥٧٢

لقلوب الحواريين وقد استجاب اللَّه لسؤاله وأكرمه بنزول المائدة، فكانت تلك المائدة كرامةً لعيسى بن مريم عليه السلام، علماً أنّ هذه الكرامة ليس لخصوص منصب كونه نبيّاً ورسول اللَّه، بل لكونه حجّة إلهية، وبذلك فقد ألقى اللَّه حجّته على الحواريين بحجّية عيسى بن مريم، على أنّ الحجّية كلّما اشتدّت كلّما اشتدّت العقوبة واشتدّ تنجيزها.

قوله تعالى: «وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ» «١»

، قد تفسّر البينات بالمعجزة، إلّاأنّ المعجزة مشتركة مع جميع الأنبياء، فلا يبعد أن تكون البينات منزلة إلهية غير أصل معجزة النبوّة، والقرينة على ذلك هو مجيئه بالحكمة، فهو إشارة إلى خصوصية اختصّ بها عيسى إضافة لنبوّته.

والعامّة لا يثبتون للنبىّ من وراء نبوّته مقاماً آخر، وهذه مشكلة تُضاف إلى الأذهان لتتبلّد عن معرفة النبوّة ومقاماتها الإلهية وكراماتها من اللَّه تعالى.

الامامة الالهية(٥)، ج٣، ص: ٥٧٣

القائمة الثالثة معجزات الأنبياء ... ص: ٥٧٣

إنّ الهدف من المعجزات هو التصديق والإذعان والإخبات لنبوّة النبىّ الذى يأتى بالمعجزة.

فإتيان موسى عليه السلام بتسع آيات أى معجزات فكلّما أتى بمعجزة ورأوا العذاب قد حلّ بساحتهم، سألوا موسى أن يرفع اللَّه عنهم ما أصابهم حتّى يؤمنوا لمّا شاهدوا من الحقّ، فإذا رُفع عنهم العذاب رجعوا إلى ما هم عليه من التكذيب والبهتان. وهكذا تستمر المعجزة باستمرار الحاجة فى التصديق وإلقاء الحجّة على القوم الذين يأتيهم إنذار من اللَّه تعالى. والمعجزة من سنخ الهداية الإيصالية لا الإرائية المحضة.

وهكذا فى جميع الأنبياء تُلاحظ حالات الإعجاز المتواترة المستمرّة. كما أنّ المعجزة ليست إلّاما عجزت جميع البشرية عن إتيان مثلها، فتحدّى صالح عليه السلام قومه بإتيان ناقة من الجبل لا يعنى تحدّ لقوم صالح وحدهم، بل إنّ التحدّى هذا مستمرّ على مدى استمرار البشرية قاطبة وإلى أبد الآبدين.

فالخطاب والتحدّى عام شامل، فالمعجزة هو التحدّى لإقرار ادّعاء منصب إلهى.

كما أنّ المعجزة شرطها مقام التحدّى فضلًا عن كونها حبوة، إلّاأنّ الإعجاز استمراره قائم إلى اليوم، وسرّ ذلك أنّ آيات اللّه باقية حتّى اليوم والكلام فى المقام

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۷۴

هو كون البينات والآيات المتولّدة من المعجزة سواء كانت علمية أو تكوينية استمرارها وقابلية تحدّيها إلى اليوم.

وخصائص القرآن الإعجازية أنّه علمى، أى أنّ المعجزة القرآنية فى عين أنّه علم فهو قدرة إعجازية غيبية.

ثمّ هل أنّ التصديق من سنخ الهداية الإيصالية أم الهداية الإراءية؟

والهداية الإراءية معرفة المطلب وتشخيصه والتنجيز وإقامة الحجّة، أما الإيصالية فهى الإيصال إلى الهدف. والإمامة هى هداية إيصالية، والذى يدلّل على أنّ الأنبياء المرسلين كلّهم اشتملوا على مقام آخر وهو كونهم أئمّة هداة:

«وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا» «۱»

، هو إتيان الأنبياء للمعاجز، إذ هو دالّ على أنّ هناك غرض إلهى وهو الهداية الإيصالية، فالهداية الإيصالية هى محطّ غرض إلهى وهى الإمامة، وحينئذٍ فإنّ هذه المعاجز هى فى صدد الهداية الإيصالية، وبمعنى آخر: فإنّ المعاجز لا يقتصر غرضها على الإرادة والهداية الإراءية وإقامة الحجّة فقط كما اشتهر عند المتكلّمين.

بل إنّ غرضها هو الهداية الإيصالية، كذلك هى الإمامة، وممّا يعزّز ذلك ما أشرنا إليه فى مواضع متعدّدة من أنّ المعجزة ليست مجرّد برهان من العلم الحصولى كما اشتهر عند المتكلّمين، بل هى برهان عيانى من العلم الحضورى؛ إذ فى المعجزة يدرك ويلمس من يُحتجّ عليه بها لمعان الغيب ويشهد رفع الستار عن وجه من القدرة الغيبية، ومن ثمّ صحّ ممّن احتجّ عليه بالمعجزة أن يشهد ويتشهّد بمؤدّى المعجزة، أى بالأمر الذى أُريد إثباته بالمعجزة، كما يتشهّد المؤمن بالشهادتين وبالشهادة الثالثة، حيث إنّ ذلك التشهّد ليس استعمالًا مجازياً

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۷۵

ولا إقراراً لسانياً كلقلقة محظة، بل هو إخبار قطعى وإنباء عمّا أدركه شهوداً.

ولا سبيل للمؤمن لشهود التوحيد والنبوّة والإمامة والمعاد إلّابعيان الأدلّة الإعجازية سواء العلمية أو الآيات الخارجية: «لا تدركه العيون بمشاهدة العيان، ولكن تدركه القلوب بحقائق الإيمان» «۱»

. ومن ثمّ أجاز النبىّ صلى الله عليه و آله شهادة خزيمة بن ثابت فسُمىّ بذى الشهادتين.

وعلى ضوء ذلك فإنّ من شأن المعجزة الجذب والهداية الموصلة إلى المطلوب من دون إلجاء، فدور النبوّة هو الاحتجاج بتوسّط التعريف بالغرض والغاية، فى حين أنّ الإمامة هى إيصال للغرض، كما فى قوله تعالى: «إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ» «۲»

، فالمنذر هو معرّف للغرض، والهادى هو الموصل بالهداية الإيصالية إلى الغرض. ومعنى ذلك أنّ الإراءة والبيان من صنع اللّه تعالى، أمّا الإيمان- أى التصديق- فهو من فعل البشر، فالنبىّ الباطن هو العقل النظرى، إلّا أنّ العامّة ترى أنّ النبوّة هى مجرّد إراءة وبيان وليس أكثر من ذلك.

فالمعاجز دالّة على أنّ أصحابها لهم مقام الإمامة والتى هى هداية إيصالية دائمة متواجدة، وكونها أحد الأغراض الإلهية الهامّة فى بعثة الأنبياء.

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۷۷

القائمة الرابعة مؤدّى السنّة الإلهية فى معاجلة العذاب للأمم ... ص: ۵۷۷

وهو مسلسل العذاب والعقوبات التى تطال الأُمم فى دار الدنيا، وهذا المسلسل يطالعنا فيه القرآن الكريم فى موارد عدّة، مثل قوم لوط

وعاد وقوم ثمود وصالح وموسى.

ومسلسل هذا العذاب في صوره العديدة التي يحكيها القرآن الكريم قد رُفِع عن أُمّة محمّد صلى الله عليه و آله سواء كان المسخ أو غيره، إلّاأنّ بعض صوره الأُخرى تراودها وتعاقب بها، من قبيل الأمراض والفتن وغيرها، فضلًا عن الكوارث الطبيعية كالفيضانات والزلازل وغيرها.

وإنّ الإرادة التشريعية الإلهية للأُمم لم يكتفِ اللّه تعالى بتنظيرها اعتباراً، بل أراد تحقّقها في النشأة الدنيوية، واللّه تعالى يعالج بعضهم بالعذاب والغرض منه إنجاز الهداية الإيصالية، والقرآن يصرّح في سورة الفجر بهذه الحقيقة بقوله تعالى:

«أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ* إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ* الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ* وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ* وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ* الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ* فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ* فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ* إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ» «۱»

، أي أنّ استمرار المراقبة والرقابة الإلهية المستمرّة لمنع الفساد والطغيان في الأرض.

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۷۸

وكذا في سورة الحشر في إجلاء أهل الكتاب: «وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ* ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ» «۱»

، فعلّل معاجلة العذاب لهم في الدنيا بمشاققتهم للّهولرسوله، وأنّ هذا سنّة إلهية، وهذا نظير اعتراض الملائكة على اللّه تعالى عند خلق الإنسان بأنّه يريد هلاك الحرث والنسل وسفك الدماء، ولكن الباري عزّوجلّ أنبأهم بالواقع وبخلاف ما ظنّوه وهو خلاف ما اعتقدوه؛ إذ من هذا البشر سيكون أولياء وأنبياء وصلحاء، يهدون إلى الخير والوصول إلى الهداية الإيصالية فضلًا عن الهداية التشريعية.

وإنّ الهداية الإيصالية هي من غايات الهداية التشريعية وأن يكون المجتمع البشري مجتمعاً فاضلًا تكاملياً وإصلاحياً لجميع البشر، والوصول إلى الحقيقة وهي العبودية الخالصة للّهعزّوجلّ والوصول إلى الأهداف والأغراض المطلوبة، هذا مضافاً إلى أنّ فريضة الإيمان بالمعاد الغرض منها هو التحرّك والحركة إلى الهداية الإيصالية فإنّ الإيمان بالمعاد هو لغرض الوصول إلى الغاية الحقيقية وهو الهداية الإيصالية، فكون المعاد ضرورة، بمعنى أنّ الأُمور ليست من دون علّة غائية وغرض نهائي.

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۷۹

القائمة الخامسة مسلسل سيرة حكومة النبيّ صلى الله عليه و آله في القرآن ... ص: ۵۷۹

إنّ هذا المسلسل في سيرته صلى الله عليه و آله- خصوصاً في السور المدنية حيث نلاحظ سلوكياته وتصرّفاته السياسية والاجتماعية وغيرها- هي من نمط الهداية الإيصالية التي هي من نمط الإمامة.

فجانب منها في القضاء، كما في قوله تعالى: «وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ» «۱»

، وقوله تعالى: «إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» «۲»

.وجانب آخر في تدبيره للأموال العامّة، كقوله تعالى: «يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» «۳»

وقوله تعالى: «وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى» «۴»

.أمّا الجانب السياسي والتنظيم الحربي فلقوله تعالى: «وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ» «۵»

، وقوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً» «۶»

، وقوله تعالى: «وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۸۰

لَهَا» «۱»

، وقوله تعالى: «مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ» «۲».

وقوله تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا اخِذَ مِنْكُمْ» «۳»

، وقوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ» «۴»

، وقوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ» «۵»

، وقوله تعالى: «عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ» «۶».

أمّا الجانب الاجتماعی والتقنين الأُسرى فلقوله تعالى: «فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَايَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ» «۷».

وفی الجانب الأمنی قوله تعالى: «لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ» «۸».

فضلًا عن الآيات التی تحدّثت عن إقامة أحكام الحدود مثل الزنا والسرقة وغيرها.

كما أنّ الولاية العامّة وغيرها ليست مرتبطة بالنبوّة، بل بإمامته وولايته صلى الله عليه و آله؛ لقوله تعالى: «النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ» «۹»

، بيان صلاحيته صلى الله عليه و آله فی إقامة المعاهدات مع أهل الكتاب أو قتالهم وحقوق المسلمين وما يتعلّق بشؤونهم.

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۸۱

إذن فالموارد التی مارسها النبیّ صلى الله عليه و آله وأقام فی حكومته بإجراءاتها وتنفيذ الإرادة الإلهية فيها، أشار إليها القرآن بذكر بعض تفاصيلها فضلًا عن الإشارة إلى أحكامها.

وإنّ أوامر اللَّه تعالى للنبیّ صلى الله عليه و آله التی وردت فی القرآن الكريم كانت بمستوى التنفيذ والتنجيز لا- التنظير الكلّی فقط، وهی تشريعات لإقامة الدولة، حتّى أنّ المسلم ليشعر أنّ الإسلام له دخل فی كلّ تفاصيل حياته اليومية فضلًا عن كلّيات أحكامها، والنبیّ صلى الله عليه و آله كان أوّل مصداق فی تطبيق هذه العلاقة القرآنية.

وبعبارة أُخرى: أنّ أسباب النزول فی التشريعات القرآنية فی دولة الرسول وحكومته ليس مفاد سبب النزول وثمرته التی هی بيان المعنى الكلّی للتشريع وتوضيحه فقط، بل هناك بعد هام بالغ الخطورة أيضاً فی معنى سبب النزول لتلك التشريعات القرآنية: هو أنّ تلك الموارد لأسباب النزول تصدّى من اللَّه تعالى لتدبير الحكم السياسی فی المجالات المختلفة بإرادة إلهية لا بإرادة نبويّة.

فمن ثمّ التصرّف الحكومی والحاكمی يسند إليه تعالى، فالحاكم الأوّل فی حكومة الرسول صلى الله عليه و آله لم يكن النبیّ صلى الله عليه و آله، بل هو اللَّه تعالى يتصدّى فی المنعطفات الخطيرة السياسية والعسكرية والاقتصادية والأمنية وغيرها فی دولة وحكومة الرسول صلى الله عليه و آله، والحاكم الثانی هو الرسول صلى الله عليه و آله، وكذلك الحال فی حكومة أمير المؤمنين عليه السلام فإنّ الحاكم الأوّل فی المنعطفات الخطيرة هو البارى تعالى ثمّ الرسول صلى الله عليه و آله، عبر ارتباط أمير المؤمنين بالغيب بالعلم اللدنی، والحاكم الثالث هو أمير المؤمنين كما فی الأمر بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين فی برنامج حكومته عليه السلام، وكذلك فی حكومة الحسنين عليهما السلام على العراق، وكذلك فی حكومة الإمام المهدی (عج)، وحكومة سائر الأئمّة، فيستشهد بسيرة دولة الرسول فی آيات القرآن على أنّ الحاكمية السياسية فی التفاصيل الخطيرة كانت بعهدة البارى تعالى.

وذلك أنّ ممارسة القضاء وإدارة السياسات المالية والاجتماعية وغيرها هی من قبل اللَّه تعالى وثانياً النبیّ صلى الله عليه و آله؛ إذ ولاية الرسول صلى الله عليه و آله التی من خلالها يمارس صلاحياته فی الحكم والقضاء هی فرع ولاية اللَّه تعالى، فالحكم الجزئی التنفيذی الإجرائی فضلًا عن الكلّی هو من قبل اللَّه تعالى.

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۸۲

ففی دولة الرسول الحاکم المباشر لا بمعنی التجسیم والتشبیه، بل بمعنی أنّ إرادته تعالی تتنزّل علی رسوله صلی الله علیه و آله فینفّذها من دون أن یکون التصرّف الحکومی منبعثاً من إرادة الرسول صلی الله علیه و آله، فإرادة اللّه تعالی متنزّلة فی القرارات الجزئیة التفصیلیة من معاهدات وحروب وعلاقات کذلک.

والإمامیة تستشهد بذلک علی الإمامة، وهل أنّ اللّه تعالی یعمل حاکمیته السیاسیة فی فترة معینة دون غیرها من الفترات بغضّ النظر عن ولایته تعالی التکوینیة؟

فإذا کان المصدر الرئیسی للأحکام الجزئیة التنفیذیة التفصیلیة فی المنعطفات الخطیرة وممارستها من قبل اللّه تعالی، فهل هذه الممارسة هی لفترة محدودة تقتصر علی الحقبة النبویّة المبارکة- أی من خلال وجوده الشریف فقط- دون فترة ما بعد رحیله الشریف، ثمّ تنقطع بعد ذلک ولایة اللّه تعالی فی الإشراف السیاسی وتلغی؟ أم لابدّ لولایة اللّه تعالی من الاستمرار والدوام والبقاء؟

فإن قلنا بالأوّل- وهو انقطاع ولایته تعالی عند وفاته صلی الله علیه و آله- ألزمنا أنفسنا بالتعطیل وانحسار إرادته تعالی، ومن ثمّ عجزه- والعیاذ باللّه- عن الأمر، وبالتالی عزل إرادته عن الحاکمیة علی خلقه، تعالی اللّه عن ذلک علوّاً کبیراً، وقد قال تعالی: «إِنِ الْحُکْمُ إِلَّا لِلَّهِ» «۱»

، وأنکر علی الیهود قولهم: «وَقَالَتِ الْیَهُودُ یَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَیْدِیهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ یَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ» «۲»

، فید تصرّفه تعالی مبسوطة لا مغلولة.

وإذا أخذنا بالقول الثانی وهو استمرار ولایته وبقاؤها فعن أی طریق تمرّ وتتنزّل إرادته وولایته تعالی، ومن أی قناة ستکون؟ إذ هو تعالی لا یُحسّ ولا یُجسّ ولا یُجبه.

الامامة الالهیة(۵)، ج۳، ص: ۵۸۳

فالقول بولایته تعالی فی الحاکمیة السیاسیة فی النظام البشری إذن یلزم منه القول بوجود المعصوم فی کلّ وقت وفی کلّ زمان، وهو معنی قوله تعالی بنحو دائم کلّی عام: «إِنِّی جَاعِلٌ فِی الْأَرْضِ خَلِیفَةً» «۱»

، وقول أمیر المؤمنین علیه السلام: «إنّ الأرض لا تخلو من حجّة»، فالحجّة هنا هی القناة المعصومة التی من خلالها إمرار ولایته تعالی وإنفاذها علی الخلق، وهو ما یدعو إلی القول بوجود الإمام المعصوم فی کلّ آن من آنات الخلق، فهو سفیر اللّه فی خلقه.

ولذلک یطالعنا القرآن الکریم بسیرته صلی الله علیه و آله، ویضیف إلی ذلک سیرة الأنبیاء الباقین فی تأسیس الدولة، کما فی سیرة موسی وسلیمان وداود وطالوت وذی‌القرنین، فقد أقاموا دولهم وشکّلوها بأمر إلهی صرف استعرض بعض جوانبها القرآن الکریم.

فمباشرة اللّه تعالی للتفاصیل السیاسیة فی حاکمیة التدبیر لجزئیات الأُمور نصّ علیها القرآن الکریم، کما فی قوله تعالی: «إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِیکُمْ بِنَهَرٍ»، إذ هذا الاختبار لأصحاب طالوت لیس باختیاره، بل هو بأمر اللّه تعالی کما فی غیرها من موارد أحکام الأنبیاء، إلّاأنّ سیرة النبیّ صلی الله علیه و آله تلاحظ بشکل أکثف وأکبر ترکیزاً علی مستوی آیات القرآن الکریم.

وهنا تنبیه یجدر الإشارة إلیه: وهو أنّ بعض المفسّرین لم یبلوروا ویمیزوا بین التشریع والتنزیل، وبین مورد النزول ومورد التنزیل، إذ جعلوا مورد النزول والتنزیل مجرّد شاهد ومبیّن لمعنی التنزیل الکلّی أی التشریع العام لا ـ أکثر من ذلک، وهذا بخس فی حقیقة التنزیل.

فالمفسّرون فهموا أنّ التنزیل دوره تفسیری إیضاحی للآیة دون أن یکون له

الامامة الالهیة(۵)، ج۳، ص: ۵۸۴

دور آخر، فی حین أنّ التنزیل هو نوع ممارسة فعلیة لحاکمیة اللّه تعالی السیاسیة فی الجزئیات التفصیلیة وسلطته السیاسیة، وهذا مفاده غیر مفاد التشریع، وقد ذهب أهل سنّة الجماعة إلی هذه الشبهة التی تؤول إلی ما اعتقده الیهود من أنّ اللّه تعالی شرّع فقط ولم یمارس الحاکمیة والسلطة السیاسیة التفصیلیة فی تدبیر النظام السیاسی الاجتماعی والحکم التنفیذی، وهو قوله تعالی: «وَقَالَتِ الْیَهُودُ یَدُ

اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ» «۱»

، فالتعطیل الذی تصوّرته الیهود فی حقّه تعالی، قد انجرّ إلی بعضهم حتّی عطّلوا إرادته؛ إیهاماً منهم بأنّ اللّه تعالی لم یمارس ولایته إلّافی حدود التشریع فقط، أی فی السلطة التشریعیة دون السلطة السیاسیة التنفیذیة والقضائیة.

فی حین أنّ متابعة سریعة لآیات القرآن الکریم یجد من خلالها الباحث أنّ وقائع قرآنیة سواء التشریعیة أو المالیة أو السیاسیة أو القضائیة وغیرها لم تنفرد فیها إرادة النبیّ صلی الله علیه و آله دون إرادة اللّه تعالی.

فالتنزیل إذن لیس هو تنزیل لألفاظ التشریع الکلّی فقط لا غیر، بل هو أحد جهاته، والتنزیل حقیقة هو إعمال ولایته تعالی السیاسیة المباشرة علی جمیع الدقائق والجزئیات التفصیلیة الخطیرة فی منعطفات الحیاة الاجتماعیة السیاسیة.

کما أنّ التنزیل هو تطبیق التشریع الکلّی علی مصادیقه، أی استمرار حاکمیة اللّه تعالی السیاسیة التفصیلیة فی کلّ الموارد.

ثم إنّ التنزیل والتأویل کلّ منهما انطباق الحکم الکلّی علی مصادیقه، إلّاأنّ الفرق بینهما أنّ التنزیل هو بدء نزول الأحکام، والتأویل هو استمرار نزول الأحکام.

فحاکمیة اللّه تعالی هو تنزیل إرادته فی تفاصیل الجزئیات الخطیرة، إذ لا تستند

الامامة الالهیة(۵)، ج۳، ص: ۵۸۵

إلی النبیّ أو الوصیّ علیهما السلام، وهذه موجودة فی کلّ دول الأنبیاء کما فی دول موسی وسلیمان وداود، إذ هم محطات، وطالوت، وهذه الإرادة الإلهیة تمارس من قبل المعصوم علیه السلام، وحیث ورد أنّهم أوعیة لمشیئات اللّه تعالی، ممّا یعنی أنّ الإرادة الکلّیة تتوزّع وتتفصّل علی کلّ الإرادات الجزئیة، وهذا هو التأویل أی أوْل الإرادات الجزئیة إلی الإرادة الإلهیة الکلیّة، أی رجوع کلّ الإرادات إلی الإرادة الإلهیة وطریقها المعصوم علیه السلام الذی تمرّ من خلاله إرادات اللّه تعالی.

هذا هو تفسیر نظریة الإمامة حیث تظهر من خلالها أهمّ مظاهر التوحید وهو التوحید فی الولایة، فالاعتقاد بالنبوّة والرسالة توحید فی التشریع والاعتقاد بالإمامة توحید فی الولایة، فأصول الدین کلّها أبواب للتوحید حتّی الإیمان بالمعاد توحید فی الغایة «إنا للّهوإنا إلیه راجعون»، فالإمامة توحید فی السلطة والحاکمیة فی النظام السیاسی الاجتماعی، وذلک من خلال إرجاع کلّ الجزئیات التفصیلیة الخطیرة فی تدبیر النظام البشری لإرادة واحدة تمثّل وحدة المرجع الربوبی عن طریق قناة معصومة یمثّلها الإمام، ممّا یعنی أنّ هناک منصب غیر منصب النبوّة یتمّ من خلاله تدبیر الشؤون الکلّیة والجزئیة، وهی نوع إعمال للإرادة الإلهیة القاهرة.

کان النبیّ صلی الله علیه و آله له ذلک المنصب وهو الإمامة، ولابدّ من استمراره من بعده إلی یومنا هذا، بل إلی یوم القیامة؛ لضرورة استمرار ولایة اللّه تعالی فی الحاکمیة والسلطة السیاسیة علی البشر، وفی زماننا هذا هو الإمام المهدی (عج)، حیث یدبّر ویدیر النظام البشری عبر خفاء الغیبة وسریتها إلی أن یئنّ آن الإعلان والظهور.

إلی هنا تم الجزء الثالث ویلیه الجزء الرابع بإذن اللّه تعالی وهو المستعان وله المنّة والفضل والحمد للّهأوّلًا وآخراً.

تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

جاهِدُوا بِأَمْوالِکُمْ وَ أَنْفُسِکُمْ فی سَبیلِ اللَّهِ ذلِکُمْ خَیْرٌ لَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علیّ بْنُ موسَی الرِّضا – علَیهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْیَا أمْرَنَا... یَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ یُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ کَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنَادِرُ البِحار – فی تلخیص بحار الأنوار، للعلامة فیض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُیونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشَّیخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج/۱ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائمیّة" الثّقافیّ بأصبَهانَ – إیرانَ: الشهید آیة الله "الشمس آباذی" – "رَحِمَهُ اللهُ – کان أحداً من جَهابذة هذه المدینة، الذی قدِ اشتهَرَ بشَعَفِهِ بأهل بَیت النبیّ (صلواتُ اللهِ علَیهِم) و لاسیَّما بحضرة الإمام علیّ بن موسَی الرِّضا (علیه السّلام) و

بِساحة صاحِب الزّمان (عَجّلَ اللّه تعالی فرجَهُ الشَّریف)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درایته، فی سَنةِ ۱۳۴۰ الهجریّة الشمسیّة (=۱۳۸۰ الهجریّة القمریّة)، مؤسّسةً و طریقةً لم ینطَفِئ مِصباحُها، بل تُتّبَع بأقوی و أحسَنِ مَوقفٍ کلَّ یوم.

مرکز "القائمیّة "للتحرّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إیرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنةِ ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریّة القمریّة) تحتَ عنایة سماحة آیة الله الحاجّ السیّد حسن الإمامیّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّیجی الحوزات العلمیّة و طلاب الجوامع، باللیل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دینیّة، ثقافیّة و علمیّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشیعة و تبسیط ثَقافة الثّقَلَین (کتاب الله و اهل البیت علیهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزیز دوافع الشَّباب و عموم الناس إلی التّحَرّی الأدَقّ للمسائل الدّینیّة، تخلیف المطالب النّافعة – مکانَ البَلاتیثِ المبتذلة أو الرّدیئة – فی المحامیل (=الهواتف المنقولة) و الحواسیب (=الأجهزة الکمبیوتریّة)، تمهید أرضیّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافیّةٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البیت –علیهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققین و الطّلاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلامیّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهیل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...

- مِنها العَدالة الاجتماعیّة: التی یُمکِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحدیثة متصاعدةً، علی أنّه یُمکِن تسریعُ إبراز المَرافِق و التسهیلاتِ – فی آکناف البلد - و نشرِ الثّقافةِ الاسلامیّة و الإیرانیّة – فی أنحاء العالَم - مِن جهةٍ اُخرَی.

- من الأنشطة الواسعة للمرکز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ کتبٍ، کتیبة، نشرة شهریّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقیقیّة و مکتبیة، قابلة للتشغیل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثیّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّکة و... الأماکن الدینیّة، السیاحیّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی "القائمیّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقعَ اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضیّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمریّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعیّة، الاخلاقیّة و الاعتقادیّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسیم النظام التلقائیّ و الیدویّ للبلوتوث، ویب کشک، و الرّسائل القصیرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراکزَ طبیعیّة و اعتباریّة، منها بیوت الآیات العِظام، الحوزات العلمیّة، الجوامع، الأماکن الدینیّة کمسجد جَمکَرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفیذ مشروع "ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِکین فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعلیمیّة عمومیّة و دورات تربیة المربّی (حضوراً و افتراضاً) طیلة السَّنَة

المکتب الرّئیسیّ: إیران/أصبهان/ شارع"مسجد سیّد/ "ما بینَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائی/"بنایة"القائمیّة"

تاریخ التأسیس: ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریة القمریّة)

رقم التسجیل: ۲۳۷۳

الهویّة الوطنیّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البرید الالکترونی: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاکس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مکتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التِّجاریّة و المَبیعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمین ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

المیزانیّة الحالیّة لهذا المرکز، شَعبیّة، تبرّعیّة، غیر حکومیّة، و غیر ربحیّة، اقتُنِیت باهتمام جمع من الخیّرین؛ لکنّها لا تُوافِی الحجمَ المتزاید و المتّسِعَ للامور الدّینیّة و العلمیّة الحالیّة و مشاریع التوسعة الثّقافیّة؛ لهذا فقد ترجّی هذا المرکزُ صاحِبَ هذا البیتِ (المُسمّی بالقائمیّة) و مع ذلک، یرجو مِن جانب سماحة بقیّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرَجَهُ الشَّریفَ) أن یُوفّقَ الکلَّ توفیقاً متزائداً لِإعانتهم - فی حدّ التّمکّن لکلّ احدٍ منهم – إیّانا فی هذا الأمر العظیم؛ إن شاءَ اللهُ تعالی؛ و اللهُ ولیّ التوفیق.

مركز
القائمية
اصفهان
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹